المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الحسين بن الضحّاك

حياته وشعره

تأليف

الدكتور شوقي رياض أحمد

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الحسين بن الضحاك
حياته وشعره

تأليف
الدكتور شوقي رياض أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء

إلى أستاذى الجليل الدكتور شوقى ضيف تحية وتجلة ...

المقـــدمة

موضوع هذا البحث دراسة شعر الحسين بن الضحاك وتاريخ حياته، فهو شاعر من الطبقة الأولى فى العصر العباسى ، وأحد شعراء الخمر والمجون والغزل الذين بلغ شعرهم مرتبة رفيعة من الجودة والإبداع الفنى ، حتى إنهم قرنوه بأبى نواس ، بل فضله بعضهم عليه لأنه أكثر نقاء وأقل تخليطا فى شعره منه . ومع ذلك فإنه لم ينل ما يستحقه من اهتمام الدارسين والباحثين فى أدبنـا العربى ، إذ لم تكتب عنه إلا صفحات قليلة لا توفيه حقه ولا تعطينا صورة واضحة لحياته وشعره . وقد صدر عنه كتيب صغير فى سلسلة « اقرأ » باسم « نديم الخلفاء » للأستاذ عبد الستار فراج لم يزد على أن قدم فيه قصة حياته من خلال الأخبار التى رويت عنه فى الأغانى والمصادر الأخرى التى ترجمت له ، ولم يدرس حياته دراسة موضوعية تحليلية تشمل جوانبها المختلفة ، وتكشف عما غمض منها . كما كتب عنه الأستاذ الدكتور طه حسين مقالا طريفا فى « حديث الأربعاء » فيه دراسة قيمة للشاعر ولكنها موجزة بطبيعة الحال ، لذلك وجدت أن الميدان الأدبى ما زال فى حاجة إلى دراسة موضوعية وفنية لشعر هذا الشاعر مع بحث حياته بحثا فاحصا فاخترت هذا الموضوع مستنيرا برأى أستاذى الدكتور شوقى ضيف وتوجيهه الرشيد .

وسلكت فى دراستى نهجا يتناسب مع طبيعة الموضوع التى اقتضت تقسيمه إلى ثلاثة فصول ، تناولت فى الفصل الأول منها سيرة حياته فبدأتها بعرض المصادر التى ترجمت له أو ذكرت أخبارا عنه مبينا أهمية كل مصدر وما ورد فيه من المعلومات والأخبار ومدى إفادته للباحث فى استجلاء جوانب حياة الشاعر ، ورتبتها ترتيبا تاريخيا بحسب تواريخ وفاة مؤلفيها مبتدئا بأقدمها وأقربها إلى عصره .

وانتقلت من ذلك إلى بحث نسبه ونشأته وثقافته ، فناقشت ما قيل فى أصله ورجحت القول الأقوى بأنه فارسى من موالى باهلة . وحاولت تحديد

التاريخ الصحيح لمولده مستندا إلى شواهد من حياته ومن شعره . ثم عرضت لنشأته بالبصرة وصحبته لأبى نواس فى تلقى العلم على يد العلماء المشهورين بها فى ذلك العصر ، وتلمذته على يد والبة بن الحباب وعلى شعراء المجون والخمر المعاصرين له والسابقين عليه واختلاطه بخلعاء الكوفة ، وأخذه بنصيب من الثقافة الأجنبية التى انتشرت إثر نشاط حركة الترجمة فى ذلك العصر . ومن ذلك تكونت ثقافة الشاعر وانعكست آثارها على شعره .

ومضيت إلى دراسة شخصيته مستجليا سماتها البارزة فى ظرفه وخلاعته ومجونه من ناحية ،وفى رجولته ووفائه وشجاعته من ناحية أخرى،مع شرح الظروف الاجتماعية التى أنضجت شخصيته وساعدت على تخلقها بهذه الصفات.

وعرضت بعد ذلك لعلاقته مع الخلفاء الذين عاصرهم من الأمين إلى المنتصر ، بعد التحقق من عدم اتصاله بالرشيد ، ولما كان هناك خلاف بين المصادر فى تحديد التاريخ الذى بدأ اتصاله فيه بالأمين ، فقد ناقشته فى ضوء الأحداث التاريخية للتثبت من التاريخ الصحيح ، وأخذت فى سرد أخباره مع هؤلاء الخلفاء مستخلصا منها حقيقة صلته بكل منهم ، وكيف كان ينادمهم ويؤنس مجالسهم بظرفه ولطافة معشره ، أو يصحبهم فى نزهاتهم وصيدهم ، ويمدحهم فينال إعجابهم ويحظى بإنعامهم عليه وتقريبهم إياه ، باستثناء ما حدث بينه وبين المأمون الذى حرمه من منادمته وقطع أرزاقه عقابا له على هجائه والتعريض به فى رثاء الأمين . وما كان من ضعفه وكبر سنه فى عهد المتوكل الذى اعتذر الحسين إليه عن عدم قدرته على منادمته فقبل عذره ، كما أعفاه المنتصر من المثول بين يديه وطلب منه أن يكتب إليه بحاجته متى أراد بعد أن أكرمه وأجازه على مدحه أحسن إجازة .

وأتبعت ذلك ببحث علاقته مع معاصريه من الأمراء وكبار رجال الدولة ومن الغلمان والجوارى والشعراء وعامة الناس ، وفى هذا الجانب حاولت استجلاء طبيعة سلوكه الماجن وخلاعته التى اشتهر بها ، وخاصة فى تعشقه للغلمان والجوارى وتغزله بهم ، وما كان من تماديه فى مجونه وتهتكه

وعربدته كما تدلنا أخباره . وإلى جانب ذلك نراه يحظى بالمكانة الأولى بين الظرفاء والندماء حتى إن علية القوم كانوا يتنافسون فى اجتذابه إلى مجالسهم وإغرائه بما يحبب إليه منادمتهم من ألوان النعيم ودواعى المتعة واللهو . كما بينت صلته بمعاصريه من الشعراء ، وما كان يجمعه بهم من مجالس الأدب والشراب والطرب ،أو صحبته لبعضهم فى النزهات ،أو ارتياد الأديرة حيث يقضون أوقاتهم فى الاستمتاع بألوان السرور واللهو ، ووجهت اهتمامى بوجه خاص إلى علاقته بأبى نواس، وماكان بينهما من صحبة أو منافسة فى قول الشعر ، وأثر ذلك فى نفسيهما ، وناقشت رأيه فيه وفى أبى العتاهية الذى كانت تربطه به الألفة والمودة . أما علاقته مع عامة الناس من مخالطيه فقد اهتم الرواة بذكر نوادرها الطريفة التى تلقى ضوءا قويا على ظرفه وحلاوة نادرته .

وأنهيت هذا الفصل بوفاته التى لم يكن فى تحديد سنتها خلاف كبير ، إذ تتفق أغلب المصادر على قول واحد ، مما يرجح اعتماده والأخذ به .

وخصصت الفصل الثانى لدراسة شعره وأغراضه ، فبدأته بعرض مصادره التى روت له ، مبينا أهمية كل مصدر من حيث انفراده برواية قصائد له أو أبيات دون المصادر الأخرى ، أو من حيث سبقه فى الرواية على غيره وعدد الأبيات التى أوردها ، واتبعت فى ترتيبها نفس الطريقة التى اتبعتها فى عرض مصادر ترجمته ، أى بحسب تواريخ وفاة مؤلفيها .

وكانت المشكلة الهامة التى تعرض لها شعر الحسين هى اختلاطه بأشعار معاصريه ، ولذا كان لزاما أن أتناولها بالبحث ، فوضحت الأسباب التى أدت إلى هذا الاختلاط ، وخاصة بين شعره وشعر أبى نواس الذى نسب إليه غير قليل من قصائد الحسين ومقطوعاته . وجمعت كل الشواهد التى عثرت عليها بالبحث فى المصادر العديدة ، والتى وجدت فيها اختلافا فى نسبة الشعر ، محاولا التثبت من نسبته الصحيحة ، سواء للحسين أو لغيره من الشعراء .

وفى دراسة أغراض شعره فصلت بين اتجاهين : أحدهما تقليدى ، والآخر تجديدى . وتتمثل أغراضه التقليدية فى المديح والرثاء والهجاء

والاعتذار والاستماح ، وقد حاولت الوقوف على مدى اتباعه لتقاليد الشعرية القديمة وخاصة فى مدحه ومدى خروجه عليها ، كما بينت المناسبات أو الظروف الخاصة التى أنشد فيها قصائده ، وإلى أى حد كان يوفق فى التعبير عن مشاعره الحقيقية وفى التأثير على الآخرين،أو ما كان لشعره من وقع فى النفوس ومن إعجاب بإجادته وبراعته .

أما أغراضه التجديدية فهى خمرياته،ومجونه،وغزله بالغلمان ، وشعره فى الديارات وأماكن اللهو . وإذا كان منها ما سبق لشعراء القول فيه كالخمر فإنه قد جدد وأبدع فى صفتها ومعانيها على نحو ما بينته وفصلت الحديث فيه : بينما نجد الأغراض الأخرى وليدة عصره ، وأنه من الشعراء الذين أبدعوا فيها وتفننوا . ولإثبات مكانته الأدبية فى تجديده وتفوقه استأنست بآراء النقاد الذين شهدوا له بذلك ووضعوه فى المنزلة التى تليق به .

وأفردت الفصل الثالث لبحث خصائص شعره الفنية ، وأولها : التجربة الحية التى تمثلت فى معظم قصائده ، والتى يعبر فيها عن أحداث جرت له أو عانى من تأثيرها فى نفسه ، كما وضحت فى النماذج التى تناولتها بالتحليل من شعره . وثانيها : وحدة القصيدة ، وقد مهدت لها بشرح لمفهومها قديما وحديثا ، وطبقت مفهومها الحديث على أغلب شعره ، بينما لم ينطبق مفهومها القديم إلا على قصائده فى المديح . وثالثها : تعمقه فى معانيه وأخيلته ، ولكنى حددت مدى هذا التعمق بأنه لا يصل إلى درجة الغموض والإبهام ، وعرضت الشواهد التى تدل على ذلك مفصلا معانيها تفصيلا دقيقا . ورابعها : رصانة لفظه ونصاعته، إذ لم يكن يميل إلى التكلف أو الإغراب،ولم يكن من أصحاب التصنع فى البديع ، كما وضح لنا من شعره ، على أننى حاولت إظهار بعض الفروق الدقيقة بين أسلوبه فى المديح والرثاء الذى يميل إلى القوة والجزالة وبين أسلوبه فى غزله ومجونه وخمرياته الذى يميل إلى الرقة والسلاسة ، على أن الخاصية العامة لأسلوبه تتمثل فى رصانته ونصاعته . وخامسها : عنايته بالأوزان القصيرة التى شاعت بين الشعراء فى ذلك العصر . ورأيت من الضرورى أن أشرح الأسباب التى جعلت الشعراء يحفلون بالأوزان القصيرة

ويفضلون النظم عليها ، والتى كانت فى انتشار الغناء والرقص والطرب فى المجتمع العباسى إلى درجة كبيرة ، وتأثير ذلك على الشعراء وخاصة الندماء منهم كالحسين ، إذ أنه كثيرا ما كان يطلب منه أن يصنع أبياتا ليغنى بها المغنى فى المجلس . وفى النماذج الكثيرة التى اخترتها من شعره على البحور القصيرة والمجزوءة دليل قوى على تميز شعره بهذه الخاصة الفنية .

وأنهيت بحثى بخاتمة ذكرت فيها خلاصة النتائج التى توصلت إليها مبرزا عناصره الهامة فى إيجاز لتكون ملخصا مجملا له .

وأمام كثرة المصادر القديمة التى رجعت إليها لم يكن البحث يسيرا فمنها الأدبية ومنها التاريخية والجغرافية . ولكل مجموعة أهميتها فى تغطية جانب من الموضوع ، وإن كانت المصادر الأدبية تقف فى المقام الأول من حيث روايتها لمعظم أخباره وشعره . وأهمها فى ذلك كتاب « الأغانى » الذى أورد فيه أبو الفرج ترجمة واسعة من حوالى ثمانين صفحة ضمنها كثيرا من أخباره ونوادره بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من قصائد شعره ومقطوعاته تزيد على خمسمائة بيت . وتأتى بعده مصادر أخرى أفادتنا فى إضافة معلومات جديدة عن حياته وأبيات من شعره انفردت بروايتها ، كطبقات الشعراء لابن المعتز والزهرة لأبى بكر الأصفهانى ومعجم الأدباء لياقوت وزهر الآداب للقيروانى والمحاسن والمساوئ للبيهقى والوفيات لابن خلكان وغيرها .

وتغطى المصادر التاريخية الجانب السياسى فى حياته وشعره ، كموقفه فى وقت الفتنة بين الأمين والمأمون ووصفه لحال بغداد وبعض المعارك التى دارت فيها ، ورثائه للأمين ومدحه للأفشين قائد المعتصم لما انتصر على امبراطور الروم وعلى بابك الخرمى ، كما نرى فى تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير ، ونجد فى بعضها ترجمة له كما فى تاريخ ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبى .

أما المصادر الجغرافية فتتمثل أهميتها فى حفظ قصائده التى وردت فيها أسماء الأديرة والبلدان والأماكن ، كما فى معجم البلدان لياقوت ومعجم

ما استعجم للبكرى ، والديارات للشابشتى ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ، بل إننا نجد فى المصدرين الأخيرين ترجمة حسنة له تتضمن طائفة من أخباره ونوادره .

أما المراجع الحديثة التى استعنت بها فى دراستى فهى التى تناول مؤلفوها فيها دراسة العصر العباسى الأول أدبيا وتاريخيا واجتماعيا ، وهى على قلة عددها لا تنكر فائدتها وأذكر منها « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » لأستاذنا الدكتور شوقى ضيف ، إذ أفادنى فى دراسة المذاهب الفنية التى ظهرت فى عصر الشاعر والعوامل التى ساعدت على خلقها ، ووضع الحسين فى مكانه بين شعراء المدن الذين كان لهم اتجاه بارز فى عصره . وأذكر أيضا « حديث الأربعاء » لأستاذنا الدكتور طه حسين ، وكتاب « تطور الخمريات فى الشعر العربى » للدكتور جميل سعيد الذى يتصل موضوعه بدراسة شعر الخمر عند شاعرنا ، وكتاب « ضحى الإسلام » للدكتور أحمد أمين وغير ذلك من المراجع بالإضافة إلى كتب النقد الأدبى .

وبعد . . . فإنى إذ أقدم ثمرة جهدى ونتاج بحثى لأرجو أن يكون فيه ما يحقق الغاية المرجوة منه ، ويفتح أمام الدارسين للأدب العربى صفحة جديدة من صفحاته الخالدة ، ويلقى الضوء على شاعر من شعرائه كان مغمورا أو شبه مغمور ، ويضعه فى مكانه المناسب من تاريخنا الأدبى . . . وبالله التوفيق والسداد .

٢٤ من يناير سنة ١٩٦٧ م

شوقى رياض أحمد

الفصل الأول

سيرة الحسين بن الضحاك

١ — مصادر حياته :

فى مستهل بحثنا لسيرة الشاعر ، ينبغى أن نتناول المصادر التى تعرضت لترجمته ، أو ذكر أخبار عن سيرة حياته سواء بالتفصيل أو الإيجاز ، لنعرف مدى اهتمامها بذكره ومدى دقتها فى رواية أخباره ، وتواتر هذه الأخبار بينها ، وأهميتها فى دراستنا لحياته أو سيرته .

وتختلف هذه المصادر فى طريقة ذكرها للحسين أو رواية أخباره ، فمنها ما يأتى بترجمة موجزة ليس فيها شىء من تفاصيل أخباره ، ومنها ما يتوسط بين هذين ، فيذكر ترجمة بسيطة مدعمة ببعض أخباره أو نوادره ، ومنها ما يذكر بعض أخباره دون أن يتعرض لترجمته . وسنتناول كل هذه المصادر على اختلافها حسب الترتيب الزمنى لتواريخ وفاة مؤلفيها مبتدئين بأقدمها وأقربها إلى عصر الحسين .

وأقدم المصادر التى وردت فيها أخباره « المحاسن والأضداد » للجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، ومع أنه كان معاصرا للحسين ، فإنه لم يرو عنه فى كل كتبه سوى خبر واحد فى هذا المصدر عن اجتماع بعض الشعراء وهو من بينهم ، إذ أخذوا يتنافسون فى أن يدعو كل واحد منهم إخوانه شعرا ، ليجتمعوا فى داره ويعقدوا مجلس الشراب واللهو[١] .

وقد نعجب أو نتساءل عن السبب فى عدم اهتمام الجاحظ بذكر الحسين أو رواية بعض أخباره فى كتبه التى جمع فيها الكثير من أخبار الشعراء ، ولا نجد الجواب الشافى على هذا السؤال ، أو التفسير المقنع لهذه الظاهرة .

---

(١) المحاسن والأضداد ص ١٩٥ ط ليدن سنة ١٨٩٨ .

وبعد ذلك بربع قرن يأتى أحمد بن أبى طاهر طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠هـ) فيروى فى « كتاب بغداد » بعض أخباره مع الخليفة المأمون وأخيه صالح ابن الرشيد ، أولها[١] خبر قدوم المأمون إلى بغداد وأمره بأن يسمى له قوم من أهل الأدب يجالسونه ويسامرونه ، ورفضه أن يكون الحسين من بينهم لما قاله فى رثاء أخيه الأمين ، إذ عرض بالمأمون وهجاه، والخبر الثانى[٢] هو محاولة أخيه صالح استرضاءه على الحسين بإنشاده بعض أبيات له فى مدحه ، ونلاحظ أن هذا الخبر ناقص ، لأنه لم يذكر رد المأمون عليه أو تعليقه على قوله لنعرف نتيجة هذه المحاولة .وسنجد ذلك كاملا فى مصادر أخرى. والخبر الثالث[٣] أن المأمون دخل بيت صالح على حين غفلة فوجده مع بعض جلسائه يحاولون محو شعر مكتوب فى دفتر ، فلما رأوه ألقوا بالدفتر وقرأه المأمون فوجده فى هجائه ، فلم يغضب لذلك ، بل أمر بأن يغنى فيه ، وأجاز المغنى . والخبر الرابع[٤] أن الحسين حضر مجلسا لصالح وقال أبياتا غنى فيها .

وهذه الأخبار وإن كانت وردت بعد ذلك فى مصادر أخرى كالأغانى وغيره بصورة أكثر تفصيلا ، فإنها تعطى هذا المصدر أهمية غير قليلة بصفته أقدم مصدر رواها لنا .

ويلقانا بعد ذلك كتاب « طبقات الشعراء » لابن المعتز (المتوفى سنة ٢٩٦ هـ) ، الذى أورد للحسين ترجمة[٥] غير وافية ، ولكنها أمدتنا ببعض المعلومات المفيدة عن حياة الحسين. فهو لم يذكر شيئا عن نسبه وأصله ولا عن مولده أو وفاته أو أحداث حياته المهمة . إلا أنه ذكر مكانته فى الشعر وقارنه بأبى نواس مقارنة خاطفة ضمنها رأيه الذى نقلته عنه مصادر كثيرة أتت بعده . كما نبه إلى مشكلة هامة تعرض لها شعر الحسين وهى نسبة كثير

---

(١) كتاب بغداد ص ٥٨ ط ليبزج سنة ١٩٠٨ .
(٢) نفسه ص ٣١٢ .
(٣) نفسه ص ٣٣٣ .
(٤) نفسه ص ٣٢٤ .
(٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٨ — ٢٧١ .

منه إلى أبى نواس . وقد ذكر ابن المعتز أن والبة بن الحباب كان أستاذا للحسين ، وهذا خبر يحتاج إلى تثبت وتحقيق لانفراد ابن المعتز بذكره دون المصادر الأخرى.

وأورد ابن المعتز فى ترجمته خبرا يوضح لنا جانبا آخر من علاقة الحسين بالمأمون ، إذ سأل عنه أحد القادمين من البصرة ، وأبدى إعجابه بظرفه واستحسن مدحه فيه ، وطلب استقدامه، ولكن هذا اعتذر عن الحسين بأنه عليل ، فكتب المأمون إلى عامله بالبصرة بأن يدفع له ألف دينار . كما أورد نادرة من نوادر الحسين مع أبى نواس أيام كان بالبصرة وهى نادرة جبة الخز ، التى سنعرفها بالتفصيل فيما بعد ، وترجع أهميتها إلى أنها تؤكد معاصرة الحسين لأبى نواس فى فترة نشأتهما بالبصرة ، وهذا سيفيدنا فى تحقيق تاريخ مولده . وفى موضع آخر من كتاب ابن المعتز نعرف أن الحسين كان له أخ يسمى جعفرا ، إذ أنه أورد بيتين للجماز يهجو فيهما الحسين وأخاه هذا[1] .

وفى القرن الرابع الهجرى نلتقى بأهم المصادر التى كتبت عن الحسين، وأولها تاريخ الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) ، وهو قد عمر طويلا لأن ميلاده كان سنة ٢٢٤ هـ ومعنى ذلك أنه عاصر الحسين حوالى ستة وعشرين عاما ، وهو لا يعطينا ترجمة للحسين ، وإنما يذكر عنه أخبارا مهمة وأشعارا كثيرة، وخاصة فى الفترة التى حاصرت فيها جيوش المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين حتى دخلها عنوة وقتل الأمين ، فيعرفنا أن الحسين كان بجوار الأمين فى هذه المعركة وأنه كان يتابعها بأشعاره ، فحينما اشتد القتال بين جيش طاهر وأنصار الأمين حتى أوحشت بغداد وخاف الناس أن تبقى خرابا قال فى ذلك شعرا[2] ، ولما انتصر رجال الأمين فى بعض المواقع قال فى ذلك شعرا[3] وأظهر

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٤ . (٢) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٨٧٣ ط ليدن .

(٣) نفسه جـ ٣ ص ٨٨٢ .

فرحته بهذا النصر وشجع الأمين، وحين عمل أحد القواد عملا يحقن به الدماء ذكر ذلك فى شعره[١] ويذكر الطبرى أن الحسين الأشقر مولى باهلة كان من ندماء الأمين ، وكان لا يصدق بقتله ويطمع فى رجوعه[٢]، ويسجل الطبرى له قصيدتين فى رثائه . ويذكر بعد ذلك خبرا سبق أن أشرنا إليه فى كتاب بغداد لطيفور ، وهو محاولة صالح بن الرشيد استرضاء المأمون على الحسين[٣]. وبعد ذلك لا نجد ذكرا للحسين إلا فى مدحه للأفشين قائد المعتصم بعد وقعته مع ملك الروم[٤]. وفى مواضع أخرى يذكره راوية فقط لبعض الأخبار كشاهدته لأول مجلس قعده الواثق[٥] بعد وفاة المعتصم ، وكذكره لسفينة الأمين التى ابتناها على شكل الدلفين[٦].

بعد ذلك نجد فى «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسى (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) خبرا واحدا عن الحسين لما نادم المتوكل وداعب خادمه شفيعا، وقال فيه شعرا[٧]، وهو خبر سيتكرر كثيرا فى المصادر التالية مع اختلاف بسيط فى روايته .

ويأتى أبو بكر الصولى (المتوفى ٣٣٥ هـ) فيذكر فى تقدمه لديوان أبى نواس قضية اختلاط شعر الحسين بشعره، محاولا إثبات بعض ما نحل لأبى نواس من شعر الحسين ، ويذكر خبر مقابلتهما التى أنشد فيها الحسين أبا نواس قصيدته الكافية وما كان من أخذ أبى نواس بعض معانيها فى قصيدته التى أنشدها الحسين بعد أيام[٨] .

ويأتى المسعودى (المتوفى سنة ٣٤٥هـ) فيروى بعض الأخبار عن الحسين فى كتابه « مروج الذهب » منها خبر سبق وروده فى تاريخ الطبرى وهو

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ص ٩٠٥ .
(٢) نفسه جـ ٣ ص ٩٤١ .
(٣) نفسه جـ ٣ ص ١١٥٨ .
(٤) نفسه جـ ٣ ص ١٢٥٤ .
(٥) نفسه جـ ٣ ص ١٣٦٥ .
(٦) نفسه جـ ٣ ص ٩٥٣ .
(٧) العقد الفريد جـ ٨ ص ٩٦ ط سنة ١٩٥٣ .
(٨) ديوان أبى نواس المخطوط رواية الصولى ص ١٠ ، ١٣ .

تشجيع الحسين للأمين بأبيات من الشعر بعد انتصار رجاله على رجال طاهر فى إحدى الوقائع[١] وخبر آخر هو ماذكره ابن عبد ربه فى «العقد الفريد» ولكنه زاد فى روايته ، فذكر حضور محمد بن عبد الله ابن طاهر هذا المجلس وتعليقه على عطاء المتوكل للحسين[٢] أما الخبر الثالث فهو رثاء الحسين للمتوكل والفتح بن خاقان ببيتين من الشعر[٣] وهو المصدر الوحيد الذى انفرد بنسبة هذا الرثاء للحسين .

وللمسعودى كذلك كتابه « التنبيه والإشراف » فيه ذكر مدح الحسين لكل من الأفشين والمعتصم بمناسبة فتح عمورية[٤] . وقد ذكر الطبرى مدحه للأفشين أما مدحه للمعتصم فقد انفرد المسعودى بروايته دون المصادر الأخرى. ولهذا أهميته فى توضيح مدى علاقة الحسين بالمعتصم زيادة على ماتذكره المصادر الأخرى .

يأتى بعد هؤلاء أبو الفرج الأصفهانى (المتوفى سنة ٣٥٦ ﻫ) فيسجل كتابه «الأغانى » أوسع ترجمة للحسين ،ويضمنها معظم أخباره ونوادره وأشعاره ،وقد ذكر ما قيل فى نسبه وأصله من روايات مختلفة ، وفى أى بيت من القبائل العربية كان ولاؤه ، ولم يورد أبو الفرج سنة ميلاده أو وفاته بالتحديد ، ولكنه أورد رواية عن الحسين بأنه لا يذكر مولده بالضبط وإنما يذكر موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة . وهذه الرواية مهمة فى تحقيق تاريخ ميلاده . أما عن وفاته فقد ذكر أنه مات فى خلافة المستعين أو المنتصر دون تحديد ،وتحدث أبو الفرج عن نشأة الحسين بالبصرة مع أبى نواس ذاكرا قصة جبة الخز التى أشرنا إليها فى «طبقات الشعراء» لابن المعتز ، ثم ذكر خروجه من البصرة إلى بغداد واتصاله بأعيانها ومدحهم وبدء اتصاله بصالح بن الرشيد ثم بالأمين وإخوته إلى أن قتل . وروى بعض

---

(١) مروج الذهب ﺟ ٢ ص ٢٤١ ط سنة ١٢٨٣ ﻫ .

(٢) نفسه ﺟ ٢ ص ٣٠٨ . (٣) نفسه ﺟ ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) التنبيه والاشراف ص ١٤٤ — ١٤٥ ط ١٩٣٨ .

أخبار منادماته للأمين ونوادره الطريفة معه، وبين رد الفعل الذى حدث للحسين بعد مقتل الأمين، وكيف اشتط فى رثائه حتى هجا المأمون وما أصابه نتيجة ذلك من إبعاد المأمون إياه ومحاولات الحسين الاتصال بالمأمون لنيل عفوه، ثم تابع عودته إلى قصور الخلفاء بعد تولى المعتصم، ومنادمته له وللواثق والمتوكل إلى أن كبرت سنه، فاعتذر للمتوكل عن عدم قدرته على حضور مجالسه ويورد أبو الفرج خبرا عن اتصاله بالمنتصر بعد ذلك ومدحه. وهكذا يعرفنا كثيرا من أخبار منادمته لهؤلاء الخلفاء وعلاقته بهم، ومصاحبته إياهم فى إقامتهم وترحالهم، مما يبين لنا بوضوح مكانته الحقيقية عندهم ويفيدنا فى دراسة سيرته.

ولا يكتفى أبو الفرج بذكر ما كان بين الحسين وبين الخلفاء، بل يذكر كذلك صلته بالأمراء العباسيين كصالح وأبى عيسى وأبى أحمد أبناء الرشيد وإبراهيم بن المهدى، كما يذكر صلته بأشراف القوم وأعيانهم، كالحسن بن سهل والحسن بن رجاء والفتح بن خاقان وغيرهم. وكذلك أخباره مع شعراء عصره وأدبائه؟ كأبى نواس وأبى العتاهية وابن مناذر وابن خلاد وعمرو بن مسعدة، وأخباره أيضا مع بعض المغنين المشهورين كابن بُسخنَّر ومُخارق.

ومن أهم الجوانب التى ذكرها أبو الفرج فى ترجمته للحسين علاقاته بالغلمان والجوارى وأخباره معهم، كيُسر خادم أبى عيسى بن الرشيد ومقحم خادم ابن شفوف والجارية فنّ وغيرهم من الغلمان والجوارى، وسجل أبو الفرج مجونه وتهتكه فحفظ لنا بذلك ما يعرفنا بشخصية الحسين على حقيقتها، وما يفيدنا فى دراستها فائدة كبيرة.

ولم يفت أبو الفرج أن يسجل بعض أخبار الحسين ونوادره مع عامة الناس كنادرته مع أحد جند الشام ومحبوبته « بصبص »، وغير ذلك[1].

---

(١) انظر ترجمة الحسين فى الأغانى جـ ٧ ص ١٤٦ وما بعدها ط دار الكتب، جـ ٦ ص ١٧٠ وما بعدها طبعة بولاق والمجلد السابع ص ١٤٣ وما بعدها ط دار الثقافة.

فهى إذن ترجمة وافية عن الحسين لم تزد عليها المصادر الأخرى إلا بعض الأخبار القليلة أو بعض المعلومات اليسيرة .

وبعد أبى الفرج بقليل يأتى حمزة بن حسن الأصفهانى (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) فيذكر فى مقدمة ديوان أبى نواس خبر اجتماع بعض الشعراء وبينهم الحسين ، حيث يدعو كل منهم إخوانه شعرا لعقد مجلس الشراب فى داره[1] وقد سبق الجاحظ برواية هذا الخبر كما عرفنا . ويذكر أيضا خبر صلاة الجماعة[2] ، وإن كان لا يورد اسم الحسين ضمن الشعراء المذكورين فى الخبر ، كما نرى فى المصادر الأخرى .

بعد ذلك يأتى الآمدى (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) فيذكر فى كتابه « المؤتلف والمختلف » ترجمة موجزة للحسين ، لا تعدو اسمه وكنيته ولقبه الذى اشتهر به ، وأنه كان ظريفا وصاحبا لأبى نواس[3] .

ثم يأتى التنوخى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) فيذكر فى كتابه « الفرج بعد الشدة » خبرين[4] عن الحسين أولهما خبره مع المأمون ، وقد ذكر أنه نقله عن أبى الفرج . وثانيهما خبره مع المعتصم لما غضب عليه فكتب الحسين إليه أبياتا يستعطفه بها فعفا عنه ، وهذا الخبر موجود كذلك بالأغانى .

ومع التنوخى يأتى المرزبانى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) فيذكر فى كتابه « الموشح » خبرا عن أبى تمام الطائى ينشد شعره فى منزل الحسين[5] .

وبعدهما بقليل يأتى الشابشتى (المتوفى سنة ٣٨٨ هـ) فيكتب عنه فى كتابه « الديارات » بعض الأخبار[6] التى تتصل بموضوع كتابه . ويعرفنا بالأديرة

---

(١) ، (٢) انظر مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصفهانى ط آصاف .
(٣) المؤتلف والمختلف للآمدى ص ١١٣ .
(٤) الفرج بعد الشدة جـ ١ ص ٧١ — ٧٢ .
(٥) الموشح ص ٥٠٢ ط سنة ١٩٦٥ .
(٦) انظر الديارات صفحات ٢١ ، من ٣٥ إلى ٤٠ ، ص ٩٨ ، ١٥١ ، ١٦٦

التى كان الحسين يرتادها مع صحبه . ويذكر شهرته فى الخلاعة والمجون ومنادمته للخلفاء من الأمين حتى المتوكل،ويستثنى المأمون ، ذاكرا فى إيجاز خبر الحسين معه .

والجديد فيما كتبه الشابشتى عن الحسين هو حادثة حدثت له حين كان مصاحبا للمعتصم فى بعض نزهاته ، وقد انفرد بذكرها دون المصادر الأخرى. وكذلك حضوره للحفل العظيم الذى أقامه المتوكل بمناسبة إعذار ابنه المعتز .

ويذكر عن الحسين كذلك استهتاره بالخدم فيروى قصته المشهورة مع شفيع خادم المتوكل . كما يذكر منادمته لصالح بن الرشيد ، ودعوة الحسين بن رجاء وابن بسخنر إياه لكى ينادمهما . وكل هذه الأخبار نجدها فى الأغانى وغيره . ومع ذلك ففيما كتبه الشابشتى عن الحسين معلومات جديدة تفيدنا فى دراسته .

ونجد فى مخطوط « الجليس والأنيس » للمعافى بن زكريا النهروانى (المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) قصة جبة الخز المشهورة للحسين مع أبى نواس[١] .

كما نجد القصة نفسها فى « ديوان المعانى » لأبى هلال العسكرى(المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) والذى ذكر أيضا خبره مع المأمون فى محاولة العفو عنه ، ولكنه يرويه بطريقة تختلف قليلا عن الروايات السابقة . وذكر كذلك رواية عن الخليفة المكتفى بالله بأنه سأل جلساءه عن أهتك بيت قالته العرب ، ثم ذكر هذا البيت للحسين[٢] .

وفى القرن الخامس الهجرى يقل عدد من كتبوا عن الحسين بالقياس إلى من كتبوا عنه فى القرن الرابع ، وتمتاز تراجمهم له بالإيجاز ، ومع ذلك فهى لا تخلو من بعض المعلومات الجديدة عنه . وفى مقدمة هؤلاء أبو منصور

---

(١) انظر الجليس والأنيس (مخطوط رقم ٥٧٤) أدب بدار الكتب ورقة ٢٨ .

(٢) ديوان المعانى جـ ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، جـ ١ ص ٢٠٢ .

الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ ه) الذى كتب عنه ترجمة موجزة فى كتابه «المنتحل» ذكر فيها اسمه وكنيته ولقبه وأصله وبيت ولائه ، ومكانته فى الشعر واتصاله بالخلفاء ، وعلاقته بأبى نواس ثم حدد تاريخ وفاته بذكر السنة[١] . وهو أول من ذكره محددا ممن ترجموا للحسين ، ولهذا أهميته فى دراسة سيرة حياته .

وبعده بقليل يأتى أبو سعيد العميدى (المتوفى سنة ٤٣٣ ه) فيكتب عنه فى كتابه « الإبانة عن سرقات المتنبى » ترجمة موجزة كالسابقة ، إلا أنه لم يذكر بيت ولائه . أما الجديد فيها فهو تحديد السنة التى اتصل فيها الحسين بالأمين[٢] .

ثم يأتى ابن رشيق القيروانى (المتوفى سنة ٤٥٦ ه) فيذكر فى كتابه «العمدة» بعض الأخبار عن الحسين ، يذكر مكانته بين شعراء عصره ويجعله بين المشهورين بجودة القطع الشعرية من المولدين[٣] . كما يذكر خبر صلاة الجماعة لبعض الشعراء ومنهم الحسين[٤] ، وهو الخبر الذى رواه قبله حمزة الأصفهانى[٥] دون ذكر الحسين فيه كما أشرنا من قبل ويروى كذلك خبره مع أبى نواس لما سطا على بعض معانيه فى الخمر[٦] . وقد سبق ذكره فى الأغانى . كما يذكر خبر اجتماعه مع أبى نواس وأبى العتاهية الذى أنشدهما أبياتا لنفسه فأعجبتهما وسلما له بالسبق وملاحة القصد[٧] .

بعد ذلك بقليل نجد الخطيب البغدادى (المتوفى سنة ٤٦٣ ه) يكتب عنه ترجمة موجزة فى كتابه « تاريخ بغداد » كترجمة الثعالبى والعميدى ،

---

(١) المنتحل ص ٢١٩.

(٢) الابانة عن سرقات المتنبى ص ١٨٤ .

(٣) العمدة ج ١ ص ١٠١ ، ١٨٨ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٩١ — ٩٢ .

(٥) انظر مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصفهانى .

(٦) العمدة ج ٢ ص ١٨١ .

(٧) نفسه ج ١ ص ١٠٦ .

ولكنه زاد نقطتين جديدتين هامتين لم يذكرهما أحد قبله ، النقطة الأولى أنه حدد تاريخ السنة التى ولد فيها الحسين ، والثانية أنه ذكر تاريخا آخر لاتصال الحسين بالأمين[١] غير الذى ذكره العميدى من قبل فى «الإبانة» .

وبعده يأتى أبو عبيد البكرى (المتوفى سنة ٤٧٨ هـ) فيذكر فى كتابه « معجم ما استعجم » بعض أخبار الحسين التى تتعلق بالديارات ، منها خبران[٢] عن اجتماعه مع بعض أصحابه فى عُمْر نصر ، أو عمر سر من رأى ، حيث شربوا وطربوا بالغناء ، وخبر ثالث عن نزوله بدير مران بالشام مع الرشيد[٣] .وهو نفس الخبر الذى أوردته المصادر الأخرى على أكان مع المعتصم لا الرشيد .

وآخر من ترجموا له فى هذا القرن أبو إسحاق الحصرى القيروانى (المتوفى سنة ٤٨٨هـ) فيروى فى كتابه «زهر الآداب» خبرين عن الحسين[٤] ، أولهما خبر سطو أبى نواس على بعض معانيه فى الخمر ، وهو الخبر الذى ذكره ابن رشيق فى العمدة وأبو الفرج فى الأغانى ، وثانيهما خبره مع المتوكل وخادمه شفيع . وقد سبقت به كذلك عدة مصادر .

ويطلع القرن السادس الهجرى فلا نجد فيه غير ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) الذى يكتب عنه فى تاريخه ترجمة متوسطة مدعمة ببعض أخباره ونوادره[٥] ، وهى تكرار لما ذكره البغدادى ، مع إضافة بعض الأخبار الأخرى المكررة كذلك ، فمنها خبر سبق أن رواه البكرى فى معجمه ، وهو عن خروجه مع الرشيد إلى الشام ونزوله بدير مران ، ولكنه يصححه مرجحا أن يكون خروجه مع المعتصم ، ومنها خبره المعروف مع المأمون ، أو محاولة

---

(١) انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) انظر معجم ما استعجم ص ٦٠٩ ، ١٠٦٩ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٦٠٢ .

(٤) انظر زهر الآداب ج ٢ ص ١١٤ ، ٢١١ .

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ وما بعدها .

صالح بن الرشيد استرضاء المأمون عليه ، ومنها كذلك خبر جبة الخز ، وخبر صلاة الجماعة ، وخبر اجتماعه مع الشعراء وتباريهم فى الدعوة إلى الشراب والمنادمة بالشعر .

وفى القرن السابع الهجرى نجد خمسة مصادر كتبت عن الحسين ،أولها « بدائع البدائه » لعلى بن ظافر الأزدى(المتوفى سنة ٦١٣هـ)ولم يورد إلا بعض الأخبار التى تدل على بديهة الشاعر الحاضرة فى قرض الشعر ، كمنادمته للمتوكل وما قاله فى خادمه شفيع ، وإجازته لأبى العتاهية لما قال بيتا على باكية تبكى على قبر ، وقصة صلاة الجماعة مع الشعراء[١] .

ويأتى بعده بقليل أحمد بن عبد المؤمن الشريشى (المتوفى سنة ٦١٩ هـ) فيذكر بعض الأخبار المعروفة عن الحسين كمنادمته مع الواثق ، وقصة جاريته ، ومع الحسن بن سهل وغزله بغلامه[٢] ومع المتوكل وخادمه الشفيع[٣] وإعجاب المتوكل بشعره أمام على بن الجهم[٤] ، وخبره مع خادم أبى عيسى ابن الرشيد[٥] وكلها أخبار سبقت فى الأغانى وغيره من المصادر .

وبعده بسنوات قليلة كذلك يأتى ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) فيكتب عنه فى كتابه «معجم الأدباء » ترجمة[٦] جمع معلوماتها من المصادر التى سبقته ، إلا أنه يختلف مع البغدادى وابن عساكر فى ذكر سنة اتصاله بالأمين ، ويتفق فيها مع العميدى ،ويتفق مع أبى الفرج فى ذكر أصله ،ثم يذكر بعض أخباره المعروفة كخبر غضب المأمون عليه باختصار ،واستقدام المعتصم إياه وإكرامه بعد مدحه ، كما يذكر غضب المعتصم عليه وكتابة الحسين إليه يسترضيه.

---

(١) انظر بدائع البدائه ص ١٢٣ ، ١٩٢ .

(٢) انظر شرح المقامات الحريرية جـ ٢ ص ١٨٢ ، ٤٢١ .

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٥) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٥ .

(٦) معجم الأدباء جـ ١٤ ص ٥ وما بعدها .

ويذكر مدحه للواثق وللمنتصر الذى أظهر إكرامه والسرور به ، وخبر منادمته مع عبد الله ابن العباس بن الفضل . وكلها أخبار سبقت روايتها فى الأغانى وغيره .

وبعد ذلك بقليل أيضا يأتى ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) الذى يكتب عنه فى تاريخه « الكامل » بعض الأخبار التى قرأنا معظمها فى تاريخ الطبرى ، والمسعودى أو فى الأغانى أو فى المصادر الأخرى ، كخبر قطع خزيمة الجسر فى حصار بغداد ومدح الحسين لعمله هذا فى شعره[1] وكرثائه للأمين وخبر مقابلته للمأمون وعتابه إياه ، واعتذار الحسين[2] كذكر تاريخ مولده وتاريخ وفاته[3] .

وفى أواخر القرن السابع نجد ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) الذى يكتب عنه فى كتابه « وفيات الأعيان » ترجمة[4] موجزة كترجمة البغدادى والثعالبى والعميدى . ولكنه يختلف مع البغدادى فى ذكر تاريخ اتصاله بالأمين ويتفق مع العميدى . والجديد فى ترجمته أنه أشار إلى أن ابن المنجم قد ذكر الحسين وأورد كثيرا من شعره فى كتابه « البارع » وإن كان هذا الكتاب من الكتب التى فقدت ولم تصل إلينا .

وفى القرن الثامن الهجرى نجد خمسة كتبوا عن الحسين أولهم أحمد بن عبد الوهاب النويرى (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ) ولم يذكر عنه فى كتابه «نهاية الأرب » إلا أخبارا قليلة معروفة كخبر غضب المأمون عليه ثم عفوه باختصار . كما ذكر خلاعته ومجونه وصحبته لأبى نواس وحجه معه بمكة[5] وهى أخبار مكررة .

---

(١) الكامل فى التاريخ جـ ٦ ص ١٩٤ .
(٢) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٠٤ .
(٣) المصدر السابق جـ ٧ ص ٨٩ حوادث سنة خمسين ومائتين .
(٤) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٩٣ .
(٥) نهاية الأرب جـ ٣ ص ٢٥٦ ، جـ ٤ ص ١١٩ .

وبعده يأتى شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) فيذكر فى كتابه « تاريخ الإسلام » ترجمة موجزة تقرب مما ذكره البغدادى وابن خلكان ، وإن لم يذكر فيها سنة ميلاده أو سنة اتصاله بالأمين ، بينما ذكر سنة وفاته عن بضع وتسعين سنة ، كما ذكر خبره المعروف مع المتوكل وخادمه شفيع[1] .

ثم نجد فى منتصف هذا القرن ابن فضل الله العمرى (المتوفى سنة٧٤٩هـ) الذى كتب عنه فى كتابه « مسالك الأبصار » ترجمة دعمها ببعض أخباره وبكثير من شعره[2] ، وترجمته لا تجمع المعلومات التى ذكرتها التراجم السابقة ، فلم يذكر مثلا تاريخ ميلاده أو أصله أو بدء اتصاله بالأمين وأخباره الهامة مع الخلفاء . أما الأخبار التى ذكرها فهى عن منادمته للواثق وخانة النشط ، وعن خروجه مع الرشيد إلى دير مران بالشام[3] وقد سبق ورودها فى مصادر أخرى كما أشرنا من قبل .

ويأتى ابن شاكر الكتبى (المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) فيكتب عنه فى كتابه « عيون التواريخ » ترجمة[4] أدق من السابقة يذكر فيها أصله ونسبه وتاريخ وفاته ، وحديثه عن سنة ميلاده الذى ذكره أبو الفرج فى الأغانى ، ومنادمته للخلفاء وصلته بأبى نواس ، وسطوه على معانيه فى الخمر ، كما ذكر خبره مع المأمون كاملا وزاد عليه بتعليق هام ، وخبر استقدام المعتصم له وإكرامه بعد أن مدحه ، ومنادمته للمتوكل وعبثه بخادمه شفيع ، ويروى كثيرا من شعره مع هذه الترجمة .

وآخر من كتب عنه فى هذا القرن هو الإمام عفيف الدين اليافعى (المتوفى سنة ٧٦٨ هـ) الذى كتب عنه ترجمة[5] موجزة فى كتابه « مرآة

---

(١) تاريخ الاسلام (مخطوط) جـ ١٣ ص ٤٥ ، ٥١ .

(٢) مسالك الابصار (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٩٠ وما بعدها .

(٣) مسالك الابصار مطبوع جـ ١ ص ٣٩٤ ، ص ٢٥٥ .

(٤) عيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٧٠٩ وما بعدها ، ص ٦٥٩ .

(٥) مرآة الجنان جـ ٢ ص ١٥٦ .

الحنان » وتنقصها بعض المعلومات الأساسية كميلاده وأصله ونسبه ، كما أنه لم يذكر معها شيئا من أخباره .

أما القرن التاسع الهجرى فلا نجد فيه من كتب عن الحسين إلا اثنين ، أحدهما بدر الدين العينى (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) الذى كتب عنه فى كتابه « عقد الجمان » ترجمة[١] تتفق مع ما كتبه ابن خلكان تماما ، إلا أنه زاد عليه بذكر خبره مع الحسين بن سهل وغلامه ، وقد نقل هذا الخبر من الأغانى بألفاظه .

أما الثانى فهو ابن تغرى بردى (المتوفى سنة ٨٧٤ هـ) وهو لم يكتب ترجمة عنه ، وإنما ذكر فى كتابه «النجوم الزاهرة» خبره مع المأمون فحسب .

وفى القرن العاشر لا نكاد نجد شيئا كتب عن الحسين ، اللهم إلا ما كتبه عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) عن خبره مع المأمون باختصار فى كتابه « تاريخ الخلفاء »[٣] .

وفى القرن الحادى عشر لا نجد إلا ابن العماد الحنبلى (المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ) وقد كتب عنه ترجمة موجزة ، تتفق مع ما كتبه ابن خلكان والعينى ، وذلك فى كتابه «شذرات الذهب» وإن ذكر تاريخا آخر لوفاته لم يذكره أحد قبله . ثم أبدى شكه فيه . كما لم يذكر تاريخ ميلاده ولا تاريخ اتصاله بالأمين[٤] .

وفى العصر الحديث نلتقى ببعض المصادر التى ترجمت له كذلك ، ولا نجد فيها جديدا على ما ذكرته المصادر القديمة ، وإنما نجد معلوماتها مستمدة منها . من ذلك (دائرة المعارف الإسلامية) التى ترجمت له ترجمة موجزة فيها اسمه ولقبه وسلوكه وسنة مولده وسنة وفاته ، واتصاله بالأمين ورثائه ، إلا أن فيها بعض اللبس ، إذ تقول بعد ذكر رثائه للأمين « وقد ظل الباهلى بعد هذا

---

(١) عقد الجمان (مخطوط) جـ ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ .

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ . (٤) شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤ .

موضع تقدير كبير فى بلاط الخليفة الجديد »[١] ويفهم من ذلك أنه كان موضع تقدير عند المأمون الذى لم توضح الترجمة علاقته به ، وهذا مخالف للحقيقة التى ذكرتها المصادر الأخرى تماما .

ونجد كذلك ترجمة[٢] موجزة فى «الأعلام» للزركلى ذكر فيها لقبه والخلاف فى أصله دون حسم لهذه القضية ، كما ذكر صلته بالخلفاء وتاريخ مولده ووفاته وإغارة أبى نواس على معانيه فى الخمر .

وبهذا نكون قد استعرضنا جميع المصادر التى كتبت عن حياة الحسين وعن سيرته ، وعرفنا ما قدمه لنا كل مصدر من المعلومات والأخبار ومدى أهميتها فى استجلاء جوانب حياته .

٢ — نسبه ونشأته وثقافته :

أول ما يصادفنا فى تحقيق نسب الحسين بن الضحاك أن نعرف حقيقة أصله ، هل هو عربى باهلى صليبة أى خالص النسب ، كما ذكر محمد بن داود الجراح ، أم أنه مولى لباهلة وليس من أبنائها العرب الأصلاء ؟ .

هذا السؤال قد يثير الشك فى حقيقة أصل الحسين ، ولكننا نجد أبا الفرج الأصفهانى — وهو أول من أثار هذا الشك — ينفى قول ابن الجراح هذا فيقول : « والصحيح أنه مولى لباهلة »[٣] وكذلك ياقوت الذى يقول « فهو مولى لا باهلى النسب كما زعم ابن الجراح »[٤] . أما أغلب المصادر التى ترجمت للحسين فهى لا تتعرض لهذا السؤال بالمرة ، وإنما تذكر أنه مولى لباهلة وأن أصله من خراسان[٥] ما عدا ابن عساكر الذى لم يذكر رأيا قاطعا فى هذه

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ ٣ ص ٣٢٠ (٢) الأعلام جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٦ . (٤) معجم الأدباء جـ ١٠ .

(٥) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٥٤ والمنتحل ص ٢١٩ ووفيات الأعيان جـ ١ ص ١٩٣ ومسالك الأبصار (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٩٠ وعيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٧٠٩ وعقد الجمان (مخطوط) جـ ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ وشذرات الذهب جـ ٢ ص ١٢٢

المشكلة،فبعد أن ذكر أنه مولى باهلي قال : « وقيل بل هو من باهلة عربي ليس بمولى »[١] فهو يلقي بهذا القول دون أن يؤكده أو يأتي بما يؤيده ، إلا أنه يذكره بطريقة تدل على تشككه فيه ، يذكره على أنه مجرد قول قيل ، لا على أنه حقيقة مؤكدة . ومن ثم لا نستطيع الأخذ به لضعفه ولإجماع المصادر الأخرى على أنه مولى وليس عربيا . ويؤكد أبو الفرج هذه الحقيقة برواية يذكرها عن جعفر بن قدامة عن علي بن يحيي المنجم الذى يقول : « كان حسين بن الضحاك بن ياسر مولى لباهلة ، وأصله من خراسان »[٢] .

بعد أن خرجنا بهذه النتيجة ،وهي أنه كان فارسي الأصل و مولى لباهلة ، علينا أن نعرف أيضا في أي بيت من باهلة كان ولاؤه . وتتفق المصادر التي ذكرناها جميعا على أنه كان مولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلي الصحابي . وإن كان أبو الفرج يذكر رواية أخرى عن الصولي قال « وسألت الطيب بن محمد الباهلي عنه فقال لي : هو الحسين بن الضحاك بن فلان بن فلان ابن ياسر ، قديم الولاء ، وداره في بني مجاشع وفيها ولد الحسين ، أرانيها صاحبنا سعيد بن مسلم »[٣] ويبدو أن المصادر الأخرى لم تأخذ بهذه الرواية لشكهم في صحتها ، ولعل مبعث هذا الشك هو قوله « ابن فلان بن فلان » دون تحديد لأسماء هؤلاء الجدود . فلو كان صاحب هذه الرواية صادقا لذكر الأسماء على حقيقتها كما هي العادة عند العرب في حفظ أنسابهم . فهي إذن رواية ضعيفة لا يؤخذ بها ، ولهذا رفضتها جميع المصادر الأخرى بل لم تذكرها على الإطلاق ، ولا بد أن أصحاب هذه المصادر قرءوها في الأغاني ولكنهم لم يقتنعوا بها . فلا مناص لنا من الأخذ بما اتفقوا عليه .

أما موقف الحسين نفسه بالنسبة لهذا الولاء فكان مائعا ، لأنه كما ذكر أبو الفرج « كان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جحده[٤] » ولعل موقفه

---

(١) تاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٩٧ . (٢) أغاني الدار جـ ٧ ص ١٤٦ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٤٧ .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ١٤٦ .

المائع هذا هو الذى أثار بعض الشك فى حقيقة ولائه . ولكننا نرى اعترافه به مبنيا على حقيقة واقعة ، أما جحوده له فهو مجرد إنكار لهذه الحقيقة ، والإنكار لا يجب الاعتراف ، خاصة وأن هناك شهودا كثيرين يؤكدون حقيقة ولائه هذه ،وهم الرواة الذين نقل عنهم أبو الفرج كعلى بن يحيى المنجم وجعفر بن قدامة ، وإبراهيم بن المعلى الباهلى والصولى . ولعل السبب فى جحوده لهذا الولاء يرجع إلى بواعث نفسية كانت تنطوى عليها نفوس الموالى فى ذلك العصر والحسين أحدهم ، وهى نفورهم من سيادة العرب عليهم ، نفورا أدى إلى الحقد على العرب عند كثير منهم ، وأصبحت هذه نزعة عامة بينهم عرفت بالشعوبية ، وزادت عند بعضهم إلى درجة الكفر بالعرب وبدينهم الإسلامى فكانت الزندقة التى حاربها الخلفاء وقتلوا كثيرين ممن اتهموا بها وخاصة المهدى . فليس غريبا أن تدفع هذه البواعث النفسية الحسين إلى إنكار ولائه لقبيلة عربية ، وأن تجعله يجحد سيادة البيت الذى ولد فيه وتربى فى رعاية ذويه .

وكان الحسين يكنى بأبى على ويلقب بالخليع والأشقر [1] وسنبحث أسباب تلقيبه بهذين اللقبين فى دراستنا لشخصيته .

وهو بصرى المولد والمنشأ [2] ولكن تاريخ مولده غير معروف بالتحديد، كشأن كثيرين من شعراء ذلك العصر أو غيرهم . وأول من حدد تاريخا لمولده هو الخطيب البغدادى (المتوفى سنة ٤٦٣ ﻫ) وبين وفاته ووفاة الحسين أكثر من مائتى سنة ،وقد ذكره فى رواية عن على بن أبى على عن أبى عبيدالله المرزبانى. وهذا الأخير هو صاحب « معجم الشعراء » ووفاته سنة ٣٨٤ﻫ أى بعد وفاة الحسين بأربعة وثلاثين ومائة عام. ومع أنه لم يذكر الحسين فى معجمه، إلا أن البغدادى ينقل عنه رواية تاريخ ميلاده بهذه الصيغة « يقال إنه ولد

(١) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ١٤٦ ومعجم الأدباء ج ١٠ ص ٥ .

فى سنة اثنتين وستين ومائة »[١] وكلمة « يقال » هذه توحى بالشك وتفتقر إلى التأكيد ، وخاصة إذا وجدنا ما يقوى هذا الشك ، بل ويجعلنا نرفض هذا القول ولا نأخذ به. فأبو الفرج الأصفهانى — وهو أقدم من البغدادى والمرزبانى — يذكر رواية عن عمه عن يزيد بن محمد المهلبى قال : « سألت حسين بن الضحاك ونحن فى مجلس المتوكل عن سنه ، فقال : لست أحفظ السنة التى ولدت فيها بعينها ، ولكنى أذكر وأنا بالبصرة موت شعبة بن الحجاج[٢] سنة ستين ومائة »[٣] ورواية أخرى ذكرها أبو الفرج عن عمه عن ميمون بن هارون عن حسين ابن الضحاك قال : « كنت أنا وأبو نواس تربين نشأنا فى مكان واحد وتأدبنا بالبصرة »[٤] وقد اختلف فى مولد أبى نواس فقيل كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة ، وقيل سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين[٥] ؛ فإذا أخذنا حتى بآخر هذه الأقوال وجدنا أنه من غير المعقول أن يكون أبو نواس والحسين تربين وبينهما هذا الفارق الكبير فى السن حسب برواية البغدادى أو المرزبانى ، وهو فارق يصل إلى ثلاثة عشر عاما ، وقد يزيد إذا باعدنا ميلاد أبى نواس. أضف إلى ذلك أن قول الحسين عن سنه لا تتفق مع رواية البغدادى وإنما يتفق مع الرواية الأخرى عن نشأته مع أبى نواس ؛ فقد قال إنه يذكر موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة ومعنى ذلك أنه كان فى هذه السنة طفلا صغيرا ، ولكن فى سن تمكنه من أن يذكر حادثة مشهورة كهذه ، أى أنه كان فى السادسة أو السابعة تقريبا . وعلى ذلك يكون ميلاده سنة ثلاث وخمسين أو أربع وخمسين ومائة على وجه التقريب ، وبذلك يتقارب ميلاده مع ميلاد أبى نواس ، ويكون فارق السن قليلا لا يمنع من زمالتهما فى النشأة . وإذا أردنا أن نوسع

---

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى شيخ البصرة وأمير المؤمنين فى الحديث وقد توفى سنة ستين ومائة لثلاث بقين من جمادى الآخرة — انظر شذرات الذهب ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ١٦٣ .

(٥) اخبار أبى نواس لابن منظور ص ٥ .

دائرة الاحتمال فى تقدير سنة ميلاده جعلناها بين خمسين ومائة وخمس وخمسين ومائة كما يقدر الأستاذ عبد الستار فراج [1] .

ويمكننا أن نستخلص من شعر الحسين ما يؤكد صحة استنتاجنا هذا ، ويدحض زعم البغدادى والمرزبانى . فقد أرسل الحسين إلى المتوكل أبياتا يعتذر فيها عن عدم قدرته على منادمته ، وفيها يقول : [2]

أما فى ثمانين وفيتها عذير وإن أنا لم أعتذر
فكيف وقد جزتها صاعدا مع الصاعدين بتسع أخر

وكما يقول الأستاذ عبد الستار فراج « فلو كانت ولادته سنة ١٦٢ لكان عمره عند مقتل المتوكل (٢٠٦ — ٢٤٧) خمسة وثمانين عاما ، وهذا لا يتفق مع اعتذاره فى شعره بأن عمره تسعة وثمانون ولا يقال إن ضرورة الشعر ألجأته إلى اختيار لفظة تسع فالوزن يستقيم إذا قال « بخمس ، بست. . . فالذى يفهم من شعره السابق أنه ولد على الأقل فى سنة ١٥٦هـ إذا افترضنا قوله فى السنة التى قتل فيها المتوكل ٢٤٧ [3] والذى يمكن أن نزيده على هذا الإستنتاج أن الحسين لا يمكن أن يكون قد قال هذا الشعر فى السنة التى قتل فيها المتوكل كما يفترض الأستاذ فراج لأن الحسين لم ينادم المتوكل إلا هذه المرة المشهورة فى أخباره ، والتى غازل فيها شفيعا خادمه .

وسبب هذه المنادمة أن المتوكل « أحب أن يرى ما بقى من شهوته لما كان عليه ، فأحضره وقد كبر وضعف فسقاه حتى سكر . وغمز شفيعا على العبث به » [4] ولعل المتوكل أراد أن تتكرر منادمة الحسين بعد ذلك ، فلم يقدر الحسين على ذلك لكبره وأرسل إليه معتذرا كما قرأنا فى الأبيات ، وطبيعى أن يكون ذلك قد حدث فى بداية عهد المتوكل ، أو بعد سنين قليلة من توليه الخلافة ، ولا يعقل أنه ظل طول عهده الذى استمر خمسة عشر عاما

---

(١) نديم الخلفاء ص ٤٦ .
(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٢٥ .
(٣) نديم الخلفاء ص ٤٧ — ٤٨
(٤) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٩ .

لا يذكر الحسين وأنه لم يطلبه للمنادمة إلا فى آخر عهده . فلو افترضنا أن ذلك حدث فى أواسط عهد المتوكل – وهو افتراض أقرب إلى الصواب – وليكن سنه ٢٤٠ هـ أى بعد توليه بثمانى سنوات وقبل قتله بسبع سنوات لكان معنى ذلك أن ميلاد الحسين هو سنة ١٥١ هـ تقريبا .

وفى أبيات أخرى يعتذر فيها الحسين كذلك عن منادمة المتوكل فيقول[1] :

أسلفت أسلافك فيما مضى من خدمتى إحدى وستينا

كنت ابن عشرين وخمس فقد وفيت بضعا وثمانينا

إنى لمعروف بضعف القوى وإن تجلدت أحايينا

وإن تحملت على كبرتى خدمة أبناء الثلاثينا

فمن هذه الأبيات نفهم أن عمره كان ستة وثمانين عاما فى الوقت الذى كان فيه عمر المتوكل ثلاثين عاما أى أنه قالها سنة ٢٣٦ هـ تقريبا . ويؤخذ من هذا الشعر كما يقول الأستاذ فراج « أن الحسين ولد على الأكثر حوالى سنة ١٥٠ هـ »[2] ولكننا لا نأخذ قول الحسين :

وإن تحملت على كبرتى خدمة أبناء الثلاثينا

إن المتوكل كان فى الثلاثين من عمره بالضبط ، بل يفهم أن قوله تقريبى ، فربما كان يزيد على الثلاثين سنة أو سنتين ويقال عنه من أبناء الثلاثين . وعلى ذلك يمكن أن نحسب ميلاد الحسين بين ١٥٠ ، ١٥٢ تقريبا . وهذا الاستنتاج يقارب ما أستنتجناه من أبياته الأولى .

وإذا أضفنا إلى ذلك حجة أخيرة وهى اتفاق معظم المصادر على أن « الحسين عمر عمرا طويلا حتى قارب المائة سنة »[3] لوجدنا أن قولهم هذا

---

(١) الديارات ص ٣٦ . (٢) نديم الخلفاء ص ٤٨ .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٦ والمنتحل ص ٢١٩ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ٥ وعيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٧٠٩ حوادث سنة ٢٥٠ هـ .

يتفق مع ما استنتجناه ، ولا يتفق مع قول البغدادى والمرزبانى ، لأنه على قولهما تكون سنه عند موته ثمانية وثمانين عاما .

من كل ذلك يكون قد وضح لنا بجلاء خطأ قول المزربانى والبغدادى ومن أخذ عنهما ، إذ أنه لا يتفق بحال من الأحوال مع ما رواه الحسين نفسه عن سنه وعن نشأته مع أبى نواس ، كما لا يتفق وما جاء فى شعره عن ذكر عمره ؛ ولا مع ما قيل عن عمره . ويكون ما استنتجناه وما استنتجه الأستاذ عبد الستار فراج ، من أن ميلاد الحسين كان بين سنة ١٥٠ و ١٥٥ هـ هو الأقرب إلى الحقيقة والصواب من ذلك التاريخ الآخر وهو ١٦٢ هـ وإذا أردنا أن نضيق الدائرة الزمنية أكثر من ذلك فيمكننا أن نقول إن ميلاده كان بين سنتى ١٥٢ أو ١٥٣ هـ على أضيق تحديد تشير إليه الشواهد التى ذكرناها .

أما منشأ الحسين الذى عرفنا أنه كان بالبصرة فلا خلاف فيه ، وتتفق جميع مصادر ترجمته على ذلك ، كما تعرفنا أن أبا نواس كان زميل نشأته . ولم تكن زمالتهما مجرد اشتراك فى الموطن أو جيرة فى الحى ، بل كانت تزيد على ذلك إلى الزمالة فى العلم وفى حضور مجالس الأدباء ، وعلى حد قول الحسين « كنت أنا وأبو نواس تربين ، نشأنا فى مكان واحد وتأدبنا بالبصرة ، وكنا نحضر مجالس الأدباء متصاحبين »[1] .

ولا نجد أخبارا للحسين فى فترة نشأته بالبصرة إلا خبرا واحدا ، ولكنه يؤكد لنا صحبته لأبى نواس فى هذه الفترة ، وقد روت هذا الخبر عدة مصادر برواة مختلفين . ولكن سلسلة روايا تهم تنتهى جميعها إلى عمر بن شبة عن الحسين بن الضحاك الذى يقول « كنت يوما من أيام الشتاء بالمسجد

---

(١) أغانى الدار حـ ٧ ص ١٦٣ .

(٢) هذه القصة فى طبقات الشعراء ص ١٦٩ وفى الأغانى حـ ٧ ص ١٨٣ وديوان المعانى حـ ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ ابن عساكر حـ ٤ ص ٢٩٨ والجليس والأنيس (مخطوط) ورقة ٢٨ وتختلف الروايات فى بعض الألفاظ ولكنها تتفق فى الأحداث وقد اخترت رواية ابن المعتز فى الطبقات لأنها أكملها لفظا .

الجامع بالبصرة ، إذ جاء أبو نواس وعليه جبة خز سرية جيدة جدا ، وما كنت عهدت أنها له ، فقلت : يا أبا على من أين لك هذه ؟ قال : وما عليك من حيث جاءت منه ، فأفكرت فى أمره ، فوقع لى أنه أخذها فى تلك الساعة من مويس[1] بن عمران لأنى كنت رأيته أقبل من باب بنى تميم ، فقمت كأنى أريد حاجة ، وخرجت من المسجد ، فإذا بمويس قد لبس جبة أسرى من تلك الجبة فقلت :

كيف أصبحت يا أبا عمران ؟

قال : بخير صبحك الله به .

قلت : ياكريم الإخاء للإخوان

قال : أسمعك الله خيرا يا أخى

قلت : إن لى حاجة فرأيك فيها   أنا فيها وأنت لى سيان[2]

قال : هاتها على اسم الله

قلت : جبة من جبابك الخز كيما   لا يرانى الشتاء حيث يرانى

فضم يده إلى صدره وقال : خذها على بركة الله ، فخلعتها عنه ولبستها ، وجئت وأبو نواس مكانه بعد ، فلما رآها على قال : من أين جاءتك هذه الجبة ؟

قلت : من حيث جاءتك تلك . أعنى ما عليه .

ونفهم من هذه القصة أن الحسين كان فى فترة نشأته طالب علم فقيرا ، وأنه استغل موهبته الشعرية فى التكسب ، ولو كان من أسرة ثرية لما سعى إلى هذه المنحة ، مع ما فى ذلك من قصد التظرف والتفكه بمفاجأة أبى نواس وإثارة دهشته . وعلى كل حال فعلوماتنا عن أسرة الحسين

---

(١) هكذا ذكر فى الطبقات وفى ديوان المعانى وفى الأنيس والجليس. أما فى الأغانى فهو موسى وفى تاريخ ابن عساكر يونس وكذا فى أصول طبقات ابن المعتز .

(٢) فى الأغانى وديوان المعانى : اننا فى قضائها سيان .

لا تكاد تذكر ، فلم يذكر فى ترجمته شئ عن أبيه ولا عن أمه ولا عن إخوته سوى ما قيل فى هجائه وهجاء أخيه ، فيروى للجماز :[1]

أبو علی وأبو جعفـــر ... أصغر من يعرف بالعسكر
كلاهما طفـل بلا داية ... علل باللــوز وبالسكر

فيفهم من هذين البيتين أنه كان له أخ يكنى بأبى جعفر ، ولا نعرف حقيقة اسمه ، ومع أن البيتين قيلا فى هجائهما وفيهما بعض المبالغة ، الا أن هذه المبالغة لا تخلو من الحقيقة ، إذ يمكننا أن نستنتج منها شيئا عن طبيعة حياة الحسن فى هذه الفترة ، من أنها لم تكن خشنة جافة ، أو فقيرة شاقة ، وإنما كانت على جانب من النعمة والرفاهة ، ولا أريد أن أقول إنها كانت نعمة ثراء أو رفاهة جاه ، وإنما أقصد بها نعومة الحياة الماجنة اللاهية،التى اختارها الحسن لنفسه بين أصحابه وندمائه من أهل الخلاعة والمجون ، وما أكثرهم فى تلك الأيام . والذى يجعلنا نرجح أن « الجماز » قال هذين البيتين عن الحسن وأخيه فى فترة وجوده بالبصرة ،لا بعد نزوحه إلى بغداد ــ أن الجماز جمع الأخوين فى هجائه ، ومعنى ذلك أنهما كانا وما يزالان مرتبطين برباط الأسرة أو المعيشة ، ولم يكونا قد افترقا بعد برحيل الحسن إلى بغداد تاركا أخاه بالبصرة .

أما ثقافة الحسن التى تلقاها فى فترة نشأته، والتى كان لها أثرها الكبير فى تكوين شخصيته الشعرية ، وانتهاجه هذا النهج الذى يتسم بالمجون والخلاعة فإنها تعتبر صورة حية لثقافة ذلك العصر عامة ، ولجانب المجون واللهو والخمر منها خاصة .

وينبغى أن ننظر أولا نظرة عامة الى الحالة العلمية بالبصرة فى ذلك العصر الذى نشأ فيه الحسن فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى. والواقع أنها كانت مدينة زاهرة حافلة بالعلماء والأدباء حتى أنها وصلت الى أرقى

(١) طبقات الشعراء ص ٢٧٤ .

درجات الكمال ، وصارت من أكبر مدن الإسلام ، ومركزا للعلماء العظام ، ومهداً للعلوم والفنون والآداب [١].

التقت فى البصرة عدة ثقافات مختلفة من عربية وأجنبية ، فالثقافة العربية تتمثل فى جمع التراث الأدبى والدينى لحفظه ودراسته ، من شعر وخطب وحديث وتفسير ، وتاريخ وأخبار ، وفقه ونحو ، ما الى ذلك. وكان من أبرز علمائها المشتغلين بالآداب فى تلك الفترة الأصمعى وخلف الأحمر وأبو عبيدة. وكانوا على علم واسع بلغة العرب وآدابها وأشعارها ، وأخبارها وأنسابها ، وعنهم أخذ الحسين وغيره من الشعراء الذين نشأوا بالبصرة فى ذلك الوقت ، وخاصة خلف الأحمر الذى يعتبرونه معلم أهل البصرة . [٢] والذى عرف بمجونه وزندقته وشعوبيته ، فهو لاشك كان له تأثيره على طائفة المجان من أمثال أبى نواس والحسين .

وقد تنوعت الثقافات الأجنبية بالبصرة فى ذلك العصر ، نتيجة لنشاط حركة الترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية . ويرى أستاذنا الدكتور شوقى ضيف أنه لم يحدث — تحت تأثير العناصر الأجنبية تحول واسع فى الشعر رغم وراثات الشعراء ورغم إلمام طائفة منهم باللغات الأجنبية [٣] ويرجع السبب فى ذلك الى « أنهم كانوا يتزودون باللغة العربية تزوداً لم يدع فضلا لسلائقهم الموروثة » [٤] كما يرى أن هذه الثقافة الأجنبية التى لم تؤثر التأثير المظنون فى لغة الشعر وصياغته كان لها تأثير أوسع مدى فى صياغته الذهنية الباطنة [٥] إذ أن الثقافة فى ذلك العصر قد نظمت تنظيما جيداً ، وأصبحت الترجمة عملا أساسياً فى الحياة العقلية فقد نقلت الثقافات المختلفة ، وشارك فيها العرب وظهر المعتزلة والنظام ، وبدا أثر ذلك واضحاً فى كتابات الجاحظ ونماذج الشعراء [٦] :

---

(١) مختصر تاريخ البصرة ص ٦٨ .

(٢) انظر نزهة الألباء ص ٧٠ ، ١٣٨ ، ١٧١ .

(٣) ، (٤) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٩٨ .

(٥) ، (٦) المرجع السابق ص ٩٩ .

ولاشك أن الحسين كان من هؤلاء الشعراء الذين أثرت فيهم الثقافة الأجنبية، وظهر تأثيرها واضحاً فى شعره على نحوماسنرى ، وبتطبيق رأى أستاذنا الدكتور شوقى عليه بصفته فارسى الأصل نجده فعلا قد تزود من الثقافة العربية تزوداً لم يدع فضلا لما ورثه عن آبائه من سليقة فارسية ، إذ أن جودة شعره ورصانة ألفاظه ونقاء لغته من التخليط والركاكة ، يدل دلالة واضحةعلىهذه الحقيقة . وستتضحلناهذهالخصائص فىدراستنا لشعره. وقد شهدبها له جميع من كتبوا عنهمن العلماء والأدباء والدارسين،فأساوب شعره يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأساوب الشعراء العرب من قبله،وأفكاره تتصل اتصالا قوياً بالثقافة العربية الموروثة من جاهلية وإسلامية ، ومن دنيوية ودينية ، برغم تأثرها بالثقافة الأجنبية .

وإذا نظرنا الى أهم جانب فى ثقافة الحسين وهو ذلك الذى يتصل بشعره فى الخمر والمجون والغزل ، وجدناه يتصل اتصالا وثيقا بشعر الشعراء السابقين عليه من أمثال الأعشى ، والأخطل ، والوليد بن يزيد ، ومطيع ابن إياس ، وأبى الهندى ، ووالبة بن الحباب وغيرهم ممن برعوا فى هذه الفنون الشعرية . فالأعشى هو الرائد الأول لشعراء الخمر وهو كما نعرف جاهلى أدرك الإسلام فى أواخر حياته.وبعده الأخطل الذى عاش فى العصر الأموى وبلغ أعلى مرتبة فى أيام عبد الملك بن مروان . ويجمع بعضالعلماء بين هذين الشاعرين ، وبين الحسين وأبى نواس بصفتهم أوائل المبدعين فى شعر الخمر ، يقول الصولى : «سمعت بعض العلماء بالشعر يقول :أول الشعراء المتقدمين فىصفة الخمر الأعشى ثم الأخطلثم أبونواسثم الحسينبنالضحاك»[1] فالحسين بلا شك قد استفاد بشعر هذين الرائدين ، وحفظ لهما الكثير ليزيد من ثقافته فى هذا اللون الشعرى الذى اختاره وأحبه ، وأبدع فيه ، وجدد فى معانيه .

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء ص ١١٤ .

أما الوليد بن يزيد فهو فى رأى القدماء يعد أستاذاً لكل من جاء بعده من الشعراء فى وصف الخمر ، يقول أبو الفرج « وللوليد فى ذكر الخمر وصفها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها فى أشعارهم ، سلخوا معانيها .. »[١] ويذكر دليلا على ذلك قصيدته التى مطلعها :

اصدع نجى الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب

ثم يعلق عليها بقوله : « وهذا من بديع الكلام ونادره ، وقد جود فيها منذ ابتدأ الى أن ختم ، وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك فى أشعارهما »[٢]

أما مطيع بن إياس فقد كان من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وكان ظريفا خليعا ، حلو العشرة ، مليح النادرة ماجنا متهما فى دينه بالزندقة ، وكان من ندماء الوليد بن يزيد ، بل كان منقطعا إليه ، وهو يعتبر تلميذه مذهبه يجرى فى فلكه ، ويدور فى دائرته ، تلمح بينهما تشابها كبيراً فى المزاج والميل إلى اللهو والمرح والظرف والخلاعة والمجون والغزل والخمر . وقد نادم بعد الوليد كثيرين من رجالات الدولة وكبرائها ، ثم انقطع فى الدولة العباسية إلى جعفر بن أبى جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات[٣] . ونلاحظ أن وجه الشبه كبير بين حياة مطيع وأخلاقه وبين حياة الحسين وأخلاقه : فكلاهما كان خليعا ماجنا ، وكلاهما كان نديما ناجحا ظريفاً حلو العشرة ، مما يجعلنا نرجح أن الحسين تأثر به فى أسلوب حياته ، كما تأثر به فى أسلوب شعره ، واذا كان الزمن لم يسمح بتلاقيهما فإن الحسين قد أدركه فى أواخر حياته لأنه مات سنة ١٦٩ هـ فى الوقت الذى كان الحسين فيه صبياً يافعاً ، ولاشك أنه عرف الكثير عن أخباره وسيرته كما حفظ الكثير من شعره ، وأنه كان موضع إعجابه ، لأنه سار على نهجه واتبع مذهبه سواء فى الشعر أو فى المجون .

---

(١) الأغانى جـ ٦ ص ١٠٧ ط بولاق .

(٢) الأغانى جـ ٦ ص ١٠٧ ط بولاق .

(٣) الأغانى جـ ١٢ ص ٧٦ ط بولاق .

وأبو الهندى وهو عبد الله أو غالب بن عبد القدوس ، كان شاعراً فصيحاً جيد البديهة حاضر الجواب ، وقد أدرك الدولتين ، وكان منهوماً بالشراب مستهتراً به [1] ويقول عنه أبو الفرج « وكان جزل الشعر حسن الألفاظ لطيف المعانى وإنما أخمله وأمات ذكره ، بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخار ستان وشغفه بالشراب ، ومعاقرته إياه وفسقه ، وما كان يتهم به من فساد الدين ، واستفرغ شعره بصفة الخمر . وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وكده وقصده » [2] ويعده ابن المعتز رائداً لمن جاء بعده فى شعر الخمر فيقول « وكان جماعة مثل أبى نواس والخليع وأبى هفان وطبقتهم إنما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبى الهندى ، وبما استنبطوا من معانى شعره » [3] فهو إذن شاعر له مكانته فى هذا الميدان ، وله أثره فى شعراء الخمر بعده ومنهم الحسين .

أما والبة بن الحباب فقد ذكر ابن المعتز أنه كان أستاذاً للحسين حين قال فى ترجمته « وهو غلام أستاذه والبة ابن الحباب » [4] وقد عرف والبة بأنه « أستاذ أبى نواس . وكان ظريفاً شاعراً غزلا ، وصافا للشراب والغلمان المرد » [5] واشتهر بالفسق وسوء الخلق ، حتى إنه لما رشح لمنادمة الخليفة المهدى أبى ذلك إنكاراً منه لخلقه [6] .

ولا نجد فى أى من المصادر الأخرى التى كتبت عن الحسين أو والبة ما يدل على اتصالهما ، أو على هذه الأستاذية التى ذكرها ابن المعتز . وهذا ما جعل الأستاذ عبد الستار فراج يرفض قوله ، وإن كان يعلل رفضه أيضا بأن ابن المعتز حدث بأن الحسين وأبا نواس نشآ معاً ، فحسب أن الخليع تتلمذ على والبة كما تتلمذ عليه أبو نواس ، الذى اتصل به فى الكوفة أو الأهواز ، ويقول إن عبارة ابن المعتز ربما تكون مقحمة على كتابه من المعلقين [7] .

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٣٦ .
(٢) الأغانى جـ ٢١ ص ١٧٧ ط بولاق .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٤٢ .
(٤) طبقات الشعراء ص ٢٧١ .
(٥) ، (٦) الأغانى ص ١٦ ، ١٤٢ — ١٤٣ ط بولاق .
(٧) نديم الخلفاء ص ٦١ .

ولا يمكننا أن نقبل هذا الرفض لرأى ابن المعتز بسهولة ، فلا يضعفه أنه المصدر الوحيد الذى ذكره ، لأنه من ناحية أخرى أقدم المصادر الأدبية التى ترجمت للحسين ، ولعل الذى جعل المصادر الأخرى لم تذكر قوله ، أو لم تنقله عنه ، أن كتابه ظل بعيداً عن الأيدى مدة طويلة . فلم يطلع عليه أحد ممن كتبوا بعده عن الحسين ، أما القول بأن عبارته مقحمة من المعلقين فهو ظن مردود ، لأن المعلقين لا يعنيهم أن يقحموا مثل هذا القول على كتابه فى كثير أو قليل . ولو أنهم ذكروها كتعليق منهم أو حاشية لما خفى ذلك على المحققين ، ولا سيما أن الأستاذ عبد الستار فراج نفسه هو الذى حقق كتاب ابن المعتز ، وكان يمكنه أن يتأكد من حقيقة هذا الظن ، فيصدر حكمه بإثباته أو نفيه . أما حجته فى أن أبا نواس اتصل بوالبة فى الكوفة أو الأهواز وأن الحسين كان مقيما بالبصرة ، ولهذا لم يتصل به ، فهى حجة واهية ، لأنه يجعل إقامة الحسين بالبصرة دائمة فى فترة نشأته لايبرحها إلى الكوفة ، ولو كل حين وحين وهذا ما لا يمكن أن نأخذ به ، لأن الاتصال بين البصرة والكوفة كان دائماً لاينقطع وخاصة بين طلاب العلم والشعراء ، إذ يريد كل منهم أن يتزود بما فى البلدة الأخرى من علم وشعر ، وإذا عرفنا أن الكوفة كانت مركزاً هاماً للشعر فى ذلك الوقت ، وأنها كانت تفوق البصرة فى هذا الميدان ، هذا بالإضافة إلى أنه كانت بها طائفة من الخلعاء المشهورين الذين كان لهم أثرهم فى نشأة المجون والخلاعة وفى نشر هذا المذهب بين كثير من شعراء العصر العباسى ، ومن هؤلاء الخلعاء كان والبة بن الحباب كما كان مطيع بن إياس ، وكذلك الحمادون الثلاثة : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان[1] وغيرهم ممن عرفوا بمجونهم وفسقهم ، وكانوا لا يتورعون عن الجهر بآثامهم والتعبير عنها فى أشعارهم . ولا شك أن الحسين سمع عنهم وأعجب بمذهبهم الذى اتبعه وتمادى فيه . مما يرجح أنه ارتحل الى الكوفة ليلتقى بهؤلاء المجان ويحضر مجالسهم ، ويشاركهم لهوهم ، ويسمع شعرهم ،

---

(١) انظر الأغانى حـ ٥ ص ١٦٦ ط بولاق .

وهذا ما يجعلنا لانستبعد التقاءه بوالبة وغيره منهم ، ولعل صحبة أبى نواس لوالبة كانت دافعاً له إلى محاولة لقائه والأخذ عنه ، فأبو نواس صديق صباه ولا غرابة فى أن يغريه بالذهاب معه الى أستاذه ، ويمكننا أن نقول إن صحبة الحسين لوالبة ربما لم تطل أو لم تشتهر كما كانت صحبة أبى نواس . فهذه الاحتمالات يمكن أن تكون سبباً فى عدم ذكر أخبار اتصاله به فى المصادر التى ترجمت له . ولامجال إذن لتكذيب ابن المعتز أورفض قوله ، وإنما نأخذه لنبنى عليه وجود تلك الصلة بين الحسين ووالبة بل بينه وبين خلعاء الكوفة الآخرين ، وإن لم نجد سنداً لذلك فى مصادر حياته .

ويمكننا أن نعد هؤلاء الشعراء الذين رأينا تأثر الحسين بهم أساتذة له فى الخمر والمجون ، من الأعشى إلى والبة ، سواء كانوا سابقين له أو معاصرين ، وسواء التقى بالمعاصرين منهم أو لم يلتق ، فإنه مما لا شك فيه أن أشعارهم كان لها أثرها الفعال فى شاعريته ، وأنها هى التى ألهمته القول ومهدت له سبله ، وأنه لم يكن ليصل إلى هذه الدرجة من الإجادة والإبداع إلا على أساس قوى من الثقافة الأدبية والشعرية والإلمام الواسع بشعر السابقين له فى هذا الميدان .

وإذا كنا قد توسعنا قليلا فى الحديث عن ثقافته الماجنة ، فإن هذا لا يعنى أنه كان يقصر اهتمامه عليها ، ويهمل الجوانب الأخرى من الثقافة العربية إذ أننا نجد فى شعره الشواهد الكثيرة على تثقفه بعلوم الدين التى هى فى الجانب المضاد للمجون ، وكذلك بالتاريخ وغيره من علوم العربية من ذلك مثلا قوله فى الغزل :[1]

دعانى بعينيه فلما أجبته ... رمانى بأسباب القطيعة والهجر

وكلفنى صبرا عليه فلم أطق ... كما لم يطق موسى اصطبارا على الخضر

شكوت الهوى يوما إليه فقال لى ... مسيلمة الكذاب جاء من القبر

---

(١) تاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٣٠٠ .

فنراه يشير إلى قصة موسى والخضر التى ذكرها القرآن الكريم ، كما يشير إلى مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة بعد موت الرسول . (ص) وقاد المرتدين فى اليمامة .

ومن ذلك أيضا قوله فى قصيدته التى يعتذر فيها للمتوكل عن عدم منادمته لكبره وضعفه[1] .

وقد رفع الله أقلامه عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة وألحد فى دينه أو كفر
وإنى لمن أسراء الإله فى الأرض نصب صروف القدر

فهو يشير فى أبياته إلى الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم « إذا بلغ العبد ثمانين سنة فإنه أسير الله فى الأرض ، تكتب الحسنات له وتمحى عنه السيئات »[2] .

من ذلك نرى أن ثقافته العربية كانت غير قاصرة على جانب المجون والخمر فحسب ، وإنما كانت أوسع مدى وأكثر شمولا .

أما ثقافته الأجنبية التى ذكرنا أنها كان لها آثارها الواضحة فى شعره فإنها صورة مصغرة لثقافة العصر التى عرفناها ، والتى أمدتها الترجمة بالكثير من الأفكار والمعلومات الجديدة على الفكر العربى ، على أنه ينبغى أن نقف على حقيقة هامة ذكرها أستاذنا الدكتور شوقى ضيف وهى أن أهم هذه الثقافات الأجنبية تأثيرا فى الفن العباسى وصياغاته هى الثقافة اليونانية ، فقد صبغت عقلية الفنانين من الأدباء والشعراء بأصباغ خاصة من العمق والدقة والتحليل وطرافة التقسيم ، والبعد فى التفكير والخيال ، حتى أصبحنا بإزاء صفات عقلية جديدة[3] . هذه الصفات الجديدة نجدها متمثلة فى شعر الحسين وسيتبين ذلك لنا بوضوح فى دراستنا له ، ويتأكد لنا تأثير تلك الثقافة الأجنبية عليه وأخذه منها بنصيب غير قليل .

وبهذا نكون قد أخذنا فكرة واضحة عن ثقافة الحسين نستطيع على ضوئها معرفة شخصيته ودراسة شعره .

---

(١) أغانى الدار حـ ٧ ص ٢٢٥ و معجم الأدباء حـ ١٠ ص ١٣

(٢) انظر معجم الأدباء حـ ١٠ ص ١٥ .

(٣) انظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٠٠ الطبعة الثالثة .

٣ — شخصيته :

شخصية الحسين ليست غامضة أو معقدة ، ولكنها واضحة يمكن استجلاء ملامحها من أخباره ومن شعره ، ولكي يتحقق لنا ذلك ينبغي أن ننظر إليها من عدة زوايا ، ونبحث جوانبها المختلفة ، وصفاتها المتعددة ، من جسمية وخلقية ونفسية وغير ذلك .

أما صفاته الجسمية فلا سبيل إلى معرفتها تفصيلا كما تعرف من تراه بعينيك ، وإنما يمكن معرفتها إجمالا ، ورسم خطوطها الرئيسية ، وقد عرفنا من هذه الصفات أنه كان أشقر اللون ، وأن هذه الصفة صارت لقبا له ؛ ونعرف من قصة له أو نادرة حدثت مع الأمين أنه كان ضليعا قوى البنية ولا مجال هنا لذكر هذه القصة أو النادرة ، ونكتفي بأن نذكر منها ما يدل على ذلك ، فقد كان من عادة الأمين في ساعات لهوه أن يختار أحد ندمائه ليركبه ثم يصله ، ووقع اختياره في هذه المرة على الحسين ، وقال له : أنت أضلع القوم[1] ، ليستطيع تحمل ثقله ، ونفهم من ذلك أنه كان طويل الجسم متين البنية ، وخاصة إذا عرفنا أن الأمين كان قويا شديدا ، فلا بد أن يكون الحسين على درجة من القوة بحيث يستطيع حمله والسير به

وإذا أردنا أن نرسم ملامح وجهه ، وجدنا أنه لا يمكننا أن نتصور قبيحة أو منفرة وإلا لما اختاره الخلفاء لمنادمتهم ، ولا شك أن هذه الملامح كانت على درجة من الوسامة بحيث تكون محببة إلى نفوس جلسائه ، وبحيث تتلاءم مع درجة ظرفه وخلاعته التي بلغت حد الشهرة وحازت إعجاب الجميع . هذا استنتاج بدهي لا خلاف عليه ، ونجد شاهدا يؤيده من شعره في بيتين قالهما حين أعرض عنه فتى جميل الوجه من أولاد الموالي كان الحسين يغازله وهما[2] :

تتيه علينا أن رزقت ملاحة ... فمهلا علينا بعض تيهك يابدر
لقد طالما كنا ملاحا وربما ... صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر

---

(١) أغاني الدار حـ ٧ ص ٢٠٨ .   (٢) نفسه حـ ٧ ص ٢١١ .

فهو هنا يذكر أنه كان مليحا فى أيام شبابه ملاحة يتيه بها كما يتيه هذا الفتى الجميل ، ويصد مغازليه كما يصده الفتى . ولكن الشيخوخة طمست هذه الملاحة .

هذه صورة تقريبية لأوصاف الحسين الجسمية تعيننا إلى حد كبير فى معرفة الجوانب الأخرى من شخصيته .

والخطوط الأولى فى ملامح شخصيته المعنوية أنه شاعر ظريف ، وخليع ماجن ونديم ناجح ، لا يفوقه أحد من شعراء عصره فى هذه الصفات ، ولا ينكر أحد عليه شهرته بها ، وجميع من ترجموا له يذكرونها تعريفا به .

كان الحسين شاعرا ظريفا إلى أبعد حدود الظرف ، يشهد له بذلك كل من عامله أو عاشره ، فهذا الرياشى [1] ، وقد سمعه أحدهم ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدا وهما :

إذا ما الماء أمكننى … وصفو سلافة العنب
صببت الفضة البيضا … ء فوق قراضة الذهب

فقال له : من يقولها يا أبا الفضل ؟ قال أرق الناس طبعا وأكثرهم ملحا وأكملهم ظرفا حسين بن الضحاك »[2] .

وهذا الخليفة المأمون — وهو على ما نعرفه من بغض للحسين لأنه هجاه — يسأل أحد القادمين من البصرة : « كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم ؟

قال : ما أعرفه فقال المأمون : ذلك الحسين بن الضحاك أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم[3] . وهذه شهادة لها قيمتها لأنها من خليفة ، ولأنه مبغض للحسين ، غاضب عليه ، لا ينسى أبدا ما قاله معرضا به هاجيا له ، حين رثى أخاه الأمين .

---

(١) هو أبو الفضل العباس بن الفرج اللغوى ، كان عالما راوية ، ثقة عارفا بأيام العرب روى عن الأصمعى وأبى عبيدة ، قتل فى فتنة الزنج سنة ٢٥٧ هـ (انظر اعجام الأعلام ص١١٨ للأستاذ محمود مصطفى) .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٥١ .

ونوادر الحسين مع من خالطهم من الناس تدل على ظرفه وخفة ظله ، وميله إلى السخرية والمزاح ، وينبغى أن نسوق بعضا منها ليتكشف لنا بوضوح هذا الجانب من شخصيته ، روى أبو الفرج على لسانه قال : « كان يألفنى إنسان من جند الشام عجيب الخلقة والزى والشكل ، غليظ جلف جاف ، فكنت أحتمل ذلك كله له ، ويكون حظى التعجب به ، وكان يأتينى بكتب من عشيقة له ما رأيت كتبا أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ، ويسألنى أن أجيب عنها ، فأجهد نفسى فى الجوابات وأصرف عنايتى إليها على علمى بأن الشامى بجهله لا يميز بين الخطأ والصواب ، ولا فرق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك على حسدته وتنبهت إلى إفساد حاله عندها . فسألته عن اسمها فقال : « بصبص » فكتبت إليها عنه فى جواب كتاب منها جاءنى به :

أرقصنى حبــــك يابصبص	والحب يا سـيدتى يرقص
أرمصت أجفانى بطول البكا	فما لأجفانك لا ترمص [1]
وابأبى وجهك ذاك الـذى	كأنه من حسـنه عصعص

فجاءنى بعد ذلك فقال لى : يا أبا على ، جعلنى الله فداءك ، ما كان ذنبى اليك وما أردت بما صنعت بى ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو والله إلا أن وصل ذلك الكتاب اليها حتى بعثت إلى : إنى مشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية فتعال إلى الروشن [2] — الذى بالقرب من بابنا فقف بحياله حتى أراك ؟ فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع . فبينا أنا واقف انتظر مكلما أو مشيرا إلى ، إذا شىء قد صب على فملأنى من قرنى إلى قدمى ، وأفسد ثيابى وسرجى ، وصيرنى وجميع ما على ودابتى فى نهاية السواد والنتن والقذر ، وإذا به ماء قد خلط ببول وسواد سرجين [3] فانصرفت بخزى . وكان مامر بى من الصبيان وسائر من مررت به

---

(١) الرمص بالتحريك : وسخ يجتمع فى الموق .

(٢) الروشن : النافذة .

(٣) السرجين : الزبل الذى تدمل به الأرض .

من الضحك والظنز[١] — والصياح بى أغلظ مما مر بى، ولحقنى من أهلى ومن فى منزلى شر من ذلك وأوجع وأعظم من ذلك أن رسلها انقطعت عنى جملة .

قال : فجعلت أعتذر إليه وأقول له : إن الآفة أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله ، وأسر الشماتة به[٢] — .

وهذه القصة الطريفة لا تدلنا على ظرفه فحسب ، ولكنها تدلنا كذلك على ميله إلى النادرة وإلى السخرية والمزاح ، وهذه كلها صفات يتحلى بها الظرفاء والندماء من أمثاله ، وخاصة فى مثل هذا المجتمع اللاهى الآخذ بلذات الدنيا ومتع الحياة . فمجالس لهوهم وشرابهم لم تكن تخلو من المرح والضحك ، وهو ظريف هذه المجالس الذى يدير برامج لهوها ومرحها ويستثير إعجابها وضحكها بنادرته الظريفة ، وسخريته المرحة ، نذكر مثلا من ذلك ما رواه أبو الفرج على لسان محمد بن عبد الله بن عبد الملك قال : كنا فى مجلس ومعنا حسين بن الضحاك ونحن على نبيذ ، فعبث بالمغنية وجمشها فصاحت عليه واستخفت به فأنشأ يقول :

لها فى وجهها عكن وثلثا وجهها ذقن
وأسنان كريش البط بين أصولها عفن

قال : فضحكنا وبكت المغنية حتى قلت قد عميت ، وما انتفعنا بها بقية يومنا ، وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما ، وكانت إذا حضرت فى موضع أنشدوا البيتين فتجن ، ثم هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا »[٣] — .

وإذا استلزم الأمر أن يسخر من نفسه ويهجوها ، ويصفها باللؤم والنذالة لينال إعجاب سيده ، وليعتذر إليه عما بدر منه فى مجلسه بأسلوب شيق لطيف ، فلا مانع عنده أن يفعل ، بل هو يفعل ذلك إظهارا لظرفه . يروى

---

(١) الظنز : السخرية .
(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .
(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٢٤ .

أبو الفرج على لسان ابن عجلان قال : غنى بعض المغنين فى مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحاك [١] . . فأمر باحضار حسين فأحضر ، وقد كان محمد شرب أرطالا . فلما مثل بين يديه أمر فسقى ثلاثة أرطال ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف ، فأمر بحمله إلى منزله فحمل . فلما أفاق كتب إليه [٢] .

إذا كنت فى عصبة من المعشر الأخيب
ولم يك لى مسعد نديم سوى جعدب
فأشرب من رملة وأسهر من قطرب [٣]
ولما حبانى الزما ن من حيث لم أحسب
ونادمت بدر السما ء فى فلك الكوكب
أبت لى غضوضيتى [٤] ولوم من المنصب
فاسكرنى مسرعا قوى من المشرب
كذا النذل ينبو به منادمة المنجب

وهذا الظرف كان عاملا أساسيا من عوامل نجاحه كنديم للخلفاء والأمراء وسراة القوم . بالإضافة إلى هذه السخرية اللطيفة التى تزيد من إعجابهم به وتهافتهم عليه .

ولكى نكون أكثر فهما لسخرية الحسين وأدق تحديدا لها ينبغى أن نعرف مدى ما وصلت إليه من اللذع أو الإقذاع ، وإلى أى حد كان يلجأ إليها أو يستعملها والحقيقة أنه لم يكن كثير الهجاء أو وقاعا فى أعراض الناس ،

---

(١) الأبيات التى غنى بها فى أغانى الدار حـ ٧ ص ٢١٢ .

(٢) أغانى الدار حـ ٧ ص ٢١٢ — ٢١٣ .

(٣) نص المثل فى الميدانى « أشرب من رمل » والقطرب : طائر يجول الليل كله لا ينام ، وبه يضرب المثل (انظر حياة الحيوان للدميرى وأمثال الميدانى) .

(٤) الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته . والمراد بها هنا الطيش والنزق وهما من حظ الشباب ولوازمه .

أو سليط اللسان يسلقهم به ويفضح عيوبهم ومثالبهم ، كما نجد مثلا عند بشار أو أبى نواس . ولكنه كان معتدلا فى هجائه وسخريته، لا يتمادى ولا يسرف، وقد ذكر أبو الفرج أنه هاجى مسلم بن الوليد وانتصف منه [1] ولكن شيئا من هذا الهجاء لم يصل إلينا ، كما أننى لم أجد فى ديوان مسلم شيئا يدل على وقوع هجاء بينهما . وإذا كان هجاء الحسين لمسلم قد ضاع فيما ضاع من شعره ، فهل يمكن أن يكون قد ضاع كذلك هجاء مسلم الحسين ؟ والرد على ذلك هو ترجيح ضياعه أيضا ، لأن شعر مسلم لم يصل إلينا كاملا ، والمعروف أنه حاول التخلص من شعره ، ومع هذه المحاولة يكون شعره الهجائى فى مقدمة ما يحب أن يتخلص منه، وعلى أى حال لا يمكننا الاعتماد على قول أبى الفرج دون الرجوع إلى الشعر نفسه ، وهو مفقود كما عرفنا : أما هجاؤه للمأمون فهو لا يعدو أن يكون تعريضا به أو تنفيسا عن حزن الحسين لمقتل الأمين . وكل ما للحسين من هجاء هو أبيات أو مقطوعات قليلة لا يمكننا أن نعتبره بها هجاء وقد تكون سخريته فيها لاذعة أحيانا كما رأينا فى هجائه للمغنية ، ولكن ذلك أيضا قليل ، بل إن هذه السخرية قد لا تسعفه فى أحيان أخرى ، وتتقاعس عنه لتتركه هو هدفا لسخرية غيره ، وهذا ما نجده فى ملاحاته لأبى شهاب الشاعر إذ « كانا فى مجلس ، واتصل الحديث فى ذكر الدواب إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب فى دابتيهما، وتراهنا على المسابقة بهما ، فتسابقا، فسبقه أبو شهاب فقال حسين فى ذلك .

كلوا واشربوا هنئتمو وتمتعوا	وعيشوا وذموا الكودنين [2] جميعا
فأقسم ما كان الذى نال منهما	مدى السبق إذ جاذ الجراء سريعا

وهى قصيدة معروفة فى شعره [3] . فقال أبو شهاب يجيبه :

أيا شاعر الخصيان حاولت خطة	سبقت إليها وانكفأت سريعا
تحاول سبقى بالقريض سفاهة	لقد رمت جهلا من حماى منيعا

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٦ .

(٢) الكودن : الفرس الهجين والبغل ، وهو أيضا الثقيل والبليد .

(٣) لم نعثر على هذه القصيدة فيما وجدناه من شعر الحسين، ولعلها ضاعت فيما ضاع من شعره .

وهى أيضا قصيدة . فكان ذلك سبب التباعد بينهما . وكنا إذا أردنا العبث بحسين نقول له : أيا شاعر الخصيان ، فيجن ويشتمنا »[1] :

من ذلك نفهم أن سخرية الحسين لم تكن لاذعة مقذعة ، لم تكن سيفا مصلتا على رقاب الناس تفزعهم وتسلبهم الأمن والسكينة كشأن الشعراء الهجائين ولكنها كانت سخرية هينة لطيفة تتلاءم مع ظرفه وخفة روحه ، وتستدعيها مجالس اللهو والشراب والمرح مع الخلان والصحاب . لا يهدف بها إلى الإيذاء والإيلام بقدر ما يهدف إلى التظرف وإثارة الإعجاب بمقدرته على لطيف الفعل وبديع الكلام .

ثم ننظر إلى الصفة المقابلة لظرفه أو المكملة لها فى تكوين شخصيته فنجدها صفة الخلاعة : فبها اشتهر الحسين وبها لقب ، وسبب تلقيبه بالخليع لا خلاف عليه وهو كثرة مجونة وخلاعته .

وقد غلب عليه هذا اللقب حتى صار لا يعرف إلا به ، ولا يذكر اسمه إلا ملازما له . وهو نفسه كان لا يجد غضاضة فى تلقيبه به ، ولا نجد فى أى خبر عنه أنه أظهر استياء منه ، بل نجد أنه كان يعتز به ويرى فيه صفة يمتاز بها على أمثاله من المجان والندماء ويفوقهم فى الظفر بجميع مقوماتها . فحين يصف الخمر يقول إن شدة حبه لها وولعه بها وصل إلى درجة كبيرة حتى إنهم لقبوه بهذا اللقب الماجن :

تلك التى وسمتنى غير محتشم وسم المجون وسمتنى بأسماء

وهو يذكر لقبه فى شعره دون حرج أو خجل ، وإنما بما يشبه الفخر والاعتزاز ، فيقول لإخوانه من الشعراء الماجنين ، داعيا إياهم لعقد مجلس الشراب واللهو فى داره :

أنا الخليـــع فقـــوموا إلى شراب الخليـــع
إلى شراب لذيـــــذ وأكل جـــدى رضيع
ونيـــل أحـــوى رخيم بالخنـــدريس صريـــع

(١) الأغانى ترجمته ﺟ ٧ ص ١٩٨ – ١٩٩ .

ولكننا نلاحظ أن الاتصاف بالخلاعة ، فى ذلك العصر لم يكن أمر مشينا كما قد يتبادر إلى أذهاننا ، لأن المجون وشرب الخمر ، وحياة الترف واللهو بما فيها من الجوارى والغلمان والطرب والغناء والرقص وغير ذلك من متع الحياة ولذائذها ، كان ظاهرة شائعة فى مجتمع ذلك العصر ، حتى إن بغداد لم يعد فيها مكان للمتقين ؛ كما قال بعض علماء الدين . وكانت الطبقة الأرستقراطية فى المجتمع — بطبيعة الحال — صاحبة النصيب الأكبر فى هذا الترف واللهو ، وهى الطبقة التى كان الحسين ينادمها ويجالسها معظم وقته، ويشاركها لهوها ومجونها ، ولم يكن يرشحه لهذه المكانة ، ويجعله أهلا لهذه المنادمة إلا صفة الخلاعة هذه ، وكأنها الشهادة أو الإجازة لشغل هذه الوظيفة والوصول إلى قلوب القوم ونفوسهم وتلبية رغباتهم وأهوائهم .

فى هذه المجالس كان الحسين ينطلق على سجيته ، ، وينشط فى مجونه وخلاعته ويستعرض آيات ظرفه وشاعريته ، فيتغزل بالساقى ويجمشه ، وتغنى القيان بشعره ، فتتعالى صيحات الاستحسان والإعجاب ، ويزداد هياج الخلان والأصحاب ويقضون لياليهم فى مرح ما بعده مرح ، ومتعة لا تفوقها متعة ، وجميع الجلساء والندمان شركاء فى هذا اللهو منغمسون فى هذا المجون ، ولكن الحسين يفوقهم جميعا ، فهو شاعر المجلس الذى يغنى بشعره ، وظريفه الذى يشيع المرح فى جوه ، لا يتحرج فى عبثه ، ولا يتورع فى مجونه ، ويحكى ما حدث شعرا بأسلوب سهل حلو ، له قبول ورونق صاف [١] كما يقول أبو الفرج . وأكثر الحسين من هذا المجون فى شعره ، يرى الغلام الساقى الجميل الأمرد الذى يخفف أصداغه ويصفف شعره ويرخى منه قصاصته على شكل العقرب على كل صدغ من صدغيه ليبدو أكثر وسامة وجمالا ، ويتطيب بالمسك ليكون بين سادته مقبولا ومحببا ، فيشتهيه وينجذب إليه ، ويجمشه ويعبث به ، بل قد يزيد الأمر على ذلك إثما ومجونا ، ولم يكن هذا المجون قاصرا على الحسين وحده ، بل يأتيه كل جلسائه وكل من ينادمهم ، ويحدثنا أبو الفرج عن بعض ما يقع بين هؤلاء السادة والغلمان ، كالذى حدث بين صالح بن الرشيد وبين يسر غلام أخيه أبى عيسى [٢] إذ لم يتورع أن يطلب

(١) أغانى الدار ترجمته جـ ٧ ص ١٤٦ . (٢) الأغانى ترجمته جـ ٧ ص ١٨٩ .

من الحسين أن يصف ما حدث بشعره ، ويلبى الحسين طلبه فينظم ما حدث بينهما فى قصيدة ، وكأنه المسئول عن تسجيل مآثم مجونهم فى سجل الشعر ، أو كأنه صحيفة المجون والخلاعة فى هذا المجتمع .

وتلقيب الحسين بالخليع يدعونا إلى التساؤل . لماذا اختص هو بهذا اللقب فى هذا المجتمع الملىء بأمثاله من الخلعاء والمجان ؟ . .

وليس من جواب على ذلك إلا ما عرف عنه من كثرة مجونه وخلاعته ، ولا بد أنه تفوق على غيره من الخلعاء والمجان ، وربما ساعده على هذا التفوق ما أوتيه من ظرف وخفة ظل ، وما امتاز به شعره من رقة وحلاوة ، وما اتصف به جسمه من رشاقة ، ولونه من شقرة ، ووجهه من وسامة ، ربما ساعدته هذه الميزات على التفوق فى الخلاعة فصارت لقبا عليه لا ينافسه فيه أحد ، ولا يتفوق عليه فيه شاعر أو نديم .

وهم ينسبون للحسين أهتك بيت شعر قيل ، ويعتبرونه أفجر قائل ، فقد ذكر أبو هلال العسكرى رواية عن الصولى قال : « قال لنا المكتفى بالله يوما : ما أهتك بيت من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيى بن المنجم : قول أبى نواس :

الا فاسقنى خمرا وقل هى الخمر ... ولاتسقنى سرا إذا أمكن الجهر

فقلت له : إن المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان ، وقال : من عيوب محمد أنه استجلس رجلا يقول : ألا اسقنى خمرا ، ولكن الحسين بن الضحاك الخليع قد قال ما هو اهتك من هذا ؛ قال : وما هو ؟ فأنشدته :

اتبعت سكرا بسكر ... وابتعت خمرا بعمر

فقال : هذا لعمرى أهتك من ذاك [(١)]

---

(١) ديوان المعانى حـ ١ ص ٢٠٢ ومحاضرات الأدباء حـ ١ ص ٤٢٠ .

فالحسين إذن قد تفوق فى التهتك والمجون ، ولهذا اختصوه بهذا اللقب دون غيره من الخلعاء ، وكأنهم بذلك قد بوءوه منزلة رفيعة ، ومنحوه شهادة لها قيمتها ، وكان هذا هو الواقع فى مجتمعهم ، فلم تكن الخلاعة عيبا ولا نقيصة ولم يكن الخلعاء منبوذين بين الناس ، بل كان الأمر على عكس ذلك ، وكان الخليع هو الشخص المحبوب ، وهو الذى يتلهفون على منادمته ، ويشغفون بظرفه ، ويستمتعون بمجالسته وخلاعته . ولهذا لا نعجب إذا كان الحسين قد نجح فى أن يكون نديما للخلفاء من بنى العباس وأن « يتصل فى مجالستهم ومنادمتهم إلى ما لم يتصل إليه أحد إلا اسحاق بن إبراهيم الموصلى النديم فإنه قاربه فى ذلك أو ساواه » [1] على حد قول من ترجموا له .

فشخصية الحسين قد اجتمعت لها صفات من الظرف والخلاعة والسخرية المجون جعلته أهلا لمنادمة الخلفاء والأمراء وغيرهم من وجهاء القوم .

وقد تلونت حياة الحسين بهذا اللون الماجن ، فلم يعد عنده ما يشغله عن هذه المجالس ، ولم يكن له من عمل يقوم به سوى منادمته لهؤلاء القوم . حتى صار ذلك مذهبه الذى اختاره لنفسه فى الحياة واعتنقه اعتناقا . وفى ذلك يقول [2] .

ألا إنما الدنيا وصال حبيب	وأخذك من مشمولة بنصيب
وعيشك بين المسمعات ممتعا	بفنين من عزف وشدو مصيب
ولم أر فى الدنيا كخلوة عاشق	وبذلة معشوق ونوم رقيب
وعدى ساعات النهار ورقبتى	إلى الشمس لما آذنت بمغيب

تلك دنياه التى أحبها وعاش ينعم بمتاعها ، ليالى غرام وشرب مدام ، وسماع موسيقى وغناء يطربه ويشجيه ، وأحلى الأوقات عنده خلوته بحبيبه فى غفلة عيون الرقباء وتمتعه بوصاله وبذله ، وإن ساعات النهار لتمر عليه ثقيلة

---

(١) انظر الإبانة ص ١٨٤ والمنتحل ص ٣١٩ وابن خلكان جـ ١ ص ١٩٣ .

(١) « . . ة الأرب جـ ٤ ص ١١٩ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٦ البيتان الأول والثالث .

متباطئة يعدها عدا ، وينتظر غروب الشمس وإقبـــال الليل ليعاود متعته فيه ويجتمع بمنادميه ومحبيه . وهو بذلك يعبر عن حقيقة حياته التى عاشها، ويبين فلسفته فيها إذا جاز لنـا أن نسمى هذه فلسفة . وكيف يمكننا أن نتصور مذهب الخلعاء والندماء إلا بهذه الصورة التى رسمها الحسين ؟ . . هو مذهب حسى خالص . وفلسفة لا ترى الحياة إلا لذات جسدية ومتعا حسية :

على أننا نجد شخصية الحسين على الرغم ممـا عرف به من خلاعة ومجون؛ لاتخلو من رجولة وقوة وخلق كريم . فهو لم يكن مخنثا كما قد يتبادر إلى أذهاننا ، ولم نقرأ فى أخباره أى شئ يدل على هذه الصفة ، ولم يتحدث الرواة عنه بمثل ماذكروه عن أبى نواس الذى كان لايتورع أن يذكر عن نفسه الأحداث الفاحشة فى غير حياء ولاخجل . .

ونجد مصداق ذلك فى بعض أخباره بالأغانى مع صالح بن الرشيد ، فقد عارضة صالح فى شراء غلام كان يحبه الحسين واختلسه منه ، وفى هذا الخبر ينفى الحسين عن نفسه هذه الصفة ، ويلصقها بصالح بألفاظ صريحة لايمكننا ذكرها هنا بنصها، ويمكن الرجوع اليها فى مكانها لمن يريد التحقق من ذلك[1] وربما يظن أن الحسين كاذب فى قوله ، وأنه ينفى عن نفسه هذه الصفة وينكرها حتى لاتعرف عنه . ولكن هذا الظن يتبدد إذا عرفنا أنهم كانوا لايتحرجون من ذكر هذه الأمور عن أنفسهم ، ولايرون فى ذلك عيبا أو نقيصة ، كما أن إنكار الحسين لايفيد ولايخفى الحقيقة ، لأنه إذا أنكر فهناك من يقول الحقيقة عنه من الرواة دون مواربة أو حرج ، ولم نجد فى أقوال الرواة عن الحسين مايكذبه أو يثبت غير مايقول .

وخلاصة القول أن الحسين لم يعرف عنه التخنث أو فقدان الرجولة كما عرف عن أبى نواس ، وأنه كما قال ابن فضل الله العمرى « كان خليعا إلا أنه أفضل من الحديد ، ماجنا ولكنه إذا جد بجيد ، ظريفا إلا أنه لايوصف برشاقة قد وجيد[2] وكما يقول عنه الدكتور طه حسين « كان

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

(٢) مسالك الابصار (مخطوط) ج ٩ ورقة ٢٩٠ .

خليعا بل كان يعرف بالخليع ، وكان كثير المجون مسرفا فيه ، وما أحسب أن أبانواس سبقه إلى لذة ، أو تفوق عليه فى مأثم ولكنه على خلاعته وإسرافه فى المجون وتهالكه على اللذات ، احتفظ طول حياته بشئ من كرم الخلق وطهارة العنصر ، وجودة الأصل كأنما كانت هذه اللذات والآثام تنزلق على نفسه وأخلاقه تزلقا دون أن تترك فيها أثرا باقيا ، وإنما كانت الآثار التى تركها لياليه الساهرة وأيامه المملوءة بالعبث هذه الأشعار الجميلة الحلوة »[1]

ولعل الذى جعل ابن فضل الله العمرى والدكتور طه حسين يذكران الحسين بهذه الصفات الطيبة — على رغم إسرافه فى مجونه وخلاعته — ذلك الموقف المعروف للحسين مع سيده الأمين وقت محنة حصار بغداد ، وبعد مقتل الأمين ؟ ففى وقت الحصار نجد الحسين بجوار الأمين فى المعركة يتابعها بشعره ، ولايتوانى عن نصرته وشد أزره . وقد حدث أن أوقع أهل بغداد الهزيمة بأصحاب طاهر عند قصر صالح وعلى باب أم جعفر . ففرح الحسين أشد الفرح وأسرع إلى الأمين ينشده شعره ويهنئه فيه بالنصر، ويشجعه على الحرب ويبعث فى نفسه الأمل والثقة بالله وبعونه[2].

وظل الحسين بجوار الأمين يناصره ويؤيده إلى أن قتل ، فجزع الحسين جزعا شديدا .وحزن لفقده أوجع الحزن « وبلغ من جزعه عليه أنه خولط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : إنه مستتر وإنه قد وقف على تفرق دعاته فى الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه »[1] وظهرت لوعة الحسين وفجيعته بصورة واضحة فى مراثيه للأمين ، كما سنرى فى دراسة شعره بل إنه اشتط فى رثائه وتمادى حتى عرض بالمأمون وهجاه ولم يزل كذلك حتى نصحه أبو العتاهية بالكف

(١) حديث الأربعاء ﺟ ٢ ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٢) انظر الطبرى ﺟ ٣ ص ٨٨١ .

(٣) أغانى الدار ﺟ ٧ ص ١٥١ .

عن هذا الرثاء[1] الذى يهجو فيه المأمون ابقاء على حياته من بطشه ، فعاد الحسين إلى وعيه وراجع نفسه ، بعد أن كانت هذه الفجيعة قد أفقدته توازن فكره وهزت نفسه هزا عنيفا .

هذا الموقف من الحسين إن دل على شئ فإنما يدل على عظيم إخلاصه وبالغ وفائه ، ويكشف لنا الجانب الوضاء فى شخصيته الذى ، تتمثل فيه رجولته الحقة وخلقه الكريم وشجاعته الوفية ، لم يتراجع عن نصرة الأمين فى أشد أوقات المحنة ، ولم يهرب من الخطر الذى حاق به وبأنصاره جميعا ، ولم يخش بطش المنتصر ، وإنما أطلق للسانه العنان يرثى الأمين فى قوة وصراحة بلغت حد التعرض للمأمون وهجائه . لم ينافق ولم يتملق كشأن الكثيرين فى مثل هذه الظروف ، ولم يضعف أو يتخاذل كما كان ينتظر من شاعر خليع مثله ، بل ظهر بهذا المظهر الكريم ، ووقف هذا الموقف المشرف الذى جعلنا ننظر إليه نظرة تقدير ، وغير الصورة السيئة التى نتصور بها فى العادة شخصية الخليع ، فأضفى عليها غير قليل من الرونق والبهاء .

ونستطيع أن نقول إن هذا الجانب الطيب فى شخصية الحسين — وإن كان يبدو متناقضا مع جانب الخلاعة والمجون — يكمل لنا شخصيته نديما ناجحا وحتى هذا التناقض يمكن تخفيفه بشىء من الملاءمة والتنسيق ، فهو خليع ماجن ولكن بلا تخنث أو ميوعة ، وظريف قادر على أن يملأ جو المجالس بهجة وأنسا ، ويستحوذ على إعجاب ندمائه وجلسائه الذين هم علية القوم وأعاظم الناس ، والذين يقدرونه ويظاونه بنعمتهم وكرمهم ، ولكى يحتفظ الحسين بمكانته ونجاحه ينبغى عليه أن يكون وفيا لهؤلاء المنعمين عليه ، ومخلصا فى حبه لهم ، ليكون موضع ثقتهم ومأمن أسرارهم ، تلك هى صفات النديم الناجح التى تمثلت فى الحسين وتلونت بها شخصيته ، وليس فيها ثمة تناقض كما قد يتبادر إلى أذهاننا ، وإنما هى مقومات أساسية لابد من توفرها فى شخصية النديم .

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ٢١١ .

وحقيقة أخرى يجليها لنا شعر الحسين عن شخصيته ، ويزيدها أمامنا وضوحا ، وهى تعالج هذا التشويه الذى أصابها نتيجة تلقيبه بالخليع ، وتخفف من الصورة السيئة التى يعكسها له هذا اللقب ، وقد أوضحها الدكتور طه حسين فقال عنه « وهو مع ظرفه وإسرافه فى المجون قليل الفحش فى اللفظ غير متهالك على القول الآثم والألفاظ المنكرة ، لايتخيرها ولايقصد إليها ، وإنما يعرض لها إذا اضطر إليها اضطرارا » ويعلل هذه الظاهرة بأن الحسين كان طول حياته متصلا بالأمراء والخلفاء والوزراء والكتاب ، مقصورا عليهم لايكاد ينظم الشعر إلا لهم أو بمحضرمنهم . . فكان بحكم منزلته من القصور مضطرا إلى أن يصطنع هذه اللغة المختارة النقية التى تصلح للارستقراطية فقل الفحش فى شعره [١] وهو بذلك يخالف أبا نواس الذى كان مستهترا متهتكا ، يتمدح بهذا الاستهتار والتهتك ، ويتخذهما مذهبا ودينا [٢] . هذه الحقيقة التى يبرزها شعر الحسين تتلاءم إلى حد كبير مع ماعرفناه عنه من رجولة ووفاء ، وتوضح لنا شخصيته على حقيقتها دون تشويه أو غموض .

وتبقى بعض اللمسات الأخيرة فى رسم شخصية الحسين ، نراها فى بداهته الحاضرة وفطنته البارعة ، التى كفلت له استمرار النجاح فى منادمة كبراء عصره ، وجعلته قادرا على إرضائهم وفهم أهوائهم وطباعهم . فإذا حدث منه مايغضب أحدهم سارع معتذرا إليه بطريقة لبقة لطيفة تجعله يرضى عنه ويقبل عذره ويعيده إلى منادمته ، كما عرفنا فى حادثة غضب الأمين عليه ، وكما نرى فى حادثة غضب المعتصم عليه فى شىء جرى على النبيذ ، إذ كتب الحسين إليه أبياتا يسترضيه فيها ويعتذر إليه ، فلما قرأها التفت إلى الواثق وقال : بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ماهو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه . فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه [٣] فرضى عنه وأمر بإحضاره .

---

(١) ، (٢) حديث الأربعاء حـ ٢ ص ١٨١ .

(٣) أغانى الدار حـ ٧ ص ١٦٧ والفرج بعد الشدة حـ ١ ص ٧٢ ومعجم الأدباء حـ ١٠ ص ٢٢ ويذكر سبب الأبيات فقط .

هكذا كان الحسين يحسن إصلاح أخطائه ، كما يحسن فهم نفوس منادمية ، ويعرف كيف يعاملها وكيف يرضيها ، وكيف يصبر ويتحمل منهم مالا يمكن أن يتحمله من عامة الناس ، ويقبل منهم إساءاتهم وسخافاتهم بصدر رحب ونفس راضية على خلاف ماعرف عنه من حمق وسرعة غضب فى معاملاته مع الناس . وقد عرفنا ما أغاظه من قول أبى شهاب له «ياشاعر الخصيان» [١] ، وأنه كان يكاد يجن إذا ناداه أحد بذلك ، وكذلك إغاظة ابن مناذر إياه حين هزأ بشعر له قاله فى بدء حياته [٢] ، بل وغضبه من إبراهيم بن المهدى حين دعا بالنطع والسيف فى منادمة له معه [٣] فهو فى كل ذلك كان ينفعل ويغضب بصورة طبيعية كإنسان عادى ؛ ولكنه مع منادميه لم يكن لنفسه أن تتمادى فى حمقها ، بل كان يكبح جماحها ويمسك زمامها وربما عرف هؤلاء هذه الصفة فى شخصية الحسين ، فكانوا يتعمدون إثارته ليضحكوا منه بل يضربونه أحيانا على سبيل الولع به ، وهو يقول فى ذلك « ضربنى الرشيد فى خلافته لصحبتى ولده ، ثم ضربنى الأمين لمايلة ابنه عبد الله ، ثم ضربنى المأمون لميلى إلى محمد ، ثم ضربنى المعتصم لمودة كانت بينى وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربنى الواثق لشىء بلغه من ذهابى إلى المتوكل ، وكل ذلك يجرى مجرى الولع بى والتحذير لى ، ثم أحضرنى المتوكل وأمر شفيعا بالولع بى ، فتغاضب المتوكل على ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تضربنى كما ضربنى آباؤك فاعلم أن آخر ضرب ضربته بسببك ، فضحك وقال : بل أحسن إليك ياحسين وأصونك وأكرمك » [٤].

وفى علاقة الحسين بأبى نواس نجد بعض المعابثات التى كان يلجأ إليها أبو نواس ليغيظ الحسين ، فيسبه هذا ويشتمه وقد يتنابذان أحيانا ، ولكن الأمر لم يكن يتعدى ذلك إلى العداوة الصريحة أو الهجاء الذى يترجم عادة

---

(١) راجع الملاحاة التى حدثت بينهما فى الأغانى ج ٧ ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) انظر أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٤ . (٣) نفسه ج ٧ ص ١٦٣ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢٢٦ .

عن مثل هذه العلاقات بين الشعراء ، ولا تلبث أن تعود بينهما علاقة الود والصفاء . وهذا يدلنا على أن الحسين لم يكن حاقدا أو شديد العداء ، ولم يكن غضبه أو حمقه يؤثر فى نفسه أكثر من التأثير الوقتى الذى يزول سريعا ، وينتهى دون أن يترك فى نفسه شيئا من حقد أوعداء .

هكذا كانت شخصية الحسين كما عرفتنا بها أخباره وأشعاره ، وجملة القول فيها أنها شخصية شاعر ظريف ، ماجن خليع ، ولكن فى غير تخنث أو إفحاش ، فيها من الرجولة والوفاء حظ غير قليل ، وفيها من الفطنة والذكاء حظ موفور فيها كل المقومات التى أهلته لمنادمة الخلفاء وعلية القوم ،وجعلته محبوبا عندهم مقربا إليهم ، وفيها شىء من الحمق الذى يمكن أن نعتبره عاملا من عوامل ظرفه وبعض السخرية التى تكمل هذا الظرف ، وفيها من صفاء النفس ولطافة المعشر ماجعله محبوبا لدى الجميع لايحمل عداوة لأحد ولا يحقد على أحد ، دنياه فى اللهو والشراب وسماع الغناء والطرب ، ومغازلة الغلمان والجوارى لايرضى بها بديلا ولايبغى سواها سبيلا .

٤ — مع الخلفاء :

عرفنا أن الحسين نشأ بالبصرة وقضى بها صدر شبابه ، وأنه كان تربا لأبى نواس وزميلا فى تلقى العلم ، يحضران معا مجالس الأدباء ، ويتذاكران معا شعر العرب وأدبهم ، ولم يقطع هذه الصحبة إلا خروج أبى نواس عن البصرة ،واتصاله بالخلفاء والأمراء فى بغداد ، وإقامته مدة ذاع فيها شعره ونمت شهرته ، وآثره السلطان وخاصته ، فصار مقربا عندهم محبوبا لديهم . وبلغ الحسين ماآل إليه أمره ، وما وصلت إليه مكانته ، فخرج عن البصرة إلى بغداد ، ولقى الناس ومدحهم وأخذ جوائزهم وعد فى الشعراء [1] .

كان خروجه عن البصرة وذهابه إلى بغداد إذن بدافع الغيرة من صاحبه ،الذى سبقه إلى الشهرة والجاه وحياة الرفاهية والنعمة بين قصور بنى

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٣ .

العباس وعلية الناس . فأسرع بالذهاب إلى هذه المدينة العامرة ، لعله يحظى بمثل ماحظى به صاحبه ويبلغ مثل مابلغه ، وقد آنس فى نفسه موهبة شعرية ومزايا شخصية تؤهله للوصول إلى هذا الجاه الأدبي والنعيم الدنيوي.

حدث هذا كله فى أيام الرشيد كما يقول الحسين ، إلا أنه لم يصل إليه ، واتصل بابنه صالح فكان فى خدمته [1] . وكانت هذه بداية اتصاله ببنى العباس ، فهو لم يتصل بالرشيد أو لم يصل إليه على حد قوله ، وإنما اتصل بالأمراء من أبنائه ، ولعله حاول الوصول إلى الرشيد ولكنه لم يفلح ، أو لعل نزوحه المتأخر إلى بغداد فى أواخر عهد الرشيد لم يتح له تحقيق هذه الأمنية التى حققها صاحبه أبو نواس ، وإن كان الدكتور طه حسين يرى أن اتصال أبى نواس بالرشيد كان قليلا ، أو أنه اتصل به « كما كان يتصل به الشعراء الذين كانوا يقصدون إلى ذلك ، ويحتالون فيه ، حتى إذا نالتهم هذه الحظوة أنشدوا الخليفة شعرهم ، وانصرفوا وقد نالوا من جوائزه ما أتيح لهم [2]. ويعلل الدكتور طه قلة اتصال أبى نواس بالرشيد وعدم اتصال الحسين به : بأنهما لم يكونا من هؤلاء الذين يصلحون لمصاحبة الرشيد ، فقد كان فى الرشيد شيء من العبث وحب اللهو ، ولكن عبث الرشيد ولهوه لم يكونا قوام حياته ، وإنما كانا ضربا من الترفيه عن النفس ، ولم يكن أبونواس والحسين من الذين يصلحون لغير اللهو ، فلم تنفق بضاعتهما عند الرشيد ، وإنما نفقت عند الأمراء من أبنائه ، وعند الوزراء وأشباه الوزراء من رؤساء الدولة وأشرافها »[3] .

ولكن هذا التعليل لا يفسر لنا تلك الظاهرة تفسيرا كافيا ، وخاصة بالنسبة للحسين ، لأنه لم يصل إلى الرشيد على الإطلاق ، أما أبو نواس فقد اتصل به ومدحه ونادمه وإن اعتبر الدكتور طه ذلك الاتصال قليلا. فليست الظاهرة واحدة بالنسبة للشاعرين ، ومن ثم لا يمكن أن تكون العلة أيضا واحدة .

(١) المصدر السابق جـ ٧ ص ١٦٤ .

(٢) حديث الأربعاء جـ ٢ ص ١٧٤ .   (٣) نفسه جـ ٢ ص ١٧٤

وليست القضية منحصرة فى منادمة الرشيد وحضور مجالس لهوه وعبثه ، وإنما هي فى الاتصال به على أية حال سواء لمنادمته أو لمدحه . وهذا ما تحقق لأبى نواس ولم يتحقق للحسين . وإذا كان الحسين لم يصل إلى الرشيد لأنه خليع ماجن لا يصلح لمنادمته ، فهل هذا السبب يمنعه كذلك من مدحه ونيل جائزته كغيره من الشعراء ؟ لا أظن ذلك ، لأن أبا نواس كان ماجنا مثله ، ومع ذلك وصل إلى الرشيد ومدحه ونال عطاءه . إذن هناك أسباب أخرى هى التى منعت الحسين من الوصول إلى الرشيد . منها ما ذكرناه عن نزوحه إلى بغداد فى أواخر عهده أى قبل وفاته بحوالى خمس أو ست سنوات لأن اتصاله بالأمين كان سنة ثمان وثمانين ومائة على ما ذكر البغدادى [1] والرشيد توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة [2] . فإذا قدرنا أنه قضى سنة ببغداد قبل اتصاله بالأمين يعرف فيها بنفسه ويثبت وجوده ، أو يلقى الناس ويمدحهم حتى عد فى الشعراء كما يقول ،لكان تقدير مجيئه إلى بغداد قبل وفاة الرشيد بست سنوات أقرب إلى الحقيقة . وقد يقول قائل إن هذه السنوات كانت كافية لتحقيق هذا الوصول ، وهذا صحيح إذا كان الشاعر فى هذه الفترة يحاول الوصول ويكرر محاولاته حتى ينجح ، ولكن يبدو أن الحسين لم يحاول أو لعله حاول وفشل . وربما كان الحسين لا يأنس فى نفسه النضوج الكامل أو النبوغ الذى يؤهله للمثول أمام الرشيد ليمدحه ، أو أن هيبة الرشيد وما أوقعه فى قلوب الناس من رعب بعد نكبة البرامكة جعلت الحسين يتحاشى الوقوف أمامه ، ويكتفى بما وصل إليه من منادمة أبنائه والانغماس فى نعيمهم وخمرهم ، وهذه عنده غاية ما بعدها غاية ، ونعمة لا يبغى سواها نعمة ،فلماذا يعرض نفسه لهذا الموقف الصعب والامتحان العسير أمام الرشيد ، وقد وجد بغيته فى قصوره ومع أبنائه يؤاكلهم ويشاربهم ويلهو معهم ، إنه ليس بحاجة إلى مدح الرشيد أو الوصول إليه مادام غارقا فى النعيم والمتعة ، ومادام قد وجد عند هؤلاء الأمراء كل أسباب الترف والحياة الرغيدة . كل هذه العوامل تفسر لنا عدم وصول الحسين إلى الرشيد :

---

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٥ .

(٢) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ص ٣ .

وحديث الحسين عن عدم وصوله إلى الرشيد يجعلنا نرفض الرواية التي ذكرها البكري [١] والعمري [٢] وابن عساكر [٣] عن نزول الحسين مع الرشيد بديرمران بالشام وشربه معه ، وأنه طلب منه أن يقول فيه شعرا فقال أبياتا منها :

يادير مران لا عريت من سكن قد هجت لي شجنا يادير مرانا

والذي يؤكد رفضها ما ذكره أبو الفرج وياقوت من أنها حدثت مع المعتصم لما خرج غازيا إلى الشام . فقد نزل به ومعه حسين ، وبعد أن أكل ونشط للشرب دعا بمن معه فأكلوا وشربوا ثم قال لحسين بن الضحاك : أين هذا المكان من ظهر بغداد . فقال لا أين يا أمير المؤمنين ، والله لبعض الغياض والآجام هناك أحسن من هنا ، قال : صدقت والله ، وعلى ذلك فقل أبياتا يغن فيها عمرو ، فقال : أما أن أقول شيئا في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به ولكني أقول متشوقا إلى بغداد : فضحك وقال : قل ماشئت . [٤]

ويعلق ابن عساكر على هذه الرواية بقوله : « وهذه أشبه إلى الصواب من الأولى » [٥] .

وقد ذكر الشابشتي [٦] وياقوت [٧] هذه الأبيات في دير مديان [٨] لادير مران [٩] . ونقل عنهما محققو أغاني الدار اسم الدير لاتفاقه مع سياق الخبر وسنعرض لتحقيق ذلك في مكانه .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٦٠٢ . (٢) مسالك الابصار جـ ١ ص ٣٥٥ .
(٣) تاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٩٧ . (٤) أغاني الدار جـ ٧ ص ١٩٢ .
(٥) تاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٩٧ . (٦) الديارات ص ٢١ .
(٧) معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٣٣ ط بيروت .
(٨) ذكر الشابشتي أن هذا الدير يقع على نهر كرخايا ببغداد وأنه دير حسن نزه، حوله بساتين وعمارة ، ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهة (ديارات ص ٢١) .
(٩) ذكر العمري عن دير مران أنه يقع بالقرب من دمشق على تل في سفح قاسيون وبناؤه بالجص الأبيض وأكثر فرشه بالبلاط الملون . وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني وفلاليه دائرة به وأشجاره متراكبة وماؤه يتدفق (مسالك جـ . ص ٣٥٣) ، كما ذكره أبو الفرج فقال : « وهو دير على قلعة مشرفة عالية تحتها بروج ومياه حسنة » . (أغاني جـ ٧ ص ١٩٢) .

والذى يهمنا الآن هو إثبات عدم اتصال الحسين بالرشيد ، وأن حقيقة هذه الرواية كانت مع المعتصم لا مع الرشيد ، اعتمادا على هذه الدلائل التى سقناها .

مع الأمين :

اتصل الحسين بأبناء الرشيد وأولهم صالح كما ذكرنا ، ثم الأمين ، وهو يقول : « واتصلت بمحمد بن زبيدة فى أيام أبيه وخدمته ثم اتصلت خدمتى له فى أيام خلافته »[1] وهذا القول يفيدنا فى تحديد التاريخ الذى اتصل فيه بالأمين لأننا نجد فى ذلك قولين مختلفين ، وأولهما قول البغدادى الذى نقله عن على بن أبى على عن أبى عبيد الله المرزبانى بأن الحسين صحب الأمين سنة ثمان وثمانين ومائة[2]. وثانيهما قول العميدى بأنها سنة ثمان وتسعين ومائة[3] وهى السنة التى قتل فيها الأمين ، وقد أخذ بالقول الأول ابن عساكر[4] ، أما الثانى فقد أخذ به ابن خلكان وياقوت وغيرهما[5] . وفى رأيى أن القول الأول هو الصحيح ، لأنه يتفق مع قول الحسين نفسه الذى ذكره أبو الفرج ، وهو اتصاله بالأمين فى أيام أبيه . وبناء على هذا القول تكون المدة التى قضاها الحسين فى صحبته عشر سنوات ، وهى مدة كافية لتكوين هذه العلاقة الوثيقة التى كانت بينهما . أما القول الثانى فيجعل هذه المدة لا تبلغ العام الواحد ؛ إذ قتل الأمين فى نفس السنة التى اتصل به الحسين فيها ، بل إن هذه المدة لا تصل إلى شهر إذا عرفنا أن مقتل الأمين كان ليلة الأحد لخمس بقين من

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٥ .

(٣) الابانة عن سرقات المتنبى ص ١٨٤ .

(٤) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ .

(٥) انظر وفيات الأعيان ج ١ ص١٩٣ و معجم الأدباء ج١٠ ص٥ ودائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٢٢٠

المحرم[1] أى فى أول شهر فى العام ، فكيف إذن تكون العلاقة بينهما قد وصلت إلى هذا الحد فى مدى شهر أو أقل ؟ . وكيف حدثت كل هذه الحكايات والنوادر ، التى جاءت فى ترجمته بينه وبين الأمين ؟ . وكيف يكون قد أحبه هذا الحب الخارف ،الذى أنطقه برثائه الملىء بالحزن والفجيعة ،والذى أفقده توازن فكره وسلامة عقله فجعله يهجو المأمون ، كيف يكون ذلك قد حدث فى أيام ؟ . إن كل هذه الدلائل تجعلنا نرفض قول العميدى ومن أخذ به ، لأنه لا يتفق مع منطق التاريخ ولا منطق العقل . ونأخذ بالقول الأول الذى يتفق مع المنطق السليم ومع قول الحسين نفسه وما جاءت به أخباره .

وكانت للحسين مع الأمين نوادر وحكايات لطيفة ذكرها أبو الفرج ، ننقلها هنا لا للطافتها فحسب ، ولكن لنقف منها أيضا على حقيقة العلاقة بينهما ، ولنعرف طبيعة حياة هؤلاء الخلفاء وما يدور فى قصورهم وفى مجالس لهوهم وشرابهم ، ولنرى صورة صادقة لهذه الحياة التى شاركهم فيها الحسين وقام بدور النديم المقرب إليهم .

روى أبو الفرج على لسان الحسين قال : « شربنا يوما مع الأمين فى بستان فسقانا على الريق ، وجد بنا فى الشرب ، وتحرز من أن نذوق شيئا فاشتد الأمر على ، وقمت لأبول ، فأعطيت خادما من الخدم ألف درهم على أن يجعل لى تحت شجرة أومأت إليها رقاقة فيها لحم فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمد فقال : من يكون منكم حمارى ؟ فكل واحد منهم قال له : أنا ، لأنه كان يركب الواحد منا عبثا ثم يصله ، ثم قال : يا حسين ، أنت أضلع القوم ، فركبنى وجعل يطوف وأنا أعدل به عن الشجرة ، وهو يمر بى إليها حتى صار تحتها فرأى الرقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهرى ، وقال : هذه جعلت لبعضكم ، ثم رجع إلى مجلسه وما وصلنى بشىء . فقلت

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٩٠٥ .

لأصحابى : أنا أشقى الناس ، ركب ظهرى ، وذهب ألف درهم منى ، وفاتنى ما يمسك رمقى ولم يصلنى كعادتى ، ما أنا إلا كما قال الشاعر :

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه أنى توجه والمحـــروم محروم[1] »

فهذه القصة ترينا كيف كان الأمين يتصرف فى مجالس لهوه مع ندمائه . وكيف كان يفعل أفعالا لا نتصور صدورها من خليفة أو أمير . ولكنها الخمر التى تذهب بالعقول، وتجعل شاربها يأتى من الأفعال ما يحلو له دون حرج أو حياء . كما ترينا ما كان يلقاه الحسين معه من عنت فى بعض الأحيان ما دام ذلك يضحكه ويسليه .

وقصة أخرى رواها أبو الفرج على لسان أبى محمد بن النشار قال : « كان أبى صديقا للحسين بن الضحاك ، وكان يعاشره ، فحملنى معه يوما إليه ، وجعل أبى يحادثه إلى أن قال له : يا أبا على ، قد تأخرت أرزاقك وانقطعت موادك ، ونفقتك كثيرة فكيف يمشى أمرك ؟ فقال له : بلى والله يا أخى ، ما قوام أمرى إلا ببقايا هبات الأمين محمد بن زبيدة وذخائره وهبات جارية له — لم يسمها — أغنتنى للأبد لشىء ظريف جرى على غير تعمد ، وذلك أن الأمين دعانى يوما فقال لى : يا حسين إن جليس الرجل عشيره وثقته وموضع سره وأمنه ، وإن جاريتى فلانة أحسن الناس وجها وغناء ، وهى منى بمحل نفسى ، وقد كدرت على صفوها ونغصت على النعمة فيها بعجبها بنفسها ، وتجنيها على ، وإدلالها بما تعلم من حبى إياها ، وإنى محضرها ومحضر صاحبة لها ليست منها فى شىء لتغنى معها ، فإذا غنت وأومأت لك إليها — على أن أمرها أبين من أن يخفى عليك — فلا تستحسن الغناء ولا تشرب عليه ، وإذا غنت الأخرى فاشرب واطرب ، واستحسن واشقق ثيابك ، وعلى مكان كل ثوب مائة ثوب . فقلت : السمع والطاعة . فجلس فى حجرة الخلوة وأحضرنى وسقانى وخلع على . وغنت المحسنة وقد أخذ الشراب منى ، فما تمالكت أن استحسنت وطربت وشربت ، فأومأ إلى وقطب فى وجهى ،

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٠٨ .

ثم غنت الأخرى فجعلت أتكلف ما أقوله وأفعله . ثم غنت المحسنة ثانية فأتت بما لم أسمع مثله قط حسنا ، فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت ؛ وهو ينظر إلى ويعض شفتيه غيظا ، وقد زال عقلي فما أفكر فيه ، حتى فعلت ذلك مرارا ، وكلما زاد شربي ذهب عقلي وزدت مما يكره ، فغضب فأمضى وأمر بجر رجلي من بين يديه وصرفي ،فجررت وصرفت فأمر بأن أحجب وجاءني الناس يتوجعون لي ويسألون عن قصتي فأقول لهم : حمل على النبيذ فأسأت أدبي فقومني أمير المؤمنين بصرفي وعاقبني بمنعي من الوصول إليه ؛ ومضى لما أنا فيه شهر ، ثم جاءتني البشارة أنه قد رضي عني ،وأمر بإحضاري، فحضرت وأنا خائف . فلما وصلت أعطاني الأمين يده فقبلتها ، وضحك إلى وقام وقال : اتبعني ، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري . وغنت المحسنة التي نالني من أجلها ما نالني فسكت . فقال لي : قل ماشئت ولا تخف، فشربت واستحسنت ثم قال لي : يا حسين ، لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب فيه ، إن هذه الجارية عادت إلى الحال التي أريد منها ورضيت كل أفعالها ، فأذكرتني بك وسألتني الرضا عنك والاختصاص لك ، وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار ووصلتك هي بدون ذلك . والله لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألا تصل إلى لأجبتها . فدعوت له وشكرته وحمدت الله على توفيقه ، وزدت الاستحسان والسرور إلى أن سكرت وانصرفت وقد حمل معي المال ، فما كان يمضي أسبوع إلا وصلاتها وألطافها تصل إلى من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين ، وما جالسته مجلسا بعد ذلك إلا سألته أن يصلني . فكل شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذخرت من صلاتها[1] »

فمن هذه القصة نعرف مكانة الحسين من الأمين وكيف كان موضع ثقته ، وأمينا على أسراره ومطلعا على علاقته بجواريه . كما نعرف مدى ما كان لهؤلاء الجواري من تأثير على الخليفة ، وأن رضا الأمين عليه جاء وفقا لرغبة جاريته ، وقد كانت صلاتها لا تنقطع عنه حتى في أيام محنته بعد

(١) أغاني الدار جـ ٧ ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

مقتل الأمين وغضب المأمون عليه . وملاحظة أخرى نراها فى هذه القصة وهى أن وجود الحسين وأمثاله بقصر الخليفة كان رهن القدر ، فمن أسعده الحظ هيأ له الظروف التى تجعل الخليفة راضيا عنه ، بل وتجعل جاريته أيضا باعثة هذا الرضا ، كما حدث بالنسبة للحسين . ومن ساء حظه كان موضع السخط وطريد الغضب من غير أن يكون قد ارتكب ذنبا أو اقترف إثما .

ولم يصل إلينا فيما وصل من شعر الحسين أية قصيدة يمدح بها الأمين ، ولا بد أن يكون الحسين قد مدحه بقصائد لا تقل جودة عما مدح به المعتصم والواثق،ولكنها ضاعت فيما ضاع من شعره ، ولعل هذا ما جعل جورجى زيدان يقول عن الحسين « وله فى الأمين مدائح كثيرة » .[1] إذ ليس لهذا القول ما يؤيده فى شعر الحسين أو أخباره،ولا تفسير له إلا أن يكون قد أطلقه التخمين .

وقد عرفنا موقف الحسين مع الأمين وقت محنة حصار بغداد ، وكيف كان يشجعه ويشد أزره ، ولا يتوانى عن نصرته والتضحية من أجله ، واستمر فى حماسته وتعصبه للأمين حتى بعد مقتله ، إذ تمكنت منه الصدمة واشتدت به الفجيعة،حتى قيل إنه خولط فى عقله ورثاؤه يقطر حزنا ولوعة وقد ذكرنا منه بعض الأبيات فى حديثنا عن شخصيته . ونذكر منه هنا أبياتا أخرى لنرى مدى لوعته وحزنه أكثر وضوحا . فيقول متمنيا إياب الأمين الذى كان ذهابه ذلة له واستكانة .

سألونا أن كيف نحن فقلنـــا   من هوى نجمه فكيف يكـــون

نحن قوم أصابنا حدث الدهـــر   فظللنا لريبه نستكيـــــــن

نتمنى من الأمين إيابـــــــا   لهف نفسى وأين منى الأمين[2]

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٢ ص ٨١ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١

وهذه الأبيات تفسر لنا ما قيل عن الحسين بأنه خولط لجزعه عليه وكان ينكر قتله ويقول إنه مستتر وإنه قد وقف على تفرق دعاته فى الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه[1] .

لقد كان الأمين بالنسبة للحسين أملا ضخما يغنيه ، ونعيما مقيما يستظل به وقد مضى هذا الأمل وذلك النعيم ، ولم يبق له إلا الأسف العميق والحزن الدفين يقول[2] :

قد كنت لى أملا غنيت بــــه فمضى وحل محله الأســــف

ولا يفتأ الحسين يذكر الأمين وأيامه السعيدة ، يرى قصوره خاوية فتهيج فى نفسه الأشجان وينطلق لسانه برثاء يقطر حزنا ولوعة .

وتمادى الحسين فى رثائه للأمين حتى عرض بالمأمون وهجاه . وكأنما استبدت به فجيعته فيه فلم يقدر نتيجة هذه الحماقة . ولولا أن أبا العتاهية نصحه مخلصا لكانت عاقبته وخيمة ، فهو يقول « كنت عازما على أن أرثى الأمين بلسانى كله ، وأشفى لوعتى ، فلقينى أبو العتاهية فقال لى : يا حسين أنا إليك مائل ، ولك محب ، وقد علمت مكانك من الأمين ، وإنه لحقيق بأن ترثيه إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف عليه ، والتوجع له بما صار هجاء لغيره ، وثلبا له وتحريضا عليه وهذا المأمون منصب إلى العراق قد أقبل عليك فأبق على نفسك ، يا ويحك أتجسر على أن تقول :

تركوا حـــــريم أبيهم نفــــلا والمحصنات صوارخ هتف

هيهات بعدك أن يدوم لهـــــم عز وأن يبقى لهــــم شرف

أكفف غرب لسانك واطو ما انتشر عنك ، وتلاف ما فرط منك ؛ فعلمت أنه قد نصحنى فجزيته الخير ، وقطعت القول فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو »[3]

---

(١) المصدر السابق جـ ٧ ص ١٥١ .
(٢) الطبرى جـ ٣ ص ٩٤١ .
(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١١ .

مع المأمون :

ومرت بعد مقتل الأمين ست سنوات ، والمأمون مقيم بخراسان ، حتى قدم إلى بغداد فى الخامس عشر من صفر سنة ٢٠٤ هـ . ولعل هذه الفترة الطويلة التى مكثها المأمون بعيدا عن بغداد كانت من العوامل التى مهدت للحسين حرية القول ، فانطلق لسانه فى رثاء الأمين بما شاء دون خوف من بطش أو عقاب ، ولو كان المأمون ببغداد لما استطاع الحسين أن يقول ما قال ، ولكان له معه شأن آخر كما أن هذه الفترة أعطت الحسين فرصة الإقلاع عن قوله عملا بنصيحة أبى العتاهية ، ومحاولة إصلاح ما اقترفه فى حق المأمون والتكفير عن ذنبه بمديحه . وليس ببعيد أن يكون لهذه السنين أثرها فى تهدئة غضب المأمون وإطفاء نار الانتقام فى نفسه ، فكان عقابه للحسين أخف مما كان ينتظر له . يروى أبو الفرج « لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد المخلوع فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين ، فقال :

أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلا بقيت لسـد فاقتنا	أبدا وكان لغيرك التلـف
فلقد خلفت خلائفا سلفوا	ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لى فيه ، والله لا يرانى أبدا إلا فى الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به قال : وانحدر حسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون »[1]

هكذا نجا الحسين من بطش المأمون الذى عفا عما سلف ، وصفح من الأخطاء التى ارتكبها أمثاله من أصحاب أخيه ، وكأن حزنه لمقتله وتأثره مما أحدثته هذه الحرب من خراب ودمار وإراقة دماء ، جعله يحاول نسيان هذه

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٨ والديارات ص ٣٦ وكتاب بغداد ص ٥٨ — ٥٩ .

المحنة العصبية وكل ما يذكره بآلامها ، فلم يكن فى نفسه استعداد لانتقام من أحد ، وإنما أراد جمع الشمل من جديد ، فعفا عن كثير حتى اشتهر بعفوه العظيم ، وتسامح فى كثير حتى عرف بتسامحه النبيل .

وكان عقاب المأمون للحسين بامتناعه عن استخدامه وحرمانه من مجالسته أو حتى مجرد المثول بين يديه كبقية الشعراء لمدحه وأخذ عطائه ، بالإضافة إلى قطع أرزاقه التى كانت تعطى له من بيت مال الدولة . كان هذا العقاب شديد القسوة على الحسين،إذ تركه فريسة للفقر والفاقة لا مورد له يرتزق منه إلا ما يصله من بعض الأمراء الذين كان ينادمهم كصالح بن الرشيد وأبى عيسى أخيه ، أو ما ذخره من عطايا الأمين أو صلات جاريته التى عرفنا قصتها . ولكن ذلك كله لم يكن يعوض عنه النعيم والترف الذى عاش فيه أيام الأمين ، ولم يكن يهيئ له حياة رغيدة كتلك الحياة . وأهم من ذلك أن عقاب المأمون كان بمثابة حكم بالموت الأدبى على الحسين لأن قصر الخليفة كان فى ذلك العصر هو متنفس الشاعر إلى الشهرة وإلى المكانة المرموقة فى المجتمع ، وكلمة منه تحمل معنى الإعجاب بالشاعر أو استحسان قوله تعتبر شهادة الامتياز التى يعتز بها ويتيه على الناس ، ومشعل النور الذى ينير أمامه سبيل الشهرة والمجد ، وشحنة التشجيع التى تدفعه إلى الإجادة فى القول . فكيف يعيش الحسين وقد فقد كل هذه المميزات ؟ . إنه لاشك كان يعانى ضيقا شديدا وآلاما نفسية موجعة . وما أصدق هذه الأبيات التى يترجم فيها عن سوء حاله فيقول[1] :

كم لك لما احتمل القطين	من زفرة يتبعها الأنين
وعبرة تحدرها الشئون	إنى ببغداد لمستكين
حظ الغريب الشوق والشجون	يا لا ئمى لكل يوم هون
إليك عنى إننى مفتون	الشعر منى كاسد ودون
وحان من تحريكه تسكين	قد ركبت أربابها الديون
بضاعة أكسدها المأمون	إمام عدل للتقى أمين

(٢) انظر المحاسن والمساوىء ج ٢ ص ٩٢ .

ولم يستطع الحسين أن يبقى على هذه الحالة المؤسفة ، فلجأ إلى بعض رجال المأمون وإخوته يستشفع بهم لديه ، لعله يرضى عنه ، ويفك من رقبته قيود الإهمال والحرمان ؛ لجأ إلى الحسن بن سهل وزير المأمون فقد طمع أن يصلحه له لمكانته عنده ومدحه بقصيدة لم يصل إلينا منها سوى تسعة أبيات [١] .
وذكر أبو الفرج أن الحسن استحسنها ، ودعا بالحسين فقربه وآنسه ووصله وخلع عليه ، ووعده إصلاح المأمون له فلم يمكنه ذلك لسوء رأى المأمون فيه ، ولما عاجل الحسن من العلة [٢]

لم تفلح وساطة الحسن ، فلجأ الحسين إلى صالح بن الرشيد أخى المأمون وكان على صلة وطيدة به ، إذ كان من ندمائه المقربين . ويروى أبو الفرج على لسان صالح قال : « دخلت يوما على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك ، فقلت يا أمير المؤمنين أحب أن تسمع منى بيتين ، فقال أنشدهما فأنشدته :

حمدنا الله شكرا إذ حبانـــا ... بنصرك يا أمير المؤمنينـــا
فأنت خليفة الرحمن حقـــا ... جمعت سماحة وجمعت دينـا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك .

قال : قد أحسن . فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا ، فقال : وما هو ؟

فأنشدته قوله :

أيبخل فرد الحسن فردصفاته ... على وقد أفردته بهوى فـــرد
رأى الله عبد الله خير عبـاده ... فملكه والله أعلم بالعبـــد

---

(١) الأبيات فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٧ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٦ — ١٧ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٨ .

قال : فأطرق ساعة ثم قال : « ما تطيب نفسى له بخير بعدما قال فى أخى محمد وقال » .[1]

ولكن ابن عساكر يروى هذا الخبر نفسه دون ذكر قول المأمون الأخير بل يذكر أن المأمون وجه إليه بخمسة آلاف درهم وخمس خلع[2] على قول صالح . وهذا يعنى أنه عفا عنه ولو عفوا جزئيا ، إذ أمر له بهذا العطاء بعد أن كان قد قطع أرزاقه كما عرفنا . إلا أن تناقض الروايتين فى قول المأمون أو فعله يخلط الأمر علينا . ولكنى أرجح رواية أبى الفرج على رواية ابن عساكر ، لأن الحسين لجأ بعد ذلك إلى غير صالح ، ولو كانت شفاعته نجحت لأغنته عن الاستشفاع بغيره .

ولجأ الحسين كذلك إلى عمرو بن مسعدة كاتب المأمون ، فيروى أبو الفرج أن الحسين « لما أعيته الحيلة فى رضا المأمون عنه ، رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه أبياتا يستحثه فيها على الاستشفاع له لدى المأمون حتى يرضى عنه ويعفو ، فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدر أرزاقه »[3] . ولكننا لم نعرف الطريقة التى أوصله بها عمرو إليه ، ولم نجد فى أخبار الحسين ما يدل على ذلك ، وربما يكون له يد وتدبير مع ابن البواب فى محاولته إدخاله على المأمون والاستشفاع له .

روى أبو الفرج على لسان ابن أبى الأزهر . قال : « كنت بين يدى المأمون واقفا فأدخل إليه ابن البواب رقعة فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إنشادها ، فظنها له فقال : هات ، فأنشده :

أجرنى فإنى قد ظمئت إلى الوعد ... متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٩ . وقد علق أبو الفرج على هذه الرواية بقوله « وهذه الأبيات تروى لابن البواب ، وستذكر فى أبوابه إن شاء الله تعالى » وعلى أن الذى رواها غلط فى روايته غلطا بينا لأنها مشهورة من شعر الحسين بن الضحاك . وقد روى أيضا فى أخباره أنه دفعها إلى ابن البواب . فأوصلها إلى المأمون وكان له صديقا ولعل الغلط وقع من هذه الجهة .

(٢) تاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٩٨ وروى طيفور الطبرى هذا الخبر بدون تعليق المأمون على الأبيات انظر كتاب بغداد ص ٣١٢ وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٥٨

(٣) انظر الأبيات والخبر فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ .

أعيذك من خلف الملوك وقد بدا　　تقطع أنفاسى عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عنى بنائل　　قليل وقد أفردته بهوى فرد

إلى أن بلغ قوله :

رأى الله عبد الله خير عباده　　فملكه والله أعلم بالعبـــــد
ألا إنما المأمون للناس عصمة　　مميزة بين الضلالة والرشـــد

فقال المأمون أحسنت يا عبد الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، أحسن قائلها قال : ومن هو ، فقال : عبدك حسين بن الضحاك ، فغضب ثم قال : لا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا أنعم به عينا . . أليس القائل :

أعينى جودا وابكيالى محمــدا　　ولا تذخرا دمعا عليه وأسعدا
فلا تمت الأشياء بعد محمـــد　　ولا زال شمل الملك فيه مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده　　ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

هذا بذاك، ولا شيء له عندنا ، فقال له ابن البواب : فأين فضل إحسان أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته فى العفو ؟ . فأمره بإحضاره ، فلما حضر سلم ، فرد عليه السلام ردا جافيا . ثم أقبل عليه فقال : أخبرنى عنك : هل عرفت يوم قتل أخى محمد هــاشمية قتلت أو هتكت : قال : لا قال : فما معنى قولك [1] :

ومما شجى قلبى وكفكف عبرتى　　محارم من آل النبى استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها　　كعاب كقرن الشمس حين تبدت
إذا خفرتها روعة من منازع　　لها المرط عادت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم　　هتفن بدعوى خير حى وميت
أرد يدا منى إذا ما ذكرتــه　　على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة　　ولا بلغت آمالهم ما تمـــنت

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٦ ذكر الأبيات الثلاثة الأخيرة وفى الفرج بعد الشدة جـ ٩ ص ٤ وابن الأثير جـ ٦ ص ٢٠٤ ذكرت الأبيات كاملة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأنطقني ، وسيد فقدته فأقلقني ، فإن عاقبت فبحقك وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوت عنك وأمرت بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فاتك منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك[1] »

ويروى النويري هذا الخبر بطريقة مختصرة وبقول آخر للمأمون ، إذ قال للحسين بعد أن أنشده أبياته الأولى في مدحه — « هذه بتلك وقد عفونا عنك فقال : يا أمير المؤمنين ، فأتبع عفوك إحسانك فأمر برد أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمون : لولا أني نويت عفوا عنه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، مافعلته ، وإنما ذكر الوعد في تشبيبه يذكرنيه »[2] .

هذا القول الذي ذكره النويري للمأمون يجعلنا نتساءل . هل كان المأمون حقا قد وعده من قبل بهذا العفو ، أو حتى بمجرد المثول بين يديه لإنشاد شعره ؟ أم أن النويري استند إلى معنى البيتين الأول والثاني فاستنبط هذا القول ؟ إننا نلاحظ أن النويري يذكر أن المأمون لما كلم في الحسين رد عما قاله الحسين في هجائه ، فما زالوا يتلطفون معه في القول إلى أن أذن له أن ينشده فأنشده[3] مدحه الذي ذكرناه ، ومعنى ذلك أن المأمون لم يقبل دخول الحسين إلا بعد تحايل وتلطف فهل هذا يتفق مع وعد سابق منه ؟ هل نفهم أنه وعده بالعفو وبقبول مثوله أمامه ثم عاد فرفض دخوله حتى تحايلوا وتلطفوا معه في القول فقبل ؟ إن الرواية بهذه الصورة تحمل تناقضا لا يتفق مع

---

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٦٥ — ١٦٦ وقد نقل عنه الخبر كاملا التنوخي في الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧٤ ورواه ابن شاكر الكتبي كاملا كذلك في عيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٢١٨ وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٥ مع نقص في بعض الأبيات والألفاظ وبعض المصادر ذكرت جزءا من الخبر كالنويري في نهاية الأرب ج ٣ ص ٢٥٦ وابن الأثير في الكامل ج ٦ ص ٢٠٤ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ .

(٢) نهاية الأرب ؛ ج ٣ ص ٢٥٦ . (٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

المنطق ، وتجعلنا نشك فى صحة قول النويرى بأن المأمون جعل ذلك وعدا له من قبل ، ولكن البيتين الأولين يرجحان صحة هذا القول . فكيف نفسر ذلك ونخرج من هذا التناقض؟هناك احتمال بأن المأمون ربما يكون قد وعد الذين يتشفعون للحسين كعمرو بن مسعدة وابن البواب وصالح أخيه بأن يعفو عنه ويرد أرزاقه ، ولكنه نسى هذا الوعد فلم يقبل دخوله بسهولة . أو أن وعده هذا لم يكن يتضمن قبول مثوله بين يديه ، وإنما كان وعدا بمجرد العفو ورد الأرزاق فحسب ، وأن أمر دخوله هذا جاء بتلك الحيلة التى دبرها ابن البواب كما رأينا ، ولهذا قابله المأمون بجفاء ، بل كان يرفض دخوله فى أول الأمر لولا تلطف ابن البواب .

وعلى كل فإن الحسين اتخذ من هذا الوعد ركيزته التى يستند إليها فى وقوفه أمام المأمون ، ويحتمى بها من غضبه ، فجعلها مطلع قصيدته ، وذكره بأن وعد الملوك لا يخلف وكلمتهم لا ترد ، فطوقه بوعده وأجبره على إنجازه .

ولم يكن عفو المأمون عن الحسين عفوا كاملا . لأنه وإن كان قد رد عليه أرزاقه فإنه ما زال عند كلمته بعدم استخدامه ، وقد ظل الحسين مبعدا عن قصر المأمون مدة خلافته كلها . وقد عرفنا أنه رحل إلى البصرة وأقام بها طوال هذه المدة . ولعل الحسين وجد فى ابتعاده عن بغداد أمانا لنفسه من بطش المأمون ومع أنه نال منه العفو ، فإنه لم يأمن البقاء بها ، لشعوره بأن نفس المأمون ما زال فيها شىء ، وبأنه لم يرض عنه الرضا الكامل كما لم يعف عنه العفو الكامل . وكان الحسين يمكنه أن يبقى فى صحبة الأمراء والأعيان الذين عرفوه وأحبوه واستمتعوا بظرفه وحلاوة منادمته من قبل ، ولكن هؤلاء أيضا ربما تحرجوا من منادمته بعد أن عرفوا رأى المأمون فيه . فأحس الحسين أنه لم يعد النديم المحبوب الذى يتهافتون عليه ، وشعر بأنه غدا غير مرغوب فيه ، وبأن خلان الأمس يتباعدون عن صحبته اليوم . بل إن بقاءه فى مثل هذه الظروف قد يعرضه لوشاية الواشين ، ويجعله عرضة للمحاسبة على كل صغيرة

وكبيرة ، وما أسهل تلمس الأخطاء له وهو الخليع الماجن . كل هذه العوامل دفعت الحسين إلى المسارعة بالرحيل نجاة بنفسه وأمانا لها . ووجد الحكمة فى البعد عن موطن الخطر وتجنب أسباب البلاء .

وقضى الحسين بالبصرة زمنا يزيد على عشرة أعوام لم نعرف كيف قضاها ، ولم نجد فى مصادر ترجمته أى خبر عنها . ويبدو أنه قضاها فى هدوء واستكانة محترزا أن يأتى من الأفعال ما يعرضه للعقاب ، أو يرتكب من آثام المجون والخلاعة ما يجعله هدفا لبطش ولاة المأمون .

ومرت الأيام والسنون ، وكان الزمن كفيلا بمحو آثار ذنبه من نفس المأمون فغير رأيه فيه ، وطابت نفسه له . وترددت معانى شعره الذى مدحه فى خاطره فتركت أثرا طيبا ، وهذا ما نجده فى خبر يرويه كل من ابن المعتز وأبو الفرج على لسان محمد بن عباد المهلبى قال : « قال لى المأمون وقد قدمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم[1] ؟ قلت : ما أعرفه ؟ قال : ذاك الحسين بن الضحاك ، أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم[2] أليس هو الذى يقول :

رأى الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله أعلم بالعبـــــــد

قال : ثم قال لى المأمون : ما قال فى أحد من شعراء زماننا بيتا أبلغ من بيته هذا . فاكتب إليه فاستقدمه ، وكان حسين عليلا ، وكان يخاف بوادر المأمون لما فرط منه ، فقلت للمأمون : إنه عليل يا أمير المؤمنين ، علته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فخذ كتابا إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يعطيه ثلاثين ألف درهم . فأخذت الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال»[3]

---

(١) فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٩ « كيف خلفت ظريف مصركم ومن بذار أبى على حكميكم » — يعنى أبا نواس .

(٢) فى الطبقات لم يذكر هذه العبارة بعد اسمه .

(٣) فى الطبقات لم يذكر هذه الرواية وانما قال بيت الشعر « ثم قال : أكتب اليه واستقدمه . قلت : يا أمير المؤمنين إن علته تمنعه من ذلك قال : فخذ كتابنا إلى عاملنا بالبصرة بألف دينار يدفعه إليه » وقد نقلت الخبر كله من رواية الأغانى لأنها أكمل ألفاظا . انظر ج ٧ ص ٥٠ .

ولم يعد هجاء الحسين للمأمون يترك فى نفسه ذلك الأثر السيئ الذى كان يتركه من قبل . وأصبح قوله الذى أغضب المأمون سالفا لا يغضبه بعد فوات الزمن ، بل يطلب من المغنى أن يغنى به أمامه ويردده على مسمعه مرات ، دون أن ينغصه أو يكدره ، وهذا ما نجده فى خبر يرويه أبو الفرج مجمله أن عمرو بن بانة المغنى كان عند صالح بن الرشيد، فطلب منه أن يرسل إلى منزله من يحضر دفاتر الغناء ليختار منها صالح ما يستجيده ، فلما جيء بها وجد فيها أبياتا للحسين فى هجاء المأمون ، فدعا بسكين وجعل يحكها خشية أن يأتى المأمون إليهم فيراها ، وكان ما توقعه صالح ، إذ حضر المأمون فرمى صالح بالدفتر ، ولاحظ المأمون ذلك فأمر باحضاره ، ونظر فيه فوقف على الحك وعرف ما كانوا فيه ، ومع ذلك أمر عمرو بن بانة أن يغنى فى أبيات الحسين ، بل طلب ترديدها ثلاث مرات ثم أمر له بثلاثين ألف درهم وقال له : « حتى تعلم أنه لم يضرك عندى » [1]

ونعود فنتساءل لماذا لم يرجع الحسين إلى بغداد بعد أن طابت نفس المأمون له ، ونسى ما كان منه ، أو لم يعد يتأثر به ؟ بل أصبح يردد قول الحسين فى مدحه بإعجاب ورضا نفس ، ويصفه بأنه أبلغ بيت قيل فيه من شعراء زمانه . لماذا لم ينتهز الحسين هذه الفرصة فيعود إلى مكانه فى قصر الخليفة وفى مجالسه ؟ ونجد جواب هذا السؤال فى كلام محمد بن عباد راوى الخبر بأن الحسين كان يخشى بوادر المأمون فهذا هو السبب الحقيقى لعدم ذهابه . أما القول بأنه كان عليلا فيمكن أن يؤخذ على أنه سبب وقتى يزول بزوال العلة. وأنه كان يمكن أن يلبى طلب المأمون بعد شفائه . ولكن الحقيقة كانت فى عدم ارتياحه إلى دعوة المأمون وخشيته من أن يحدث شيء ينكأ الجرح القديم، ويوقظ حفيظة المأمون عليه فتكون العاقبة وخيمة ، وعلى أقل تقدير فإنه لو ذهب لظل دائما فى خوف وترقب ، وهذا الشعور كفيل بأن ينغص عليه

---

(٢) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٠

حياته ويكدر عليه صفاءه ، وهو الذى تعود حياة الأنس والبهجة وأشربت نفسه حلاوة ليالى السرور والغبطة . لقد وجد أنه لن يطيق صحبة المأمون ، ولن ينعم أبدا بمنادمته ومجالسته ما دام بينهما هذا الحاجز المنيع .

مع المعتصم :

وانقضى عهد المأمون وتولى المعتصم الخلافة فى السادس عشر من رجب سنة ٢١٨ هـ ففتح باب الأمل من جديد أمام الحسين ، وتحطمت أغلال الهواجس التى أقضت مضجعه زمنا طويلا . ووجد الطريق ممهدة أمامه إلى قصر الخلافة ليستأنف نشاطه الأدبى ، ويأخذ مكانه فى مجالس الخليفة . فقد سأل عنه المعتصم فأخبر بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ، فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم ، فلما دخل وسلم واستأذن فى الإنشاد فأذن له ، فأنشده قوله [1] :

هلا سألت تلدد المشتـــــاق	ومنذت قبل فراقه بتـــــلاق
إن الرقيب ليسترِيب تنفس الصــــعدا إليك وظـــــاهر الإقـــلاق	
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة	عبرى عليك سخينة الآمـــاق
نفسى الفداء لخائف مترقب	جعل الوداع إشارة بعنـــــاق
إذ لا جواب لمفحم متحـــــير	إلا الدموع تصان بالإطـــــراق

وهى قصيدة طويلة ، ولكن ما وصل إلينا منها يبلغ واحدا وعشرين بيتا فقط .

ونلاحظ فى مطلعها هذا أن الحسين عبر عن شدة شوقه إلى بغداد وإلى نعيم الخلافة وظلها الوارف ، كما عبر عن قلقه العظيم وحيرته البالغة وخوفه الزائد ، وكل هذه الهواجس التى ملأت حياته قبل تولى المعتصم ، وإنه ليبكى لما كان فيه ، ويبكى من فرحته إذ تخلص منه . فى عباراته انفعال شديد وتأثر بالغ ، فيها صورة صادقة لحالته النفسية وترجمة أمينة لمشاعره وأحاسيسه .

(١) الأغانى ج ٧ ص ١٥٢ – ١٥٣ ومعجم الأدباء ج ١٠ ص ٧ – ١١ والزهرة ص ١٨٨ وعيون التواريخ حوادث سنة ٢٥٠ ج ٧ ص ٧٠٩ (مخطوط رقم ١٤٩٧)

وقد أجازه المعتصم على هذه القصيدة إجازة طيبة فيروى أبو الفرج أنه « لما أتمها قال له المعتصم : ادن منى فدنا منه ، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع إليه ، ويخرج إلى الناس وهو فى يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله . فكان أحسن ما مدح به يومئذ »[1]

وبعد أن يذكر أبو الفرج عددا آخر من أبيات القصيدة يروى أن المعتصم « أمر له لكل بيت ألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادح فى دولتنا فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه »[2] . وقد يبدو لنا أن هناك خلافا بين الروايتين فى الطريقة التى أجازه بها المعتصم . ولكن يمكننا أن نفهمهما على أنهما مكملتان بعضهما لبعض ، إذ أن أبا الفرج يرويهما على لسان قائل واحد وبإسناد واحد . فيفهم أن المعتصم أدناه وملأ فمه بالجوهر كتعبير مباشر عن شدة إعجابه ، ثم أمر له بالجائزة المالية أيضا فى الوقت الذى أمر فيه بنظم الجوهر . وأن الحسين حمل الجائزتين معه وخرج .

ونرى أن المعتصم أكرمه إكراما عظيما وأعجب بشعره إعجابا شديدا واعتبره أكثر ما مدحه به مادح فى دولته . وهذا تعظيم للحسين ما بعده تعظيم وإعلاء لمكانته بين الشعراء ، ورد لاعتباره الذى كان قد فقده فى عهد المأمون .

واتصلت منادمة الحسين للمعتصم بعد ذلك . فقام بمهمته خير قيام ، وملأ مجالسه بهجة وأنسا بما عرف عنه من ظرف ولطافة معشر . نذكر من ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومى دار المعتصم فخرج علينا كالحا قال : فتوهمنا أنه أراد النكاح فعجز

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٣ وعيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٢٠٩ ومعجم الأدباء ج ١٠ ص ١١ .

(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٣ .

عنه . قال : وجاء إيتاخ[1] فقال : مخارق وعلوية وفلان وفلان من أشباههم بالباب . فقال له المعتصم : اغرب عنى عليك وعليهم لعنة الله . . قال : فتبسمت إلى محمد بن عمرو ، وفهم المعتصم تبسمى فقال لى : مم تبسمت ؟ فقلت : من شىء حضرنى ، فقال : هاته فأنشدته :

انف عن قلبك الحـــزن ... باقتراب من السكن
وتمتع بكر طـــر ... فك فى وجوه الحسن
إن فيـــه شفاء صــد ... رك من لاعج الحزن

قال : فدعى بألف دينار : ألف لى وألف لمحمد ، فقلت : الشعر لى . فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال : لأنه جاءنا معك . ثم أذن لمخارق وعلوية فدخلا ، فأمرهما بأن يغنيا فيه ففعلا . فما زال يعيد هذا الشعر ، ولقد قام ليبول فسمعته يردده » [2].

ومن هذا الخبر نعرف براعة الحسين فى تسريته عن سيده وإزالة الهم من نفسه . وكيف يستطيع بظرفه ولطيف شعره أن يحيل غضب المعتصم إلى بشاشة وسرور .

وكان المعتصم يستصحب الحسين معه إذا رحل إلى أى مكان . وقد عرفنا أنه كان معه لما خرج إلى الشام غازيا ونزل بدير مران ، وأن هذا الخبر روى خطأ عن الرشيد . ويروى الشابشتى خبرا آخر على لسان عزون — وكان من ندماء المعتصم — قال : « كنا مع المعتصم فى بعض متنزهاته ، فاحتجنا أن نخوض نهرا ، وكان معنا حسين بن الضحاك ، فكاد أن يغرق . فقبض المعتصم على عضده وحمله من السرج حتى عبر به النهر إشفاقا عليه » [3] وهذا يدل على

---

(١) هو ايتاخ التركى قائد المعتصم . كان غلاما خزريا لسلام الأبرش طباخا ، فاشتراه منه المعتصم ثم رفعه من بعده الواثق وضما إليه من أعمال السلطان أعمالا كثيرة وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله فعنده كان يقتل وبيده يحبس . تولى الحكم بالديار المصرية من سنة ٢٣٠ إلى سنة ٢٣٥هـ ـ ى أمر المتوكل اسحق بن إبراهيم أن يحتال فى قتله ففعل . انظر الطبرى ج٣ ص١٣٨٣ ـ ١٣٨٦

(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ١٨٤ — ١٨٥ . (٣) الديارات ص ٣٦ .

مدى اهتمام المعتصم به وحبه له ، فقد أنقذه بنفسه لما رآه يغرق ، لم يسأل أحد أتباعه أن يقوم بذلك . ولم تمنعه كبرياء الخلافة من أن ينقذ نديمه وصانع البهجة فى مجالسه .

ولما أراد المعتصم بناء مدينة « سر من رأى » أقطع الناس الدور بها وأعطاهم النفقات لبنائها ، ولم يقطع الحسين شيئا . فدخل عليه فأنشده أبياتا يشكو فيها من ذلك ويطلب منه أن يقطعه دارا كما أقطع أصحابه ، ومطلعها :

يا أمين الله لا خطـــــــة لى ولقد أفردت صحبى بخطـــط

فأقطعه دارا وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها[1] . ولا يفسر عدم إقطاع المعتصم دارا للحسين فى أول الأمر إلا على أنه من قبيل النسيان .

وظلت علاقة الحسين بالمعتصم على أحسن حال . لم يحدث ما يكدرها إلا خطأ بسيط منه أغضب عليه المعتصم فأبعده عن مجلسه بعض الأيام . واختلف فى تفسير هذا الغضب وفى الخطأ الذى سببه . فيروى أبو الفرج فى ذلك روايتين مختلفتين ، وإن كان الذى حدثه بهما واحدا وهو الصولى . ففى الرواية الأولى يحدثه عن عون بن محمد عن الحسين بن الضحاك قال : « غضب المعتصم على فى شىء جرى على النبيذ ، فقال : والله لأؤدبنه . . وحجبنى أياما .

فكتبت إليه :

غضب الإمام أشد من أدبــــه وقد استجرت وعذت من غضبه

أصبحت معتصما بمعـــــتصم أثنى الإله عليـــه فى كتبــه

لا والذى لم يبق لى سببــــا أرجو النجاة به سوى سببـــه

مالى شفيع غير حرمتـــــه والكل من أشفى على عطبـــه

---

(١) أغانى ج ٧ ص ٢٠٩ — ٢٠١ .

قال : فلما قرئ عليه التفت إلى الواثق ثم قال : بمثل هذا الكلام ، يستعطف الكرام ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه . فقال له الواثق : هو حقيقة بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه . فرضى عنى وأمر بإحضارى [1] »

وفى الرواية الثانية قال الصولى : « فحدثنى الحسين بن يحيى أن هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يدى الواثق ، فأوصلها وشفع له . فرضى عنه وأمنه ، فظهر إليه وهجا العباس بأبيات بدأها بقوله :

خـــل اللعين وما اكتسب   لا زال منقطـع السبب [2] »

فأى الروايتين أحق بالتصديق ؟ إننى أميل إلى قبول الرواية الأولى لعدة أسباب ، أولها : أنها رويت عن الحسين نفسه ، وثانيها : أن الأبيات التى كتبها إلى المعتصم يسترضيه لا تحمل أية إشارة لحدوث شىء بينه وبين العباس . ولو كان قد تمنى له الخلافة لما كانت هذه الأبيات كفيلة بمحو ذنبه ونيل العفو من المعتصم بهذه السهولة ؛ لأن مثل ذلك الذنب ليس بسيطا عند الخلفاء وليس غفرانه بالأمر الهين . وقد قتل المعتصم العباس ابن أخيه من أجل هذه المحاولة فى الاستيلاء على السلطة . فكيف تكون معاملته لمن يناصره أو يتمنى له ذلك ؟ إنه بلا شك سيعامله أقسى معاملة ويعاقبه أشد عقاب إن لم يقتله . صحيح أننا نجد فى حديث للحسين أن المعتصم ضربه « لمودة كانت بينه وبين العباس بن المأمون[3] ولكنه لم يذكر أن هذه المودة وصلت إلى أن يتمنى له الخلافة . وثالثها : أن الحسين كما تذكر الرواية الثانية — كتب بأبياته على يدى الواثق الذى أوصلها لأبيه واستشفع له عنده . وفى هذا تناقض يدل عليه أن الواثق كان ولى العهد المرشح للخلافة . وأنه لا بد كان سيغضب من فعل

---

(١)،(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٧ .   (٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٢٦ .

الحسين كما غضب أبوه ، فكيف يلجأ إليه الحسين ليشفع له ؟ وكيف يقوم الواثق بدور الشفيع ؟ من الواضح أن هذا أمر غير معقول ، وأن التناقض فيه يدل على تلفيقه . ورابعها : أن راوى الخبر الثانى كان يمكنه أن يروى الأبيات التى مدح فيها العباس وتمنى له الخلافة ليؤكد صحة روايته ، قبل أن يروى أبيات الحسين فى هجائه ، لأن هذه لا تدل أبدا على واقعة المدح وتمنى الخلافة ، ولا تتصل بها بسبب من الأسباب . وأى شاعر يمكنه أن يهجو العباس لما فعله تقربا إلى المعتصم وإرضاء له . أما السبب الخامس : فيرجع إلى تجربة الحسين السابقة فى السياسة وما تركته فى نفسه من أثر عميق . فقد كاد تعصبه للأمين يودى بحياته وهو لا ينسى ما عاناه من مشقة وبلاء لمجرد امتناع المأمون عن استخدامه . فكيف يعرض نفسه مرة أخرى لخطر السياسة وبلائها ؟ وكيف ينسى إكرام المعتصم إياه واستقدامه من البصرة بعد أن كان فيها مغمورا منسيا ؟ وهو الذى عرفنا عنه الوفاء النبيل والإخلاص الجميل ، إنه ما كان لينكر فضل المعتصم عليه أو يخون معروفه الذى طوقه به . لكل هذه الأسباب أرى عدم الأخذ بالرواية الثانية وقبول الرواية الأولى .

مع الواثق :

واستمرت العلاقة الحسنة التى كانت بين الحسين والمعتصم إلى أن توفى وولى بعده ابنه الواثق ، فلما بويع بالخلافة دخل عليه الحسين معزيا فى موت أبيه ومهنئا فأنشده قصيدته التى أولها :

ألم يرع الإسلام موت نصيره بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

فقال الواثق : « إن كان الحسين لينطق عن حسن نية ويمدح بخلوص طوية ، ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم ، فأعجبته الأبيات حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان[1] » .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٦ .

ويذكر الرواة قصيدة أخرى قالها الحسين فى تهنئة الواثق بالخلافة : فيروى أبو الفرج أنه لما ولى الواثق « جلس للناس ودخل إليه المهنئون والشعراء فمدحوه وهنئوه ، ثم استأذن حسين بن الضحاك بعدهم فى الإنشاد وكان من الجلساء فترفع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأذن له فأنشده[1] قصيدته التى مطلعها :

أكاتم وجدى فما ينكتم ... بمن لو شكوت إليه رحم

وهى أطول ماوصل إلينامن قصائد الحسين فى المديح،إذ روى أبو الفرج وياقوت منها سبعة وعشرين بيتا ، ويبدو أنها كانت ثلاثين بيتا لأن الواثق أمر له بعد إنشادها بثلاثين ألف درهم . وكانت العادة أن يعطيه لكل بيت ألف درهم ، كما ذكر بعد القصيدة السابقة .

فنحن أمام قصيدتين للحسين فى مدح الواثق بعد توليه الخلافة ، الأولى لم يصل منها إلا خمسة أبيات . والثانية وصلت شبه كاملة لم ينقص منها إلا ثلاثة أبيات إذا صح هذا التقدير . ويبدو أن الحسين أنشد قصيدته الأولى فى أول دخول له على الواثق بعد وفاة أبيه لأنه يبدؤها بتعزيته فيه ويواسيه فى فقده . أما القصيدة الثانية فقد أنشدها بعد ذلك ، وبعد أن أعدها إعدادا حسنا .

ونلاحظ فى تعليق الواثق على مدح الحسين بأنه عن حسن طوية وخلوص نية ، ما يدل على حسن رأيه فيه وحبه له . كما نلاحظ فى جلوس الحسين مع الجلساء وترفعه عن الإنشاد مع الشعراء ، ما يدل على مكانته الطيبة عند الواثق وأنه ما كان ليقبل منه ذلك فى مجلسه لولا وجود هذه المكانة . وربما يكون جلوس الحسين ليس نتيجة ترفعه عن الوقوف مع الشعراء . والإنشاد معهم كما ذكر راوى الخبر ، وإنما هو لكبر سنه وشيخوخته ، وخاصة إذا عرفنا أنه فى السنة التى تولى فيها الواثق وهى سنة ٢٢٧ هـ [2] كان الحسين قد جاوز

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٢) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣ .

السبعين بما يقرب من خمس سنوات . ولهذا سمح الواثق له بالجلوس .
إلا أنه مع وضع هذا السبب فى اعتبارنا لا يمكننا أن ننكر ما كان للحسين فى نفس الواثق من حب وإعزاز . وقد عرفنا أنه كان شفيعه لدى أبيه لما غضب عليه ، وأنه كان يذكره بخير ويدافع عنه وسنعرف من أخباره معه مدى توثق العلاقة بينهما ، وما كان يتمتع به الحسين من عطفه عليه وتقريبه إياه .

اتصلت منادمة الحسين للواثق طوال مدة خلافته . وهى وإن كانت مدة قصيرة لا تزيد على خمس سنوات ، إلا أنها كانت مليئة بليالى اللهو ومجالس الشراب ورحلات الصيد والنزهة . وقد روت المصادر عنها كثيرا من الأخبار والقصص والنوادر وأعتقد أن منادمة الحسين للواثق كانت قبل توليه الخلافة ، وأن الصلة كانت معقودة بينهما منذ كان وليا للعهد ، وقد عرفنا ذلك من أخباره مع أبيه ، ومع ذلك فلم ترد من أخبار منادمته له فى هذه الفترة إلا خبر واحد ، وكل ما روته المصادر هو مما حدث فى أيام خلافته .

من ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « دخلت على الواثق ذات يوم وفى السماء لطخ غيم ، فقال لى ما الرأى عندك فى هذا اليوم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حكم به وأشار إليه قبلى أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصواب لا يرد وجعله فى شعر لا يعارض ، فقال : وما قال ؟ فقلت ، قال :

أرى غيما تؤلفه جنوب ... وأحسبه سيأتينا بهطل
فعين الرأى أن تدعو برطل ... فتشربه وتدعو لى برطل

فقال : أصبتما ، ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصطحبنا »[1]

ويروى أيضا أن الحسين كان ليلة عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثلث من الليل فأمر بأن يبيت مكانه . فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٩ — ١٦٠ .

فقال لحسين : هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها ؟ فقال : لم يمض شيء وأنا أقول الساعة ، وفكر هنيهة ثم قال :

حثت صبوحى فكاهة اللاهى	وطاب يومى بقرب أشبـــاهى
فاستثر اللهو من مكامنـــــه	من قبل يوم منغص ناهى
بابنة كرم من كف منتطق	موزر بالمجـــون تيـــاه
يسقيك من طرفه ومن يده	سقى لطيف مجرب داهـــى
كأسا فكأسا كأن شاربها	حيران بين الذكور والساهى

قال فأمر الواثق برد مجلسه كهيئته ، واصطبح يومه ذلك معهم ، وقال : نحقق قولك يا حسين ونقضى لك كل أرب وحاجة »[1] .

وفى رواية أخرى يذكرها أبو الفرج أيضا أن هذه الأبيات قالها الحسين فى يوم دخل فيه على الواثق فى خلاقة المعتصم ، فحثه على الصبوح فلم ينشط له فأنشده الأبيات السابقة فنشط الواثق وقال : إن فرصة العيش لحقيقة أن تنتهز واصطبح ووصل الحسين[2] . ولا يكاد يكون هناك خلاف بين الروايتين إلا فى تاريخ حدوثهما ، إذ أن الأبيات قيلت فى الحث على الصبوح واللهو عند الواثق الذى استجاب لها فعقد مجلس الشراب واللهو ، وإن زادت الرواية الأولى ذكر مبيت الحسين فى قصر الواثق وأنه لما أصبح سأله إن كان قد قال شيئا فى وصف ليلتهم الماضية ، ولكن الحسين قال أبياته فيما تقتضيه الساعة من شرب الصبوح والتمتع باللهو قبل أن يدخل عليهم يومهم بحوادثه المنغصة وما فيه من كد الحياة وتعبها .

على أن أبا الفرج يذكر هذه الأبيات فى رواية أخرى عن الحسين قال : « كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبح وخادم

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٠ .

(٢) أغانى الدار جـ٧ ص٢٢٢ وقد ذكر أبو الفرج هذه الأبيات فى منادمة أخرى للحسين مع عبد الله بن العباس وكرره مرتين جـ ٧ ص ١٩٠ ، ص ٢١٦ .

له يسقيه ، فقال لى يا أبا على ، قد استحسنت سقى هذا الغلام فإن حضرك شىء فى قصتنا هذه فقل ، فقلت (الأبيات) قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنى فيه لحنا مليحا وشربنا عليه بقية يومنا[1] » .

وهذه الرواية قد تشككنا فى الرواية الأخرى مع الواثق . ولكن تفسير ذلك أمر سهل فيمكن أن يكون الحسين قد قالها عند الواثق ، ثم أعادها عند عبد الله لما طلب منه أن يقول شيئا وبهذا لا يكون هناك ثمة تناقض بين الروايتين .

ووصل الحسين من الواثق إلى درجة الثقة والاطلاع على أسرار قصره ، وما يحدث بينه وبين جواريه . فيذكرنا بما كان بينه وبين الأمين . من ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « كانت لى نوبة فى دار الواثق أحضرها جلس أو لم يجلس ، فبينا أنا نائم ذات ليلة فى حجرتى ، إذ جاء خادم من خدم الحرم فقال : قم فإن أمير المؤمنين يدعوك . فقلت له : « وما الخبر ؟ قال : كان نائما وإلى جنبه حظية له فقام وهو يظنها نائمة ، فألم بجارية له أخرى ، ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه فغضبت حظيته وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتها ، فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها فقال : اختلست عزيزتى ويحكم أين هى . . فأخبر أنها قامت غضبى ومضت إلى حجرتها فدعا بك ، فقلت فى طريقى :

غضبت أن زرت أخرى خلسة	فلها العتبى لدينـــــا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة	فاغفريها واصفحى عما مضى
واتركى العذل على من قالـــه	وانسبى جورى إلى حكم القضا
فلقد نبهتنى من رقـــــدتى	وعلى قلبى كنيران الغضا

قال : فلما جئته خبرنى القصة وقال لى : قل فى هذا شيئا ، ففكرت هنيهة كأنى أقول شعرا ثم أنشدته الأبيات فقال : أحسنت وحياتى ، أعدها ياحسين ،

---

(١) كرر هذا الخبر بالأغانى جـ ٧ ص ١٩٠ ، ٢١٦ .

فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر بخمسمائة دينار ،وقام فمضى إلى الجارية وخرجت أنا إلى حجرتى[1] » .

ولولا حضور بديهة الحسين واستجابة قريحته لنظم المعنى المناسب فى وقته المناسب ، لما استطاع أن يحل مشكلة الواثق ولما سلم من غضبه فى مثل هذا الظرف . كما أن فطنته جعلته يسأل الخادم عما حدث قبل أن يذهب إليه حتى يعد نفسه للموقف ، وتكون الفرصة أمامه أوسع . وبهذا نجح فى تلبية طلبه ووقع من نفسه موقع الإعجاب .

ومن ذلك أيضا مايرويه أبو الفرج من قول الحسين : «كان الواثق يتحظى جارية له فماتت فجزع عليها،وترك الشرب أياما ثم سلاها وعاد إلى حاله ، فدعانى ليلة فقال لى : : يا حسين رأيت فلانة فى النوم ، فليت نومى كان طال قليلا لأتمتع بلقائها فقل فى هذا شيئا . فقلت :

ليت عين الدهر عنا غفلت	ورقيب الليل عنا راقـــــدا
وأقام النـوم فى مدتـــــه	كالذى كان وكنا أبـــدا
بأبى زور تلفت لـــــه	فتنفست إليـــه الصعـــدا
بينما أضحك مسرورا بـــه	إذ تقطعت عليه كمـــدا

قال : فقال لى الواثق : أحسنت ولكنك وصفت رقيب الليل فشكوته ولاذنب لليل ، وإنما رأيت الرؤيا نهارا ، ثم عاد إلى منامه فرقد »[2] .

وتعقيب الواثق على الأبيات بأنه رأى الرؤيا نهارا بينما يذكر الحسين رقيب الليل يرده أنه لم يحدد وقت الرؤيا قبل أن يقول الحسين أبياته . والأهم من ذلك أننا نرى مشاركة الحسين للواثق فى دخائل حياته وحضور بديهته لتلبية مايطلب منه، ولجوء الواثق إليه ليترجم له عماحدث فى صورة شعرية جميلة تعيد إليه ذكرى هذا الحلم الجميل .

---

(١) أغانى ج ٧ ص ١٦١ وشرح المقامات ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ١٦١ — ١٦٢ .

ويلازم الحسين الواثق فى معظم أوقات فراغه وما أكثر هذا الفراغ . وليست ملازمته فى مجالس الشراب والغناء فحسب ، بل فى غير ذلك من ضروب اللهو والمتعة .

فيروى أبو الفرج أنه «كان مع الواثق بالقاطول[1] وهو يتصيد، فصاد صيدا حسنا وهو فى الزو[2] من الأوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ثم رجع فتغذى ودعا بالجلساء والمغنين وطرب ، وقال : من ينشدنا فقام الحسين فأنشده قصيدة مطلعها :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخص بسقياه مناكب قصركا

وقد أجاد فى هذه القصيدة فى وصف الصيد ومجلس اللهو والغناء كما أجاد فى مدح الواثق حتى طرب ، فضرب الأرض بمخصرة كانت فى يده ، وقال : لله درك يا حسين . ما أقرب قلبك من لسانك . فقال : يا أمير المؤمنين جودك ينطق المفحم بالشعر ، والجاحد بالشكر . فقال له : لن تنصرف إلا مسرورا ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم[3] » .

هكذا كان الحسين شاعره المقدم الذى يبادر بالقول سواء طلب منه ذلك أو لم يطلب ، والمترجم عن أحوال سروره الذى يصور ألوان البهجة فى براعة وجودة لا يدانيه فيها أحد ، فينال الإعجاب والتقدير ، ويحظى بالنوال والمال .

وقد يرتج على الحسين فى بعض الأحيان ويتوقف لسانه عن قرض الشعر تلبية لرغبة الواثق ، وله عذره فى ذلك لأن ملكة الشعر لها إرادتها وحريتها ، وقلما تخضع لإرادة الآخرين ما دامت لا توافق إرادتها . وأحيانا ما كان الحسين يتعرض لمثل هذه المواقف العسيرة ، ولكنه كان يفلت منها ويتغلب عليها لكثرة ما تعوده منها ، ولما أوتيه من قوة طبع وحضور بديهة . ومن الأمثلة

(١) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة حفره الرشيد وبنى على فوهته قصرا .

(٢) الزو : نوع من السفن كان منتشرا فى العصر العباسى .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٨ — ١٥٩ .

على ذلك ما حدث فى مجلس للواثق قال للحسين : قل الساعة أبياتا ملاحا حتى أهب لك شيئا مليحا : فقال : فى أى معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال أمدد طرفك وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه ، قال الحسين : فالتفت فإذا ببساط زهره قد تفتحت أنواره وأشرق فى نور الصبح ، فارتج على ساعة حتى خجلت وضقت ذرعا فقال لى الواثق : مالك ويحك . ألست ترى نور صباح ونوْر أقاح فانفتح القول فقلت[1] :

ألست ترى الصبح قد أسفرا ومبتكر الغيث قد أمطـرا

وهى قصيدة من تسعة أبيات أظهر فيها مجونه ، وحث الواثق على الشراب واللهو ، وتغزل فى الغلام الساقى حتى إن الواثق ضحك وقال : سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذى ذكرته فلا ولا كرامة . ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانة الشط فقاموا إليها فشرب وطرب وما ترك يومئذ أحدا من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة . وكانت من الأيام التى سارت أخبارها وذكرت فى الآفاق . قال حسين : فلما كان من الغد غدوت إليه ، فقال : أنشدنى يا حسين شيئا إن كنت قلته فى يومنا الماضى ، فقد كان حسنا فأنشدته[2] :

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا عودى بيوم سرور كالذى كانا

وهى قصيدة جيدة من ثمانية أبيات وصف فيها مجلس الشعراء والغناء كما وصف الطبيعة ، وقد أعجبت الواثق فأمر له بصلة سنية مجددة واستحسن الصوت ، وأمر فغنى فى عدة أبيات منها[3] :

---

(١) نفسه جـ ٧ ص ١٥٨ — ١٥٩ وشرح المقامات جـ ١ ص ٣١٥ ومجموع لطيف (مخطوط) رقم ١٢٧٨ — ورقة ٣٤ .

(٢) ، (٣) أغانى الدر جـ ٧ ص ١٩٦ وما بعدها ومسالك الابصار جـ ١ ص ٣٩٤ وشرح المقامات جـ ١ ص ٣١٥ ومجموع لطيف (مخطوط رقم ١٢٧٨) ورقة ٣٤

ونرى الحسين فى الأبيات الأولى من هذه القصيدة قد رسم خطة اللهو للواثق الذى أمر بتنفيذها ولكن بدون ما فيها من فسق ، لأنه لا يليق بمجلس خليفة ، حتى يحفظ لمجلسه شيئا من الاحترام والوقار على حد فهمهم للاحترام والوقار . قد تحدث هذه الإباحة فى مجالس الحسين مع خلانه وأصحابه ممن يقاربونه فى المرتبة الاجتماعية ، وسنرى ذلك فى سيرته معهم ، ولكن فى مجالس الخليفة لا بد أن يختلف الأمر ، ولا بد أن يكون هناك حدود تقتضيها هيبة الخلافة .

وفى وقت آخر من أوقات فراغ الخليفة أو لهوه نراه « يلاعب الحسين بالنرد ، وخاقان غلام الواثق واقف على رأسه ، وكان الواثق يتحظاه فجعل يلعب وينظر إليه ، ثم قال للحسين : إن قلت الساعة شعرا يشبه ما فى نفسى وهبت لك ما تفرح به ، فقال الحسين :

أحبك حبا شابه بنصيحة	أب لك مأمون عليك شفيق
وأقسم ما بينى وبينك قربة	ولكن قلبى بالحسان علوق

فضحك الواثق وقال : أصبت مافى نفسى وأحسنت . وصنع الواثق فيه لحنا وأمر لحسين بألفى دينار »[1] .

وإذا أراد الواثق أن يدعو أحد خاصته إلى منادمته ، وأحب أن تكون دعوته بطريقة لطيفة تعجب المدعو وتجعله يسارع إلى تلبيتها ، فإنه يطلب من الحسين أن يكتب هذه الدعوة شعرا ، من ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « اعتل الفتح[2] فى أيام الواثق علة صعبة

---

(١) أغا الدار جـ ٧ ص ٢٠١ .

(٢) هو الفتح بن خاقان وكتب أبو الفرج فى تقديم هذا الخبر أن الواثق كان يميل إليه ويأنس به وهو يومئذ غلام . وكان الفتح ذكيا جيد الطبع والفطنة فقال له المعتصم يوما وقد دخل على أبيه خاقان عرطوج يافتح أيما أحسن دارى أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقف وهو صبى له سبع سنين أو نحوها : دار أبى إذا كنت فيها فعجب منه وتبناه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكل عليها (أغانى الدر جـ ٧ ص ٢١٥) .

ثم أفاق وعوفى ، فعزم الواثق على الصبوح فقال لى : يا حسين اكتب بأبيات عنى إلى الفتح تدعوه إلى الصبوح ، فكتبت إليه :

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى	قد لاح لى باكرا فى ثوب بذلته
ناديت فتحا وبشرت المدام بـــه	لما تخلص من مكروه علتـــه
ذب الفتى عن حريم الراح مكرمة	إذا رآه امرؤ ضدا لنحلتـــه
فاعجل إلينا وعجل بالسرور لنا	وخالس الدهر فى أوقات غفلته

فلما قرأها صار إليه واصبطح معه »[1] .

ولم تكن صحبة الحسين للواثق قاصرة على مجالس الشراب واللهو فحسب بل نجد هذه الصحبة فى مجالس أخرى تتسم بالحد والوقار ، من ذلك ما يذكره ابن حنزابة فى « مجالسه » أن محمد بن زياد الأعرابى دخل على الواثق وفى مجلسه وزيره ابن خاقان والحسين ومحمد بن عمر الرومى ، فقرأ عليه الفتح شعر طرفة فقال :

تذكرون إذ نقاتلـــــكم إذ لا يضر معدما عدمــــه

فقال له ابن زياد : زد فيها ألفا (أتذكرون) فقال له الحسين : قد خزم مرة بقوله إذ لا ويخزم بألف أخرى فى أوله ؟ فقال له : العرب تخزم أول الشعر إذا احتاجت أن تصله بما قبله خزمته بالحرف والحرفين ، وقد خزمه طرفة فى أوله وأوسطه الألف الأولى والثانية وأنشدهم شواهد من الشعر ليؤكد بها صحة رأيه ، فأعجب ذلك أمير المؤمنين فجزاه وأمر له بعشرة آلاف درهم[2] .

فهذا مجلس من مجالس العلم والأدب يشترك فيه الحسين ويبدى رأيه كشاعر له نظرة فى الشعر ومعرفة بعروضه وعلله . ولا يهمنا أن يكون رأيه صحيحا أو خاطئا إذ أن ابن زياد الأعرابى كان من أعظم علماء عصره فى علوم العربية وآدابها بحيث لا يقاس به أمثال الحسين . ولكن الذى يهمنا هو حضوره

---

(١) نفس المصدر والصفحة . وشرح المقامات جـ ٢ ص ٤٢١ .

(٢) مجالس بن حنزابه (مخطوط) ص ١٥ .

هذه المجالس العلمية الجادة ومشاركته فيها مشاركة إيجابية بالمناقشة وإبداء الرأى ، ومعنى ذلك أنه لم يكن نديم لهو ومجون فحسب وإنما كان إلى جانب ذلك شاعرا له مكانته فى مجلس الخليفة ورجلا له شخصيته واحترامه .

وظل الحسين فى صحبة الواثق مدة خلافته ينادمه ويجالسه ويسرى عنه همومه،ويبعث فى مجالسه روح البهجة والسعادة وحلاوة الترفيه والمؤانسة بظرفه المعهود وشعره الطريف . وكانت هذه المدة على قصرها حافلة بألوان الرفاهة والمتعة مليئة بضروب اللهو والعبث ، لم يكدرها شىء من مؤامرات السياسة أو منغصات الحروب، ولذلك نجد أن أخبار الحسين معه أكثر مما جاء له مع خليفة آخر فى مصادر ترجمته ، ومع أن الحسين كان فى ذلك الوقت شيخا كبيرا يزيد عمره على السبعين فإنه قد ملأ مكانه كنديم بثقة ونجاح ، وبراعة تثير الدهشة والإعجاب . و نال الحظوة عند الواثق فقربه وأحبه وأسبغ عليه نعمه : وبلغ فى مجالسه مكانة طيبة ومقاما مرموقا .

مع المتوكل :

وتولى المتوكل الخلافة بعد الواثق . ولكننا لا نجد فى ترجمة الحسين ما يدل على ذهابه إليه يهنئه ويمدحه كعادته مع الخلفاء ، ويبدو أن شعره فى هذه المناسبة ضاع فيما ضاع ، ولا نقول إن الحسين قد اعتزل لكبر سنه ؛ لأننا نجد له بعد ذلك شعرا يهنىء فيه المنتصر بالخلافة ويمدحه ، فلا بد أنه هنأ المتوكل ولكن خبره لم يصل إلينا كما لم يصل شعره .

ويبدو أن شيخوخة الحسين وكبر سنه التى فاتت الثمانين قد أصبح حائلا دون قدرته على المنادمة ، ولذلك لا نجد له فى منادمته المتوكل إلا خبرا واحدا، إذ أحب المتوكل أن ينادمه حسين وأن يرى مابقى من شهوته لما كان عليه، فأحضره وقد كبر وضعف فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقه فسقاه وحياه بوردة ، وكانت على شفيع ثياب موردة ، فمد الحسين يده

إلى ذراع شفيع . فقال له المتوكل يا حسين ، أتجمش أخص خدمى عندى بحضرتى . . فكيف لو خلوت . . ما أحوجك إلى أدب وقد كان المتوكل غمز شفيعا على العبث به ، فقال الحسين : يا سيدى أريد دواة وقرطاسا ، فأمر له بذلك فكتب بخطه :

وكالوردة الحمراء حيا بأحمــــر	من الورد يمشى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحيــــــــة	بعينيه تستدعى الحليم إلى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيــه شربة	تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلــــة	خليا ولكن من حبيب على وعــد

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له : ادفعها إلى مولاك ، فلما قرأهااستملحها وقال : أحسنت والله يا حسين لو كان شفيع مما تجوز هبته لوهبته لك ، ولكن بحياتى إلا كنت ساقيه باقى يومه هذا واخدمه كما تخدمنى ، وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف[1] » .

ويذكر أبو الفرج هذا الخبر برواية أخرى تختلف عن السابقة على لسان محمد بن أبى عون وعلى بن الجهم قال : حضرت المتوكل وعنده محمد بن عبدالله ابن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحاك للمنادمة فأمر خادما واقفا على رأسه فسقاه بتفاحة عنبر وقال لحسين ، قل فى هذا شيئا فقال :

وكالدرة البيضاء حيــا بعنــــبر	وكالورد يسعى فى قراطق كالورد

وذكر بقية الأبيات كالرواية السابقة .

فقال المتوكل : يحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار ، فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمعجب وقال : لم ذاك يا أمير المؤمنين . ؟

---

(١) أغانى الدر جـ ٧ ص ١٧٠ — ١٧١ وزهر الآداب جـ ٢ ص ٢١١ — ٢١٢ الديارات ص ٣٧ — ٣٨ وشرح المقامات جـ ٢ ص ١٦٤ وبدائع البدائه ص ١٩٢ والعقد الفريد جـ ٨ ص ٩٦ وعيون التواريخ حـ ٧ ص ٦٥٩ حوادث سنة ٢٤٧ والأبيات وحدها فى مسالك الابصار جـ ٩ ورقة ٢٩٠ وعنوان المرقصات ص ٣٥ .

فوالله لقد أجاب فأسرع . وذكر فأوجع وأطرب فأمتع ، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد فخجل المتوكل وقال : يعطى حسين بكل بيت ألف دينار [١] .

ونرى أن الروايتين غير متناقضتين ، بل يمكن أن نعتبر الرواية الثانية مكملة للأولى وذلك ، بأنها زادت عليها حديث محمد بن عبد الله بن طاهر مع المتوكل ، بينما ذكرت الأولى ما حدث من الحسين والمتوكل وشفيع بتفصيل أبين ، وهو ما أوجزته الرواية الثانية . وكل ذلك حدث فى مجلس واحد .

ويمكن أن نضيف إلى ما حدث فى ذلك المجلس مايرويه الحسين نفسه بأن المتوكل «أحضره وأمر شفيعا بالولع به فتغاضب المتوكل عليه فقال له الحسين : يا أمير المؤمنين : إن كنت تريد أن تضربنى كما ضربنى آباؤك ، فاعلم أن آخر ضرب ضربته بسببك فضحك وقال : بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك [٢] » .

ولا نجد بعد ذلك أية أخبار للحسين فى منادمة المتوكل ، وقد عرفنا فى حديثنا عن مولده أنه كتب قصيدة أرسلها إلى المتوكل يعتذر فيها عن عدم قدرته على منادمته لضعفه وكبر سنه . وكان بعض من حضر عند المتوكل قد قال عنه : « هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك » [٣] . فلما علم الحسين بهذه الوشاية كتب قصيدته التى ذكرناها ودفعها إلى أحمد بن حمدون وسأله إيصالها فأوصلها إلى المتوكل وشيعها بكلام يعذره به وقال : « لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها . فقال المتوكل : صدقت خذ له عشرين ألف درهم واحملها إليه [٤] » فأخذها فحملها إلى الحسين . كما ذكر الشابشتى أبياتا أخرى للحسين كتبها أيضا إلى المتوكل يستعفيه من الخدمة [٥] . وقد سبق ذكرها فى حديثنا عن مولده .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٢ ومروج الذهب للمسعودى جـ ٢ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ وتاريخ الاسلام للذهبى جـ ١٣ الورقة ٤٥ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٢٦ . (٣) نفسه جـ ٧ ص ٢٢٥ .

(٤) الديارات ص ٣٦ . (٥) نفسه ص ٩٦ — ٩٨ .

ولم يكن انقطاع الحسين عن المتوكل انقطاعا تاما . بل كان انقطاعا عن المنادمة فحسب ، لما تقتضيه من جهد لم يعد يستطيعه الحسين فى هذه السن ، فنجده يحضر الاحتفالات التى كان المتوكل يقيمها . وقد ذكر الشابشتى حضوره الاحتفال الرائع الذى أقامه المتوكل بمناسبة إعذار ابنه المعتز بالله بعد مولده[1] .

ونجد خبرا عن ذهابه إلى المتوكل ليشفع عنده لأولاد ابنه وزوجته ، فقد كان له ابن يسمى محمدا، له أرزاق، فمات فقطعت أرزاقه فأنشأ قصيدة يشكو فيها من هذا الظلم الذى وقع عليهم ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده ، يبدؤها بقوله :

إنى أتيتـــك شافعـــا بولى عهـــد المسلمينـا

فأمر المتوكل له بما سأل . فقال يشكره :

يا خير مستخلف من آل عباس اسلم وليس على الأيام من باس
احييت من أملى نضوا تعاوره تعاقب اليأس حتى مات باليأس[2]

وهكذا لم يعد الحسين يتصل بالمتوكل إلا لحاجة ملحة تجبره على أن يتحامل على نفسه ويقاوم ضعفه فى الذهاب إليه . ويفيدنا هذا النص كذلك فى معرفة شىء عن أسرته ، فقد كان له ابن وأحفاد . ولكننا لا نعرف له أبناء آخرين غيره ، لأننا لم نصادف فى ترجمته أو ما روى عنه من أخبار فى المصادر المختلفة ما يشير إلى ذلك .

وفى خبر آخر نعرف مكانة الحسين فى نفس المتوكل ، إذ كان جالسا فى صحن خلده ، وفى يده غصن آس ، وهو يتمثل بأبيات له فى الغزل ، ودخل عليه على ابن الجهم ، الذى كاد ينشق حسدا لتمثله بشعر الحسين ، فسأله المتوكل: « لمن هذا الشعر يا على ؟ فقال : للحسين بن الضحاك يا سيدى

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ومجانى الأدب ج ٤ ص ١٣٢ .
(٢) الديارات ص

فقال له : هو عندى أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطا ، فقال على وقد زاد غيظه : فى الغزل يا مولاى ، فقال : وفى غيره وإن رغم أنفك ومت حسدا[1] » .

ولما قتل المتوكل رثاه الحسين ببيتين من الشعر هما أقرب إلى الموعظة منهما إلى الرثاء فقال[2] :

إن الليالى لم تحسن إلى أحـــد   إلا أساءت إليه بعد إحسان
أما رأيت خطوب الدهر ما فعلت   بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

وكأن الحسين لم يزل يتمثل رثاءه الأمين وما جره عليه من بلاء ، فلم يتعرض فى رثائه للمتوكل لغير هذا المعنى العام ، ولم يشأ أن يذكر شيئا عن تفاصيل مقتله ، لأنه يعرف أن ابنه المنتصر هو مدبر اغتياله . ولا حاجة به الى اثارة غضبه والتعرض لبطشه .

كما أن كبر سنه وضعفه لم يكن ليحمسه على التـــدخل فى تلك المشكلات السياسية العويصة بالإضافة الى أن صلته بالمتوكل لم تكن قوية بالدرجة التى كانت عليها صلته بالأمين ، ونحن نظلمه إذا اتهمناه بعدم الوفاء لأنه لم يقف من مقتله موقفا يماثل موقفه من مقتل الأمين أو لأنه هنأ المنتصر بالخلافة ، لما رأيناه من اختلاف الظروف فى الحالتين . على أن هذه الأبيات تنسب مع غيرها فى أكثر من مصدر إلى أبى المواريث قاضى نصيبين ، فقيل بأنه رأى فى المنام آتيا فقالها له فى الليلة التى قتل فيها المتوكل[3] . وفى مصادر أخرى تنسب الأبيات والخبر إلى عمرو بن شيبان الحلبى[4] مما يجعلنا نشك فى نسبتها للحسين .

---

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٧٠ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٩ ط سنة ٢٨٣ ه .

(٣) شرح المقامات ج ٢ ص ٧٣ والطبرى ج ٣ قسم ٣ ط ليدن . حوادث سنة ٢٤٧ .

(٤) عيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٣٦٣ وعقد الجمان (مخطوط) ج ١٤ قسم ١ حوادث سنة ٢٤٧ .. وتاريخ بغداد ترجمة المتوكل .

مع المنتصر :

لما ولى المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين فهنأه بها وأنشده قصيدة مطلعها:

تجددت الدنيا بملك محمـــد فأهلا وسهلا بالزمان المجـــدد

ولم يصل إلينا منها إلا الأبيات الأربعة الأولى ، ويذكر أبو الفرج أن المنتصر « أظهر إكرامه والسرور به وقال له : إن فى بقائك بهاء للملك : وقد ضعفت عن الحركة فكاتبنى بحاجاتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة ، ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضى بها دينا بلغه أنه عليه »[1] ؛

ومن هذا الخبر نستنتج أمرين : أولهما أن الحسين كان يحظى بمكانة طيبة لدى المنتصر على الرغم من فارق السن بينهما واختلاف جيليهما ؛ فالحسين لم ينادمه كما نادم الخلفاء من قبله ، ولم تكن هناك صلة تربطه به ، ولعل شهرة الحسين ، ومكانته التى بلغها لدى الخلفاء السابقين هى التى جعلت المنتصر يكن له هذا التقدير . والأمر الثانى أن الحسين فى أواخر حياته لم يكن غنيا بل كان فقيرا مدينا . وقد عاش طيلة حياته يرفل فى النعيم والبذخ . ، ونال من عطايا الخلفاء والأمراء وغيرهم المال الكثير ، ولكنه مع ذلك لم يدخر منه شيئا لأيام ضعفه وعجزه ، ونعرف من ذلك أنه كان مسرفا لا يعمل حسابا لغده ولا ينظر إلى تكوين ثروة من هذا المال الوفير كما فعل غيره من الشعراء .

وكانت النهاية الأدبية لحياة الحسين فى عصر المنتصر الذى قال فيه آخر شعر له كما يقول الرواة، إذ رآه فى موكبه وقد ركب الظهور فقال مادحا[2] :

ألا ليت شعرى أبدر بـــــدا نهارا أم الملك المنتصـــــر
إمام تضمن أثوابــــــــه على سرجه قمرا من بشـــر
حمى الله دولة سلطانــــه بجند القضاء وجند القـــدر
فلا زال ما بقيت مـــدة يروح بها الدهر أو يبتكر

---

(١) أغانى الدار جـ ٩ ص ٣٠٣ . (٢) تتمة جـ ٩ ص ٣٠٤ .

وإذا كان الحسين قد عاش بعد المنتصر الذى لم يدم عهده أكثر من ستة شهور[1]، فإنه لم يتصل بالخليفة المستعين الذى جاء بعده على أى وجه ، ويبدو أن ضعف الشيخوخة أقعده تماما ، فلم يعد يستطيع حركة ولا قولا . وانتهى نشاط ذلك الشاعر النديم الذى ملأ قصور الخلفاء ومجالسهم ظرفا ومؤانسة ، وعاش فى رحاب نعيمهم حياة حافلة بكل ألوان اللهو والمجون .

٥ — مع معاصريه :

كانت سيرة الحسين مع معاصريه تختلف بطبيعة الحال عن سيرته مع الخلفاء فهو فيها أكثر حرية وانطلاقا ، ولهذا نستطيع أن نتبين منها حقيقة خلقه وسلوكه وأن نعرف الكثير عن مجونه وخلاعته وحكاياته مع الغلمان والجوارى كما نعرف صلته بكبار رجال الدولة من أمراء ووزراء وغيرهم ، وكيف كانت علاقته مع الشعراء ومع عامة الناس .

وتعد صلته بالأمراء والكبراء امتدادا لصلته بالخلفاء، إذ أنها تقوم أساسا على منادمته لهم ، ومشاركته معهم فى لهوهم ، وأهم هؤلاء فى حياته صالح ابن الرشيدانى عرفنا أنه كان أول أمير اتصل به ونادمه فى أيام أبيه ، وظل على صحبته زمنا طويلا وعن طريقه دخل الحسين قصور الخلفاء .

وكان أول اختبار فى المنادمة يجتازه الحسين فى مجلس صالح حين غنى بهذا الصوت :

أأن زُمَّ أجمال وفارق جيرة   وصاح غراب البين أنت حزين

فقال له صالح : قل أنت فى هذا المعنى شيئا ؟ فقال :

أأن دب حساد ومل حبيب   وأورق عود الهجر أنت حبيب
تبلغ بنا هجر الحبيب مرامه   هل الحب إلا عبرة ونحيب
كأنك لم تسمع بفرقة ألفة   وغيبة وصل لا تراه يؤوب

(١) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ص ٣ .

فأمر صالح بأن يغنى فيه [١] . وبهذا اجتاز الحسين اختباره بنجاح وأثبت أنه أهل لمنادمة الأمراء ثم الخلفاء .

واتصلت منادمته لصالح بعد ذلك ومن أخبارها أنه حضر مجلسا له وكان صالح جالسا فى صحن حوله نرجس فى قمر طالع حسن ، وكان يهوى خادما له ، فغاضبه فى تلك الليلة فتنحى عنه ، فقال للحسين : قل فى مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتا يغنى فيها عمرو بن بانة فقال الحسين أبياتا أولها :

وصف البدر حسن وجهك حتى ... خلت أنى وما أراك أراكا

وطلب صالح من عمرو أن يغنى فيها فتغنى فيها من ساعته [٢] .

وكثيرا ما يسبب السكر خروجا على حدود اللياقة والأدب ، كما رأينا فى منادمته للخلفاء . ومن ذلك أيضا ما حدث مع صالح ، إذ كان عنده يوما فجرى بينهما كلام على النبيذ ، وقد أخذ الشراب من الحسين مأخذا قويا ، فرد على صالح ردا أنكره وتأوله على غير ما أراد ، فهاجره ، فكتب الحسين إليه

يا بن الإمام تركتنى هملا ... أبكى الحياة وأندب الأملا
ما بال عينك حين تلحظنى ... ما إن تقل جفونها ثقلا
لو كان لى ذنب لبحت به ... كى لا يقال هجرتنى مللا
إن كنت أعرف زلة سلفت ... فرأيت ميتة واحدى عجلا

فكتب إليه صالح : قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه فى وقت سكرك ، وقد رضيت عنك رضا صحيحا ، فصر إلى على أتم نشاطك ، وأكمل بساطك ، فعاد إلى خدمته ، ولكنه — كما يقول — لم يسكر عنده بعدها [٣] .

---

(١) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٤ .

(٢) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٨ والديارات ص ٣٩ وكتاب بغداد ص ٣٢٥ .

(٣) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٤ .

وهذه الحادثة الشاذة التي حدثت بين صالح وبين « يُسْر » غلام أخيه أبي عيسى نجده لا يتحرج من اطلاع الحسين عليها ، بل ويطلب منه أن ينظمها شعرا ، فيلبي طلبه ، وينظم فيها قصيدة من عشرة أبيات تعجب صالحا وتضحكه فيأمر له بجائزة سنية . ويروى أبو الفرج خبرها بالتفصيل [1] ، ولا مجال لذكرها هنا لما فيها من فحش ظاهر . وهي تعطينا صورة واضحة لحياة هؤلاء الأمراء ، وما كان فيها من شذوذ ومجون . كما تعرفنا مدى توثق الصلة بين الحسين وصالح .

وعلى الرغم من أن الحسين كان يعشق أيضا هذا الغلام « يسر » فإننا لا نجد لهذه الحادثة أثرا في نفسه من غيرة أو غيظ ، ولعل السبب في ذلك أن عشق الغلمان يختلف في طبيعته عن عشق النساء الذي تكتنفه الغيرة والذي يترك في النفس آلاما قاسية إذا عرف المحب بعلاقة بين محبوبته وبين شخص آخر أيا كان . أما طبيعة حب الغلمان فلا تمنع المشاركة ، لأنه حب يقوم على مجرد الإعجاب بجمال الغلام ووسامته وما يستتبع ذلك من اشتهائه وتحظيه ، وليست فيه رغبة التملك والاستحواذ المنفرد كما في حب النساء ، وكل هذه أمور شاذة لا تظهر إلا في مثل هذه المجتمعات المرفهة اللاهية .

وحدث أن تنافس الحسين وصالح في حب غلام ، وقد شهر الحسين بنفسه وفضحها فيه ، واتفق معه على أن يستبيع ليشتريه ، ولكن صالحا عارضه فيه فاختلسه منه واشتراه ، وآثره الغلام بطبيعة الحال ، لأنه أمير عظيم الثراء والجاه ، ولم يقدر الحسين على الانتصاف منه ، فأنشأ مقطوعة من ستة أبيات يعبر فيها عما يعانيه هو والغلام من لوعة الحرمان [2] .

ولم يحدث بين الحسين وصالح أي تباغض نتيجة لذلك ، بل ظلت العلاقة بينهما على ما هي عليه من الود والصفاء . وكانت الصلة بينهما كأحسن ما تكون الصلة بين النديم ومولاه . وقد أحبه صالح وقربه وأولاه ثقته ،

(١) انظر الخبر والشعر في أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(٢) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

بل إنه لم يتخل عنه فى وقت محنته إذ حاول استرضاء المأمون عليه كما عرفنا ؛ ولم يكن ليعرض نفسه لمثل هذا الموقف ، لولا مكانة الحسن عنده وحبه له .

ونادم الحسن من أبنـاء الرشيد كذلك أبا عيسى وأبا أحمد . وإن كانت المصادر لم تذكر أخبارا عن منادمته لأبى عيسى ، إلا أننا نستنتج ذلك من علاقته بغلامه « يسر » ، الذى يبدو أن أخباره مع الحسن غطت على أخبار مولاه ، وأصبحت هى موضع اهتمام الرواة . أما منادمته لأبى أحمد فقد ورد عنها خبر فيه أن أبا أحمد مزح مع الحسن مزاحا أغضبه فجاوبه جوابا غضب منه أبو أحمد أيضا . فمضى إليه حسن من غد فاعتذر إليه وتنصل وحلف ، فأظهر قبولا لعذره . ورأى ثقلا فى طرفه وانقباضا عما كان يعهده منه ، فقال فى ذلك [1] :

لا تعجبن لملـــــة صرفت وجـــه الأمـــير فإنه بشر
وإذا نبــــا بك فى سريرتـــه عقد الضمير نبــــا بك البصر

وواضح أن علاقة الحسن بهذين الأميرين لم تكن كعلاقته بصالح التى كانت أقوى توثقا وأشد ارتباطا ، كما رأينا فى أخباره معه .

ومن الأمراء العباسيين الذين نادمهم أيضا إبراهيم بن المهدى . وقد ذكر الرواة عنهما خبرا فيه شىء من الطرافة ، وهو أن الحسن شرب يوما عنده وفجرت بينهما ملاحاة فى أمر الدين والمذهب ، فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب ، فانصرف وهو غضبان فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه فكتب إليه :

نـــديمى غـــير منســـوب إلى شىء من الحـــــيف
سقـــانى مثـــل ما يشـــر ب فعـــل الضيف بالضيف
فلمـــا دارت الكـــأس دعا بالنطع والســـــيف
كـــذا من يشرب الخمـــر مع التنيـــن فى الصيـــف

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٥ . والبيتان فى الأدب والإنشاء ص ٨٢ ومسالك الأبصار جـ ٩ ص ٢٩٤ .

ولم يعد إلى منادمته مدة . ثم إن إبراهيم تحمل عليه ووصله ، فعاد إلى منادمته »[1] .

ومنهم ابن شغوف الهاشمى ، وقد ذكر أبو الفرج حادثة طريفة بينه وبين إسحاق الموصلى كان الحسين طرفا فيها ، فقد اجتمع الحسين وعمرو بن بانة يوما عند ابن شغوف فاحتبسهما عنده . وكان لابن شغوف خادم حسن يقال له مقحم ، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويسر ذلك من ابن شغوف . فلما أكلوا ووضع النبيذ قال عمرو بن بانة للحسين : قل فى مقحم أبياتا أغن فيها الساعة . فقال الحسين :

وابأبى مقحم لعـــــزته قلت له إذ خلوت مكتتمـــا
تحـــب بالله من يخصـــك بالـ ـود فـــا قال لا ولا نعمـــا

وغنى فيه عمرو ، قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصلى بالبـاب : فقال له عمرو : اعفنا من دخوله ولا تنغص علينا ببغضه وصلفه وثقله ، ففعل ، وخرج الحاجب فاعتل على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف . فلما أصبحوا مضى الحسين إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصه ، فقال إسحاق أبياتا يفضح فيها ماحدث بين عمرو وبين غلام ابن شغوف وقد ضمنها بيتى الحسين السابقين .

وشاعت الأبيات فى الناس وغنى فيها إسحاق أيضا فبلغت ابن شغوف فحلف ألا يدخل عمرواً داره أبدا ولا يكلمه ، وقال: فضحنى وشهرنى وعرضنى للسان إسحاق ، فمات مهاجرا له . وقال ابن أبى سعد فى خبره : « إن إسحاق غنى فيها للمعتصم ، فسأله عن خبرها فحدثه بالحديث ، فضحك

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٣ ومحاضرات الأدباء جـ ١ ص ٤٣١ مع خلاف بسيط فى رواية الخبر وأشعار أولاد الخلفاء ص ٢٦ وفى ديوان أبى نواس جـ٧ ط آصاف ذكر البيت الأول ونسبه للحسين مصححا خطأ نسبته لأبى نواس وفى أخبار أبى نواس لابن منظور نسبه لأبى نواس فى قصة جرت له مع الأمين وأخرى مع القاسم ابنى الرشيد .]

وطرب وصفق ، ولم يزل يستعيد الصوت والحديث وابن شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام[1] » .

وإلى جانب أن هذه القصة تعرفنا منادمة الحسين لابن شغوف الهاشمى فهى تعرفنا شيئا آخر ذا أهمية ، وهو أفضلية الحسين على إسحاق الموصلى الذى وصفوه بالصلف والثقل ، وأنهم كانوا يبغضونه ويكرهون منادمته ، بينما يتهافتون على منادمة الحسين ويحبون مجالسته ، وإسحاق هو النديم الذى يقارن بالحسين فى منادمة الخلفاء فقدقالوا عنه « إنه قاربه فى ذلك أو ساواه[2] » وهذه الواقعة تدلنا على أنه لم يصل إلى درجة الحسين فى ظرف الشخصية وحلاوة المنادمة .

ومن رجال الدولة الذين نادمهم الحسين « الحسن بن سهل » وزير المامون وقد عرفنا أنه قصده ومدحه وسأله أن يصلح له المأمون ويشفع له عنده ، وأن الحسن حاول ذلك ولم يفلح لما عاجله من العلة . ويبدو أن منادمة الحسين له كانت قليلة أو أنها تنحصر فى الوقت الذى لجأ الحسين فيه إليه من أجل هذا الأمر ، لأن الخبر الذى روى لايحكى سوى منادمة هذه الليلة التى بات الحسين فيها عنده فحسب ، ولأن الحسن لم يمكث ببغداد سوى وقت قليل حتى عاجلته الوفاة . يروى أبو الفرج فى هذا الخبر أن الحسين دخل على الحسن بن سهل فى فصل الخريف،وقد جاء وسمى من المطر فرش رشا حسنا،واليوم فى أحسن منظر وأطيبه،وهو جالس على سرير

---

(١) أغانى الدار جـ٧ ص١٧٢ — ١٧٣ وأعاد رواية هذا الخبر عن رواة آخرين وبخلاف قليل فى الألفاظ (انظر جـ ١٤ ص ٥٠—٥١ ط ساسى) و ذكر رواية بعدها مباشرة عن غلمان ابن شغوف ومنهم هذا الغلام و اسمه حسين وكان أحسن الناس وجها قليل الكلام جميل الأخلاق يغنى غناء متوسطا وهو مع ذلك أضرب الناس وقد عشقه عمرو بن بانة وقال فيه البيتين اللذين نسبا للحسين .

(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٩٣ والمنتحل ص ٢١٩ وشذرات الذهب جـ ٢ ص ١٢٣ ومرآة الجنان جـ ٢ ص ١٥٦ .

آبنوس وعليه قبة فوقها طارمة[1] ديباج أصفر ، وهو يشرف على بستان في داره وبين يديه وصائف يترددن في خدمته ، وعلى رأسه غلام كالدينار فسلم عليه فرد السلام ، ونظر إليه كالمستنطق فأنشأ يقول :

ألست ترى ديمة تهطل وهذا صباحك مستقبل

فقال بلى : فقال :

و تلك المدام وقد شاقنا بروئيته الشادن الأكحل

فقال : صدقت . فه ، فقال :

فعاد بنا وبه سكرة تهون مكروه ما نسأل

فسكت ، فقال :

فإنى رأيت له نظرة تخبرنى أنه يفعل

ثم قال : مه ، فقال :

وقد أشكل العيش فى يومنا فياحبذا عيشنا المشكل

فقال الحسن : العيش مشكل فما ترى ؟ فقال الحسين : مبادرة القصف وتقريب الإلف . قال : على أن تقيم معنا وتبيت عندنا . فقال له : لك الوفاء وعليك مثله من الشرط . قال : ما هو ؟ فقال : يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا بالطعام فأكلوا وبالشراب فشربوا أقداحا . ولم ير الحسين الغلام ، فسأل عنه فقال له : الساعة يجيء ، فلم يلبث أن وافاه ، فسأله أين كان ؟ فقال : كنت فى الحمام . وهو الذى حبسنى عنك ، فقال الحسين لوقته :

وا بأبى أبيض فى صفرة كأنه تبر على فضة

(١) الطارمة فى الأصل : بيت من خشب كالقبة ، وهو أعجمى والمراد به هنا ستر رقيق من الديباج مظلل به الكرسى .

(وهى مقطوعة من ستة أبيات يتغزل فيها بالغلام) فقال له الحسن : قد عمل فيك النبيذ ، فقال : لا وحياتك . فقال : هذا شر من ذلك فقال :

أسقيـــانـــى وصـرفا بنت حـولـين قرقفــا
واسقيا المرهف الغـــــر يرســـقى الله مرهفــــا

(وهى قصيدة من أربعة عشر بيتا فى الغزل بالغلام نفسه) فتغاضب الغلام وقام فذهب ثم عاد فقال له : أقبل على شرابك ودع الهذيان : وناوله قدحا . وقام الحسن لحاجة ، فشرب الحسين وأعطاه الغلام نقـلا فقال : اجعل بدله قبلة ، فضحك وقال : أفعل ، هذا وقته ، فبـدا له وقال : لا أفعل ، فعاوده فانتهره ، فقال له خادم للحسن يقال له فرج : بحياتى يابنى أسعفه بما طلب ، فضحك ثم دنا منه كأنه يناوله نقلا وتغافل فاختلس منه قبلة ، فقال له : هى حرام عليك فقال :

وبديع الـدل قصرى الغنج مره العـين كحيل بالـدعج

(وهى مقطوعة من تسعة أبيات ذكر فيها ما حدث بينه وبين الغلام) :

ثم أسفر الصبح ، فانصرف الحسين وعاد من غد إلى الحسن ، فقال له : كيف كنت فى ليلتك ، وكيف كنت عند نومك ؟ فقال له : أأصف ذلك نثرا أم نظما ؟ فقال : بل نظما ، فهو أحسن عندى فقال :

تألفت طيف غزال الحرم فواصلنى بعـد ما قد صرم
وما زلت أقنع مـــن نيـــله بما تجتنيه بنـــان الحـــلم
بنفسى خيـــال عـلى رقبـة ألم به الشوق فـــيما زعـــم

(وهى قصيدة من أربعة عشر بيتا ذكر فيها ما حدث بينه وبين الغلام فى الحلم على ما زعم) فقال له الحسن : ياحسين يافاسق . أظن ما ادعيته على الطيف فى النوم كان فى اليقظة مع الشخص نفسه ، وأصلح الأشياء انا بعد ما جرى أن نرفض العار عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، فخذه لا بورك لك فيه . فأخذه وانصرف[1] .

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٨ وما بعدها وشرح المقامات جـ ١ ص ٤٢١ .

وهذا الخبر يعطينا صورة أكثر وضوحا وجلاء لمجون الحسين وخلاعته، ويفصل القول فيما كان يحدث فى هذه المجالس بين الحسين ونديمه من ناحية، وبينه وبين خدمه وغلمانه من ناحية أخرى ، وما يرتكبه معهم من أفعال شاذة . وقد آثرت أن أورده بتفاصيله، لنقف على حقيقة الأمر ، ونعرف ما كان يجرى فى قصور هذه الطبقة الأرستقراطية ، وكيف كانوا يرحبون بالخلعاء من أمثال الحسين لينادموهم ، ويفسحوا لهم صدورهم ، ويحققوا رغباتهم على ما فيها من مجون ظاهر وعبث فاجر .

ومن أخباره مع الحسن بن سهل أيضا أنه سأله مرة فقال له : ما عنيت بقولك :

يا خلى الذرع من شجنى إنما أشكو لترحمنى

قال : قد بينته ، قال : بأى شىء ؟ قال : قلت :

منعك الميسور يؤيسنى وقليل اليأس يقتلنى

فقال له أبو محمد : إنك لتضيع بالخلاعة ما أوتيته من البراعة .[1]
فالحسن يشهد له ببراعته فى الشعر ويرى خلاعته المشهورة ومجونه المتهتك مع خادمه — مما اضطره إلى أن يهبه إياه غسلا للعار — ومع ذلك فهو يحبه ويقربه ويستمتع بظرف منادمته وأنس مجالسته .

وكان رجال الدولة وأعيانها يتسابقون فى الظفر بمنادمة الحسين ، ويتهافتون عليه كما قلت من قبل ، وينتهزون الفرص لاستدعائه إلى قصورهم ليقضى معهم ليالى أنسهم ولهوهم . ولدينا مثل يدل على ذلك ذكرته بعض المصادر . قال الحسين : كتب إلى الحسن بن رجاء فى يوم شاك، وقد أمر الواثق بالإفطار .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٨ .

فقـال :

هزرتك للصبوح وقـد نهانى أمير المؤمنين عن الصيـام
وعنـدى من قيان المصر عشر تطيب بهن عاتقـة المـدام
ومن أمثالهن إذا انتشينـا ترانا نجتنى ثمـر الغـرام
فكن أنت الجواب فليس شىء أحب إلى من حـذف الكلام

قال : فوردت على رقعته ، وقد سبقه إلى محمد بن الحارث بن بسختر [١] ووجه إلى بغلام نظيف الوجه كان يتحظاه ، ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعة قد كتبها إلى كما تكتب المناشير ، وختمها فى أسفلها وكتب فيها يقول :

سر عـلى اسم الله يا أشـ ـكل من غصن لجـين
فى ثـلاث من بـنى الرو م إلى دار حسـين
فانخص الكهل إلى مـو لاك يا قـرة عيـنى
أره العنف إذا استعـ ـصى وطالبـه بـدين
ودع اللفـظ وخاطـب بـه بغمـز الحاجبين
واحـذر الرجعـة من وجـ ـهك فى خـفى حنين

قال : فمضيت معهم ، وكتبت إلى الحسن بن رجاء جواب رقعته :

دعـوت إلى مماحكة الصيام وإعمـال الملاهى والمـدام
وأوسبق الرسول لكان سعيى إليك ينوب عن طول الكلام
وما شوق إليك بدون شوق إلى ثمـر الصابى والغـرام
ولكن حـل فى نفر عسوف بمنشـور محـل المستهام
حسين ، فاستباح لـه حريما بطرف باعث سبب الحمام
وأظهر نخـوة وسطا وأبدى فظاظتـه بـترك للسـلام

---

(١) هو من المغنين المشهورين وقد لزم الواثق (انظر ترجمته فى أغانى الدار جـ ١٢)

وأزعجنى بألفاظ غلاظ   وقد أعطيته طرفى زمامى
ولو خالفته لم يخش قتلى   وقتعنى سريعاً بالحسام[1]

وقد عرف ابن بسخنر الطريقة التى يجذب بها الحسين وهى إرسال الغلمة الملاح مع كتابه ، لأن تأثيرهم على الحسين هو السبب المباشر فى اختياره الذهاب معهم .

ومع أن ابن بسخنر قد تعرض من قبل لسخرية الحسين فى أحد مجالس المعتصم فإنه قد أخذها على محمل المزاح ، ولم ينس ظرفه الذى تحتمل معه كل سخرية فدعاه إلى منادمته وألح فى ذلك . وقصة هذه السخرية كما يرويها أبو الفرج أن ابن بسخنر كان لا يرى الصبوح ولا يؤثر على الغبوق شيئا ، ويحتج بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحه استخفافا بالخدمة ، لأنه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمنه من ذلك ، وكان المعتصم يحب الصبوح ، فكان يلقب ابن بسخنر الغبوق ، فإذا حضر مجلس المعتصم مع المغنين منعه الصبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوق سقاه إياه جملة غيظا عليه ، فيضج من ذلك ، ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا حضروا فيمنعه ذلك . فقال فيه الحسين وفى حاتم الريش الضراط وكان من المضحكين :

حب أبى جعفر للغبوق   كقبحك يا حاتم مقبلا
فلا ذاك يعذر فى فعله   وحقك فى الناس أن تقتلا
وأشبه شىء بما اختاره   ضراطك دون الخلا فى الملا[2]

وممن نادمهم الحسين كذلك من الأعيان عبد الله بن العباس بن الفضل ابن الربيع ، وإن كانت الأبيات التى قالها فى منادمته وفى غلامه قد ذكرت فى منادمة له مع الواثق ، فإن ذلك — كما قلت آنفا — لا يشككنا فى حدوث

---

(١) انظر الخبر والأبيات أغانى الدار جـ٧ ص ٢٠٠—٢٠١ وفصول التماثيل ص ٧٧—٧٨ مع نقص بعض الأبيات والديارات ص ٤٠ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

هذه المنادمة ، لأن الحسين يمكن أن يكون قد أعاد قوله فى مجلس الواثق عندما طلب منه عبد الله أن يقول شيئا فى مجلسه . والذى يهمنا الآن أن نعرف أن عبد الله بن العباس هذا كان ممن حظوا بمنادمة الحسين .

ومنهم كذلك أبو كامل المهندس ، فيروى أحد من حضروا مجلس منادمتهم أن الحسين رأى خادما فاستحسنه وأعجبه ، فقال له بعض أصحابه : أتحبـــه ؟ قال نعم والله ، قال فأعلمه ، قال : هو أعلم بحبى له منى به ثم قال[1] :

عالم بحبيـــــه مطرق من التيـــه

وهى مقطوعة من سبعة أبيات يتغزل فيها بالغلام :

ونلاحظ أن أغلب أخبار مناداماته تدور على الغزل فى الغلمان والحديث عن الخمر والمجون ، وأن الحسين كان يطلب منه ذلك إذا لم يبادر هو بالقول ، فما من مجلس إلا وله فيه مغازلة للساقى أو الخادم ومداعبته وتجميشه واشتهر الحسين بذلك ورويت عنه قصص عديدة .

والغلام الذى تردد اسمه كثيرا فى أخبار الحسين وفى شعره وهو « يسر » خادم أبى عيسى بن الرشيد ، وقد عرفنا طرفا من أخباره مع صالح بن الرشيد والحسين . وهنا نذكر بقية أخباره مع الحسين لنقف على مدى علاقتهما وما طرأ عليها من أحداث .

من ذلك أن الحسين خرج يوما إلى القُفص ليتنزه ومعه جماعة من إخوانه الظرفاء ، وبلغ يسرا خروجه ، فشد فى وسطه خنجرا وخرج إليه فجاءه وهو على غفلة ، فسربه حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلما سكر أجمشه حسين فأخرج خنجره عليه وعربد ، فأمسك حسين وعاد إلى شرابه ، ونظم قصيدة من أحد عشر بيتا يذكر فيها هذه الحادثة ويتغزل فيــه[2] .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٥ .

(٢) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٠ — ١٩١ .

ومن ذلك أيضا أن يسرا جاءه يوماً وعنده بعض أصحابه فأخذوا يتحدثون مليا ، ثم غازله حسين ، فقال له يسر : إياك والتعرض لى واربع نفسك ؛ فنظم قصيدة من ثلاثة عشر بيتا يشكو فيها من غدره به ، ويذكره بأيام المودة والأنس التى كانت بينهما[١].

ومن أخباره معه أنهما اتفقا مرة عند بعض إخوانهما وشربا ، وكان ذلك فى العشر الأواخر من شعبان فقال حسين ليسر : ياسيدى قد هجم الصوم علينا فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ، فقال له : قد سكرت وأخشى أن يبدو لك ، فحلف له يسر أنه يفى ، فلما كان من من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء . فجحد الوعد وأنكره ، فكتب إليه قصيدة من عشرة أبيات ياومه فيها لوما شديدا على إخلاف موعده[٢]. وكان لهذه القصيدة أثرها فى نفس يسر فاستجاب له . واجتمعا قبل الصوم فى بستان لمولاه وتمما سرورهما ، وقضيا أوطارهما إلى الليل ، فنظم فى ذلك مقطوعة من أربعة أبيات[٣].

وكان يسر يسأله أن يقول شعرا فى مجالس لهوهما وعلاقات عشقهما ، من ذلك هذه القصيدة الطويلة التى يذكر فيها يومه معه بالقفص ، وما تمتعا به من فنون اللهو والمجون وهى التى يبدؤها بقوله[٤] :

تيسرى للمسام من أمم ولا تراعى حامسة الحسرم

ونحن نستعيد ذكر الحادثة التى حدثت بين يسر وبين صالح بن الرشيد ، نجد أنه قد ترتب عليها حجر شديد على يسر ، إذ أمر مولاه أبو عيسى أن يحجب كما تحجب النساء ، وألا يخرج عن داره إلا ومعه حافظ له موكل

---

(١) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار ج ٧ ص ١٩١ — ١٩٢ .
(٢) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٦ — ٢١٧ .
(٣) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٧ — ٢١٨ .
(٤) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

به . وأغاظ ذلك الحسين ، لأنه حرم من لقاء معشوقه ، فنظم مقطوعة من من ستة أبيات يشكو فيها من هذه الحال ، ويعبر عن لوعته وحرمانه[١].

ونرى فى أغلب هذه الأخبار أن يسرا كان يتمنع كثيرا على الحسين ولا يلبى طلبه، فيثير بذلك فى نفسه لوعة الشوق وحرقة الهوى وعذاب الحرمان ، وينطلق لسانه معبرا عن هذه المعانى ، ولعل سبب تمنع يسر عليه يرجع إلى ما عرف عن الحسين من عربدة وخصوصا إذا سكر ، فيأتى أفعالا قد لا تعجب يسرا وقد تغيظه فيرده ردا عنيفا . ولكن هذه الحال من التباعد بينهما والخصام لم تكن تدوم كثيرا ولا يلبثان أن يعودا إلى الود ؛ وقد يتدخل أحد فى الصلح بينهما ، كما يروى أبو الفرج على لسان أبى نواس قال : « قال لى حسين بن الضحاك يوما : يا أبا على ، أما ترى غضب يسر على . . فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حال أردتها منه فمنعنيها فغضبت ، فأسألك أن تصلح بينى وبينه .فقلت : وما تحب أن أبلغه عنك : قال تقول له :

بحرمة السكر وما كانا	عزمت أن تقتل إنسانا
أخاف أن تهجرنى صاحيا	بعد سرورى بك سكرانا
إن بقلبى روعة كلما	أضمر لى قلبك هجرانا
يا ليت ظنى أبدا كاذب	فإنه يصدق أحيانا

قال : فقلت له ويحك . . أتجتنبه وتريد أن تترضاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة . . فقال لى : أنا أعرف به ، وهو كثير التبذل ، فأبلغه ماسألتك فأبلغته فرضى عنه وأصلحت بينهما[٢] » .

ونجد حادثة أخرى ذات أهمية حدثت للحسين مع غلام لأبى عيسى ابن الرشيد ، ولكن راوى الخبر لم يحدد اسمه . وذكر فى روايته أن الحسين

---

(١) انظر الخبر والأبيات فى أغانى الدار ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

كان يميل إليه ، وأنه عبث به يوما على سكر ، فأخذ قنينة فضرب بها رأسه فشجه شجة منكرة ، وشاع خبره وتوجع له إخوانه ، وعولج منها مدة ، فجفا الخادم وأطرحه وأبغضه ولم يعرض له بعدها . فرآه بعد ذلك فى مجلس مولاه فعبث به الخادم وغازله فلما أكثر ذلك قال له الحسين :

تعز بيأس عن هواى فإننى ... إذا انصرفت نفسى فهيهات عن ردى
إذا خنتم بالغيب ودى فمالكم ... تدلون إدلال المقيم على العهد
ولى منك بد فاجتنبنى مذمما ... وإن خلت أنى ليس لى منك من بد[1]

وأغلب الظن أن هذا الغلام هو يسر . لأنه ذكر أن الحسين كان يميل إليه ولم نعرف فى أخباره غلاما آخر لأبى عيسى كان يميل إليه غير يسر ، ونجد فى أبيات أخرى من القصيدة — لم يذكرها أبو الفرج — ما يدل على أنها موجهة إلى شخص كان محبوبا جدا لديه وفيها يقول[2] :

هويتكم جهدى وزدت على الجهد ... ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فإن أمس فيكم زاهدا بعد رغبة ... فبعد اختيار كان فى وصلكم زهدى

ويسر هو الذى كانت له هذه المنزلة عند الحسين ، وهو الذى يوجه إليه مثل هذا العتاب ، كما أنه هو الذى كان يعامل الحسين هذه المعاملة العنيفة ،وقد عرفنا حادثة تهديده إياه بالخنجر ، فليس غريبا أن تحدث منه هذه الحادثة .

على أنه برغم ما كان يحدث من يسر ، فإن الحسين لم يكن يفتأ يذكره ويفضله على من سواه ، يسأله أبو نواس عنه يوما فيجيبه بأن قلبه كاد يسلو عنه وعن حبه ،ثم يدخل عليهما غلام كان يعشقه أبو نواس ، فينشد الحسين أبياتا يتغزل فيه ويستحسنها أبو نواس ، ولكن تحدث بينهما ملاحاة فى أمر

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٤ .

(٢) القصيدة فى الموشى ص ١١٤ وأبيات منها فى الزهرة ص ١٥٤ وعيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٧١١ حوادث سنة ٢٥٠ ومسالك الابصار (مخطوط) جـ ٩ ص ٢٩٦ .

غلامهما ، فيقول له الحسين : « والله للنعل التى يطأ عليها يسر أحسن عندى من صاحبك ومن القمر ومن كل ما أنتم فيه »[١] .

وهكذا كانت علاقة الحسين بيسر تتراوح بين الرضا والغضب ، يسودها الود والوئام أحيانا ، والهجر والخصام أحيانا أخرى ، ويسجل الحسين هذه الحالات المختلفة فى شعره كما تسجلها أخباره .

ولم يكن يسر هو الغلام الوحيد فى حياة الحسين ، ولكنه كان أكثر الغلمان شهرة فى حياته ، وقد عشق الحسين غلمة كثيرين وتغزل فيهم ، ولم يكن يخلو مجلس من مجالس منادمته من مغازلة غلام كما رأينا .

ومن الغلمان الذين تغزل فيهم وذكر اسمه فى شعره غلام اسمه رزق كان لعلويه المغنى ، فقد قال فيه الحسين :[٢]

يا ليت رزقا كان من رزقى　　　يا ليتـــــه حظى من الخلـــق
يا شـــادنا ملكتــــــه رقى　　　فلست أرجو راحة العتـــق

وإن كنا لا نعرف أخبارا له معه كما عرفنا عن يسر ، فإننا لا نستبعد أن يكون له فيه شعر آخر لم يصل إلينا أو لم يسمه فيه . ومن أخباره مع الغلمان أيضا ما عرفناه من تعشقه لغلام الحسن بن سهل وغلام ابن شغوف وغيرهما .

وظل الحسين على عادته فى عشق الغلمان والتغزل فيهم حتى كبر وأسن . وقد عرفنا خبره مع شفيع خادم المتوكل ، وكان فى ذلك الوقت قد زاد على الثمانين . ولا نقول إنه تغزل فى شفيع وهو فى مجلس المتوكل لينال إعجاب الحاضرين ، ويثبت أنه ما زال شاعرا غزلا برغم شيخوخته وكفى ، ولكننا نقول إنه أعجب بشفيع فعلا وتاقت نفسه إليه ، وتمنى لو عاد إليه شبابه ليعشقه ويستمتع بجماله . وهذا ما يوضحه لنا شعره فيه بعد انصرافه من مجلس المتوكل .[٣]

(١) انظر الخبر والأبيات بالتفصيل فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٩ .
(٢) الأغانى جـ ١٤ ص ٥٢ ط ساس .
(٣) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧١ ، ٢٢٣ .

ونترك الحديث عن علاقته بالغلمان لنتحدث عن علاقته بالجوارى ؛ والواقع أن أخباره معهن تبدو قليلة جدا بالنسبة لأخباره مع الغلمان ، فإن ما ذكرته المصادر فى ذلك لا يزيد على خبرين أو ثلاثة : أحدها أن الحسين كان يهوى جارية لأم جعفر وكانت من أجمل الجوارى ، وكان لها صدغان معقربان . وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلت فينا ؟ أنشدنا منه شيئا ، فيخرج إليها الصحيفة . فشكا ذلك إلى عاصم الغسانى الذى كان يمدحه سلم الخاسر ، وكان مكينا عند أم جعفر ولكنه لم يستطع أن يحقق رغبته فوجه إليه بألف دينار وقال : خذ هذا الألف ، فقد جهدت الجهد كله فيها فلم تمكنى حيلة ، فنظم الحسين فى ذلك قصيدة من تسعة أبيات يتغزل فيها ويشكو عذاب حرمانه منها ، ويذكر وساطة عاصم فى أمرها [١] ولم تعرفنا أخباره ما تم فى هذه القصة بعد ذلك .

أما الخبر الثانى فهو عن جارية مغنية كانت تألفه اسمها فنن ، وكان يميل إليها ويستملحها ، وكانت تجىء إليه دائما ومعها خادم لمولاتها يحفظها يسمى نجحا ، وكان بغيضا شرس الخلق حتى إن الحسين كان يتوقاه ، وحدث أن مرض نجح هذا فجاءته ومعها غيره ففرح بها كثيرا وقضى معها ليلة غرامية سجلها فى شعره . [٢]

ولا نجد غير ذلك من أخبار له مع الجوارى سوى ما يذكره فى قصيدة له يحكى أحداث ليلة ماجنة قضاها مع إحداهن . [٣] والذى يهمنا من هذه القصيدة أنه يفضل فيها الجارية على الغلام ، ويذم ذكورته وما لها من صفات لا تعجبه برغم ما عرفناه عن غزله الكثير فى الغلمان وعشقه لهم ، ولعل السبب فى ذلك هو كثرة مجالس المنادمة التى كان يحضرها ، وكثرة ما يصادفه فيها من غلمان ، ثم إن سادة هذه المجالس قد يسمحون له بمغازلة الغلام وتجميشه ، ولا يسمحون له بذلك مع الجارية ، ولذا ذاعت أخباره وأشعاره فى الغلمان وتناقلها الناس وكأنها أمور مشاعة لا ينكرها المجتمع .

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٠٩ والقصيدة فى الكامل للمبرد ص ٤٢٩ .

(٢) انظر الخبر والقصيدة فى أغانى الدار ج ٧ ص ١٧٥ — ١٧٦ .

(٣) انظر أغانى الدار ج ٧ ص ٢٢١ .

أما علاقاته بالجوارى فكانت خاصة به ولا يسمح بها فى مجالس المنادمة إلا قليلا ، وإذا أراد أن يجتمع بمحبوبته فضل أن يكون ذلك على انفراد وبطريقة تكتنفها السرية والكتمان . ثم له بعد ذلك أن يذيع ما يحلو له مما حدث ، ومع ذلك لم تكن له الحرية الكاملة فى إعلان القول سيما إذا كانت الجارية تخص خليفة أو شخصية لها خطرها ، عند ذلك كان يخشى غضب سيدها عليه وما قد يجره ذلك من بلاء . و كل هذه القيود لا توجد بالنسبة للغلمان ؟ ولذا ذاع غزله وعلاقاته بهم على ما فيها من شذوذ ، وكأن الناس يجدون فيها متنفسا لهم من القيود التى تفرض على العلاقات مع النساء .

بعد ذلك نعرض لعلاقة الحسين مع الشعراء المعاصرين له ، ونجدها فى معظمها علاقة لهو ومجون أو هى صورة لطبيعة حياتهم ، فيها كثير من المجون والهزل وقليل من الجد .

وأصدق صورة لهذه العلاقة ذلك الاجتماع الذى ضم عددا منهم فى «مجلس على الصراة [1] وهم داود بن رزين الواسطى والحسين [2] الخليع والفضل الرقاشى وعمرو الوراق ، والحسين الخياط وعنان جارية الناطفى وعلى بن الخليل الكوفى واسماعيل القراطيسى ورزين الكلبى — ومعهم أبو نواس، فتناشدوا أشعارهم وأشعار غيرهم،حتى إذا كان الظهر وأرادوا الانصراف قالوا أين نحن العشية ؟ فكل قال عندى فقال أبو نواس: فليقل كل واحد منا شعرا » [3] وأخذ كل منهم يوجه دعوته إلى الآخرين فى أبيات قليلة بين ثلاثة وخمسة ويرغبهم فى الاجتماع عنده بما يتوفر فى منزله من عوامل اللهو المختلفة ودواعى الأنس والمتعة والطرب واللذة،ولا أدل على توضيح ذلك من

---

(١) الصراة كقناة نهر بالعراق .

(٢) ذكر فى النص الحسن وفيه تصحيف واضح .

(٣) مقدمة ديوان أبى نواس ص ٣٨ ط آصاف ، ص ٦٠ ط فاغنر ومخطوط الأثرية (هامش ١٦٦ م) ص ١١٩ وما بعدها ، وتاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ مع حذف بعض الأشخاص،والمحاسن والأضداد ص ١٩٥ وأخبار أبى نواس لابن منظور ص ١٣٠ أخبار أبى نواس لأبى هفان ص ٧٨ وما بعدها .

ذكر أمثلة من أقوال بعضهم حتى تكون الصورة أمامنا أكثر وضوحا وجلاء :
فمنه قول داود بن رزين :

قوموا لمنزل لهو ... وظل بيت كنين
فيه من الورد والنر ... جس والياسمين
وريح مسك ذكى ... وفائح المرزجون
وقينة ذات غنج ... وذات عقل رصين
تشدو بكل ظريف ... من محكم بن رزين

وقال الخليع :

إلى الخليع فقوموا ... إلى شراب الخليع
إلى شراب لذيذ ... وأكل جدى رضيع
ونيل أحوى رخيم ... بالخندريس صريع
فى روضة جادها صو ... ب غاديات الربيع
قوموا تنالوا وشيكا ... منال كل رفيع

وقال إسماعيل القراطيسى :

ألا قوموا جماعات ... إلى بيت القراطيسى
فقد هيا لنا عمرو ... غلاما أمردا طوسى
وقد هيا التى جاءت ... لنا من أرض بلقيس
وقينات من الحور ... كأمثال الطواويس

وهكذا أخذ كل منهم يصوغ دعوته حتى انتهوا جميعا ، ولم يفلح أحدهم فى التغلب على الآخرين عند ذلك قام أبو نواس وأعان الذهاب إلى مكان محايد ما داموا لم يتفقوا على الذهاب إلى بيت أحدهم . فقال :

ألا قوموا إلى الكرخ ... إلى منزل خمار
إلى صهباء كالمسك ... إلى جونة عطار

وبستـــان به نخـــــل له زهـــــر بأشجـــار
فإن أحببتم لهـــــوا أتينـــــاكم بمزمار [1]

تلك صورة من حياتهم كثيرا ما كانت تتكرر ، وكثيرا ما كانت تجمعهم مجالس الشراب واللهو والمجون . أو يخرجون إلى الديارات والمتنزهات الجميلة يستمتعون فيها بجمال الطبيعة بين مروجها الخضراء وبساتينها الفيحاء ؛ وقد ذكرت بعض المصادر أن أبا نواس ، ومسلم بن الوليد الصريع والحسين ابن الضحاك الخليع ، والعباس بن الأحنف ، خرجوا إلى متنزه ، ومعهم يحيى بن معاذ ، فأدركتهم صلاة المغرب ، فقدموا ابن معاذ للصلاة فنسى الحمد وأرتج عليه فى «قل هو الله أحد» فقطعوا الصلاة ثم تعاطوا القول فيه فقال أبو نواس :

أكـــــثر يحيى غلطـــا فى قـــــل هو الله أحـــــد

فقال مسلم بن الوليد :

قام طـــــويلا ساهيـــا حتى إذا أعيـــا سجـــد

فقال العباس بن الأحنف :

يزحـــــر فى محـــــرابه زحـــــير حبلى بولـــــد

فقال الحسين الخليع :

كأنمـــــا لســـــانه شـــــد بحبل من مســـــد [2]

هذه واقعة تبين روحهم الهازلة اللاهية حتى أشد الأوقات جدا وهى وقت الصلاة فلم يكد يخطىء إمامهم حتى خرجوا عن صلاتهم وأخذوا

---

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) بدائع البدائه ص ١٢٢ والعمدة ج ١ ص ٢٣٤ وديوان مسلم بن الوليد ص ٢٧١ (وقد ذكرا أن الذى كان معهم هو يحيى بن المعلى وبادلا بين بيتى العباس ومسلم) ومقدمة ديوان أبى نواس ص ٧ ط آصاف ولم ينسب البيت للحسين ، وفى الغرر ص ١٧٤ بيت الحسين هو يزحر فى محرابه وبيت مسلم هو : كأنما لسانه . وبيت العباس هو قام طويلا .

يتندرون بخطئه ويتسابقون فى التهكم به بهذه الأبيات المازنة الهازلة . وقد شغلوا عن الصلاة كل الانشغال،وكأنها لا تهمهم بقدر ما تهمهم هذه النادرة المضحكة وقد وجدوا فيها فرصة لعرض براعتهم فى السخرية والتنكيت والتعبير عن روحهم اللاهية العابثة .

ومن أخبار هؤلاء الشعراء ما رواه ابن المعتز « أن أبا نواس ومسلم بن الوليد والخليع و جماعةمن الشعراءاجتمعوا فى مجلس،فقال بعضهم أيكم يأتينى ببيت شعر فيه آيه من القرآن وله حكمه ؟ فأخذوا يفكرون فيه ، فبادر أبو نواس فقال :

وفتيـــة فى مجلس وجوههم ريحانهم قـــد أمنوا الثقيـــلا
دانيـــة عليهم ظلالهـــــ وذللت قطوفهـــا تذليـــلا

فتعجبوا وأفحموا ولم يأت أحد منهم بشىء » . [1]

وكانت هذه العلاقات الجماعية بين الشعراء أمرا طبيعيا فى ذلك العصر، لأن حياتهم كانت فراغا لا شاغل فيها،ولا أعمال يؤدونها أو يسألون عنها إلا قليلا، لذلك كثرت اجتماعاتهم ومجالسهم سواء للهو أو لنزهة أو لمناقشات ومناظرات أدبية،وما ذكرنا من أمثلة ليس إلا دليلا على وجود هذه الظاهرة بل وشيوعها .

أما العلاقات الخاصة بين الحسين وبين بعضهم فنجد فى مقدمتها علاقته بأبى نواس ، تلك العلاقة التى نشأت منذ الصغر كما عرفنا واستمرت زمنا طويلا، حتى قطعها موت أبى نواس قبل الحسين بسنين كثيرة. وقد عمرت سنين صحبتهما بكثير من القصص والنوادر الطريفة،عرفنا منها قصة جبة الخز [2] التى حدثت بالبصرة فى أيام شبابهما الأول ، وعرفنا كيف تدخل أبو نواس

---

(١) انظر طبقات الشعراء ص ٢٠٧ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٣ وطبقات الشعراء ص ٢٦٩ وديوان المعانى جـ ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٩٨ والجليس والأنيس (مخطوط) ورقة ٢٨ .

ليصلح بين الحسين ويسر بعد أن طلب منه الحسين ذلك ، وعرفنا ملاحاتهما في غلاميهما وكيف ثار الحسين مفضلا غلامه على كل شيء مع ما كان بينهما من خصام . وحدث بينهما غير ذلك أمور كثيرة تتعلق بالشعر ، فكانا يتناشدان أشعارهما ويتلاحيان في أيهما أفضل ويصل بهما الأمر إلى أن يحتكما إلى أحد الشعراء أو العلماء الدارسين للشعر والأدب ليحكم بينهما ، من ذلك ما يرويه أبو الفرج أنهما حجا « فجمعهما الموسم فتناشدا قصيدتيهما :

قول أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

وقصيدة حسين :

بدلت من نفحات الورد بالآء   ومن صبوحك در الإبل والشاء

فتنازعا أيهما أشعر قصيدته ، فقال أبو نواس : هذا ابن مناذر حاضر الموسم وهو بيني وبينك ، فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ، فقال ابن مناذر ما أحسب أن أحدا يجيء بمثل هذا وهم بتفضيله ، فقال له الحسين : لا تعجل حتى تسمع ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته . . . حتى انتهى إلى قوله :

فضت خواتمها في نعت واصفها   عن مثل رقراقة في جفن مرهاء

فقال له ابن مناذر : حسبك قد استغنيت عن أن تزيد شيئا والله لو لم تقل في دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك على سائر من وصف الخمر ، قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضل . فحكم له وقام أبو نواس منكسرا » .[1]

وفي أخبار أخرى نجد أبا نواس يغير على معاني الحسين في الخمر ويغيظه بإعادة نظمها في شعره أو بنسبتها لنفسه ، مما كان يثير الحسين فيسبه ويتهمه بالصالة والسرقة وأبو نواس يضحك منه ويسر لإثارته ، ومن أمثلة ذلك أن

---

(١) أغاني الدار جـ ٧ ص ٢٠٣ .

الحسين « لقى أبا نواس عند باب أم جعفر من الجانب الغربى ، فأنشده قصيدته التى مطلعها :

أخوى حى على الصبوح صباحا　　هبا ولا تعدا النديم رواحا

فلما كان بعد أيام لقيه أبو نواس فى ذلك الموضع فأنشده قصيدته التى مطلعها :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا　　وأمله ديك الصباح صياحا

فقال له الحسين : « حسن يابن الزانية .. أفعلتها ؟ ! فقال : دع هذا عنك فوالله لا قلت فى الخمر شيئا وأنا حى إلا نسب لى » . [1]

وفى مرة أخرى أنشد الحسين أبا نواس قصيدته التى يقول فيها :

كأنما نصب كأسه قمر　　يكرع فى بعض أنجم الفلك

فأنشده أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته　　يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقال له الحسين : يا أبا على هذه مصالته ، فقال له : أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيد وأنا حى » . [2]

والذى يهمنا الآن هو أن نعرف مدى أثر هذه المنازعات على العلاقة بينهما . وتأخذنا الدهشة حين نجد أن كل ذلك لم يكن يؤثر على صحبتهما أو يفسدها ولم نجد فى أخبارهما مايشير إلى أى تباغض أو تباعد بينهما ، حتى وصفهما الدكتور طه حسين بلين الخلق لما كان يجمع بينهما من حسن العشرة ومن الإخاء فى الأدب واللهو [3] ويبدو أنهما كانا يأخذان هذه الأمور مأخذ المازحة فلايدعانها تترك فى نفسيهما شيئا من الحسد والحقد ، أو تؤدى إلى أن تقع بينهما العداوة ، والبغضاء . وأقوى شاهد على ذلك

---

(١) نفسه ص ١٦٢ .　　(٢) نفسه ص ١٥٥ .

(٣) حديث الأربعاء ج ٢ ص ١٨١ .

أنهما لم يتهاجيا كما يحدث عادة بين الشعراء فى مثل هذه الحالات ، بل ظلت العلاقة بينهما طيبة ، وظلت مجالس اللهو تجمعهما كما عرفنا ، وكأن الحياة فى نظرهما لاتتسع لشيء من العداء والحقد ، وأنه لامكان فيها إلا للهو والمتعة ، والشراب واللذة ، والسرور والطرب ، وما إلى ذلك من ألوان العبث والمجون والخلاعة . فكيف يفسدان حياتهما المليئة بهذه اللذات ؟ وكيف يتركان هذه المنازعات والمهاترات تضيع عليهما مباهجها ومسراتها ؟ إنهما قد اختارا الفلسفة السهلة ، والطريق الأفضل والمعاملة اللينة فكسبا متعة الحياة وحسن الصحبة وطيب العشرة .

وكما وجدنا بينهما هذه المنازعات نجد كذلك بعض المجاملات . فقد التقيا مرة فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك فى الغزل ، وذكر له الأبيات التى بنى عليها قوله ، فقال الحسين « ويحك يا أبانواس فأنت لاتفارق مذهبك فى الخمر البتة ، قال : لا والله ، وبذلك فضلتك وفضلت الناس جميعا »[1] .

ونلاحظ أن الحسين لم يعلق على كلمة أبى نواس الأخيرة بتفضيل نفسه عليه وعلى جميع الناس ولم يبد شيئا من الغيرة أو الغيظ ، وكأنه يسلم لأبى نواس بهذه الأفضلية أو كأنه لم يهتم بما قال فلم يشغل نفسه بالرد عليه .

ولما مات أبو نواس رثاه الحسين ببيتين من الشعر كتبهما على قبره وهما :[2] .

كابرنيك الزمان ياحسن ... فخاب سهمى وأفلج الزمن

ليتك إذ لم تكن بقيت لنا ... لم تبق روح يحوطها بدن

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٤ .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ٣٠٥ .

وقد يكون له فيه رثاء غير ذلك لم يصل إلينا ، وإنما وصل إلينا هذان البيتان لأنه كتبهما على قبره فحفظا ورويا ولم يضيعا . وهما على أى حال يدلان على بقاء صلات الود والألفة بينهما ، كما يحملان معنى الحزن والتأثر ، فما كان الحسين لينسى صحبة العمر ورباط الصداقة وهو من عرفنا عنه الوفاء الصادق والإخلاص الجميل :

والشاعر الثانى ، الذى جمعت الألفة والصداقة بينه وبين الحسين هو أبو العتاهية ، وقد عرفنا نصيحته الطيبة التى نصح بها الحسين لما تمادى فى رثاء الأمين وهجا المأمون ، فعمل بها وكان لها فى نفسه أطيب الأثر ، يدل على ذلك قوله «فعلمت أنه قد نصحنى فجزيته الخير وقطعت القول ، فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو »[1] .

والخبر الثانى يقول فيه الحسين « كنت أمشى مع أبى العتاهية ، فمررت بمقبرة وفيها باكية تبكى بصوت شج على ابن لها . فقال أبو العتاهية .

أما تنفك باكية بعـــين غزير دمعها كمد حشاهـا

أجز ياحسين فقلت :

تنادى حفرة أعيت جوابـا فقد ولهت وصم بها صداها[2]

أما الخبر الثالث ففيه أنهما اجتمعا يوما ومعهما أبو نواس الذى قال : لينشد كل واحد قصيدة لنفسه فى مراده من غير مدح ولاهجاء ، فأنشد أبو العتاهية أبياتا فى الغزل فسلم له أبو نواس والحسين لسهولة ألفاظه وملاحة قصده وحسن إشاراته . ولم ينشدا شيئا »[3] .

وهذه الأخبار على قلتها تدل على وجود صحبة وألفة بين الشاعرين : ولعل نصيحة أبى العتاهية قد زادت من هذه الألفة لما تركته فى نفس الحسين من أثر طيب وجميل لاينسى .

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ٢١١ . (٢) نفسه ج ٧ ص ٢١٠ .
(٣) العمدة ج ١ ص ١٠٦ .

وإذا سألنا بعد ذلك أى الشاعرين كان الحسين يفضل ؟ أكان يفضل أبا نواس أم أبا العتاهية ؟ وجدنا فى ذلك خبرين متناقضين نعرضهما أولا ثم نقول رأينا بعد ذلك .

الخبر الأول « أن مخارقا والحسين تلاحيا فى أبى العتاهية وأبى نواس أيهما أشعر ، فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتخايران فيه ، فاختار الحسين شيئا من شعر أبى نواس جيدا قويا لمعرفته بذلك ، واختار مخارق شيئا من شعر أبى العتاهية ضعيفا سخيفا غزلا كان يغنى فيه لا لشىء عرفه منه إلا لأنه استملحه وغنى فيه ، فخاير به لقلة علمه ولما كان بينه وبين أبى العتاهية من المودة ، وتخاطرا على مال ، وتحاكما إلى من يرتضيه الواثق بالله ويختاره لهما ، فاختار الواثق لذلك أبا محلم ، وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكم لحسين ، فتلكأ مخارق وقال : لم أحسن الاختيار للشعر ولحسين أعلم منى بذلك ، ولأبى العتاهية خير مما اخترت ، وقد اختار حسين أجود ماقدر عليه لأبى نواس لأنه أعلم منى بالشعر ، ولكنا نتخاير بالشاعرين فقبهما وقع الجدال ، فتحاكما فحكم لأبى نواس ، وقال : هو أشعر وأذهب فى فنون الشعر وأكثر إحسانا فى جميع تصرفه فأمر الواثق بدفع الخطر إلى حسين وانكسر مخارق فما انتفع به بقية يومه »[1] .

أما الخبر الثانى ففيه أن « الفتح بن خاقان تناظر هو وأحمد بن أبى فنن أيهما أشعر أبو نواس أو أبو العتاهية فقال الفتح أبو نواس ، وقال أحمد أبو العتاهية وارتضيا على أن يكون الحسين حكما بينهما ، وما انقطع كلامهما حتى دخل الحسين ، فقال له أحمد : ماتقول فى رجلين تشاجرا ، فضل أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية فقال الحسين : أم من فضل أبا نواس على أبى العتاهية زانية فخجل الفتح حتى تبين ذلك فيه ولم يعاوده فى شىء من ذكرهما حتى افترقوا »[2] .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٦ — ١٧٧

(٢) الأغانى جـ ٣ ص ١٧٣ ط الساسى .

فالتناقض واضح بين رأيه فى الخبر الأول ورأيه فى الخبر الثانى ، ولكن يبدو أنه فى الخبر الأول لم يكن يعبر عن حقيقة رأيه ، وأنه إنما استغل ضعف رأى مخارق وقلة علمه بالشعر ليكسب منه الرهان . أما فى الخبر الثانى فهو حكم يدلى بوجهة نظره ويحكم برأيه الحقيقى دون أى مؤثر خارجى . ولعل المنافسة التى كانت بينه وبين أبى نواس وكثرة إغارته على معانيه — كما عرفنا — كان لها أثرها فى تكوين رأيه ، بينما كانت علاقته بأبى العتاهية لايشوبها شىء من منافسة أو ملاحاة ، وإنما كانت تتسم بالألفة والمودة ، فكان لذلك أثره فى تفضيله على أبى نواس .

ومن أخباره مع الشعراء الآخرين ما عرفناه عن حكم ابن مناذر الشاعر بينه وبين أبى نواس فى قصيدتيهما . ونجد لهذا الشاعر خبرا آخر مع الحسين إذ أنشده الحسين قصيدته التى يقول فيها :

لفقدك ريحانة العسكر

وكانت من أول ماقاله من الشعر ، فأخذ هذا رداءه ، ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله ، وجعل يردد هذا البيت . فقال بعضهم لحسين : أتراه فعل ذلك استحسانا لما قلت ؟ فقال : لا ، فقالوا : فإنما فعله طنزا بك ، فشتمه وشتمهم وكانوا بعد ذلك يسألونه إعادة البيت فيرى بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر بأقبح مايقدر عليه[1] .

وروى المرزبانى خبرا يدل على وجود علاقة بين الحسين وأبى تمام الطائى ، وفيه أن أحدهم شاهده فى منزل الحسين وهو ينشد شعره[2] ، ولانستطيع أن نعرف حدود هذه العلاقة ، لأن المصادر التى كتبت عنهما لم تذكر عنها شيئا آخر .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١٤ .

(٢) انظر الموشح ص ٥٠٢ ط سنة ١٩٦٥ .

بعد ذلك لانجد للحسين أخبارا مع شعراء آخرين، اللهم إلاما عرفناه عن ملاحاته مع أبى شهاب الشاعر الذى سخر من الحسين وهزمه [١] أما ماقيل عن مهاجاته مع مسلم وانتصافه منه [٢] فلم نجد دليلا عليه فى شعره أو فى شعر مسلم . ولم نعرف له معه علاقة خاصة ، فأخبارهما تدخل فى علاقة عامة من اجتماع الشعراء فى مجالس أدبية أو لاهية ، كما عرفنا فى خبر صلاة الجماعة، وكذلك العباس بن الأحنف الذى كان معهما فى هذه الحادثة . ولانجد أية أخبار أخرى توضح لنا مدى العلاقة بين هذين الشاعرين وبين الحسين ، ولكن خبر الصلاة هذا يكفى ليكون دليلا على وجود صلة صداقة بينهم ، فكانوا يخرجون للنزهة متصاحبين ؛ كما يفهم من هذا الخبر .

أما ما أشرنا إليه آنفا من أنفة هؤلاء الشعراء للديارات ، فإننا نجد الحسين من أسبقهم فى ذلك ، وقد ذكر الشابشتى والبكرى وياقوت وغيرهم كثيرا من أخباره وأشعاره فيها . وأهم الديارات التى كان الحسين يألفها ويتردد عليها كثيرا : دير سابر [٣] ودير سرجس [٤] ودير مديان [٥] ودير مريوثان أو عمر نصر [٦] .

---

(١) أنظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٤٦ .

(٣) دير سابر ببزوغى قرب بغداد وهى قرية عامرة نزهة كثيرة البساتين (معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١٣ ط بيروت) .

(٤) دير سرجس . كان بطيزناباد بين الكوفة والقادسية . وكان محفوفا بالكروم والأشجار والحانات ، وقد خرب وبطل ولم يبق منه إلا خرابات على ظهر الطريق يسميها الناس قباب أبى نواس (انظر معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١٤) .

(٥) دير مديان على نهر كرخايا ببغداد : وهو حسن نزه حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهة (انظر الديارات ص ١١)

(٦) دير مريوثان أو عمر نصر أو قلاية القس بسر من رأى وكان من متنزهات آل المنذر (معجم البلدان ومعجم ما استعجم) .

ومن أخباره فى ذلك ماذكره البكرى فى حديثه عن عمر نصر ، إذ روى أن الحسين كان يألفه ، وأنه كان إلى جانبه خمار يقال له يوشع وله ابن أمرد حسن الوجه شماس ، فكان الحسين يتألف الخمار من أجل ابنه حبائه .

ويروى خبرا آخر على لسان الحسين قال: « اصطبحت أنا وإخوان لى فى عمر سر من رأى ومعنا أبو الفضل رذاذ وزنام الزامر ، فقرأ الراهب سفرا من أسفارهم حتى طلع الفجر ، وكان شجى الصوت ، ورجع من نغمته ترجيعا لم أسمع مثله فتفهمه رذاذ وزنام فغنى ذلك عليه ، وزمر هذا ، فجاء له معنى أذهل العقول ، وضج الرهبان بالتقديس[1] فقال فى ذلك أبياتا أولها[2] :

ياعمر نصر لقد هيجت ساكنة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ هاجت بلابل صب بعد إقصار

فالحسين إذن كان من رواد هذه الديارات الذين يقصدونها لما فيها من خمور جيدة وأطعمة شهية ، فيشربون ويلهون كما يحلو لهم بعيدا عن ضجة المدن وعيون الرقباء ، ويطلقون لأنفسهم العنان فى المجون والخلاعة والسكر والعربدة .

ومن علاقات الحسين بمعاصرية ماعرفناه من قصته الطريفة مع أحد جند الشام وحبيبته (بصبص) وكيف أوقع بينهما [3] ومنها أيضا خبره مع جار له طبيب إسمه« نصير »كان يداوى الجراحات وكان مخنثا ، فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين وقد هجاه الحسين بأبيات ذاعت بين الناس ، وصار الصبيان يصيحون بنصير كلما رأوه بعد ذلك « يانصير نلعب تقلب الطاير المراعيش » وهى كلمات أخذوها من الأبيات ، فيشتمهم نصير ويرميهم بالحجارة[4] .

---

(١) ، (٢) انظر معجم ما استعجم ص ١٠٩٠ تحقيق الأستاذ السقا .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٩ .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ٢١٤ .

أما علاقته بزملائه فى منادمة الخلفاء والأمراء فنجد خبرا عنها يرويه أحدهم وهو كثير بن إسماعيل قال « لما قدم المعتصم بغداد سأل عن ندماء صالح ابن الرشيد ، وهم أبو الواسع وقنينة وحسين بن الضحاك وحاتم الريش وأنا ، فأدخلنا ، فلشؤمى وشقائى كتبت بين عينى : سيدى هب لى شيئا . فلما رآنى قال : ماهذا على جبينك ؟ فقال حمدون بن اسماعيل : ياسيدى تطايب بأن كتب على جبينه : سيدى هب لى شيئا ، فلم يستطب لى ذلك ولا استملحه ودعا بأصحابى من غد ولم يدع بى . ففزعت إلى حسين بن الضحاك ، فقال لى : إنى لم أحلل من أنسه بعد بالمحل الموجب أن أشفع إليه فيك ، ولكنى أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإن ذلك أبلغ فقلت : أفعل : فقال حسين :

قل لدنيا أصبحت تلعب بى ، سلط الله عليك الآخـــرة
إن أكن أبرد من قنينـــة ومن الريش فأمى فاجـرة

قال فأخذتهما وعرفت حمدون أنهما لى وسألته إيصالهما ففعل ، فضحك المعتصم وأمر لى بألفى دينار واستحضرنى (وألحقنى بأصحابى »[1] .

وفى هذه القصة نلمح ذكاء الحسين وفطنته إلى الأسلوب الناجح فى استعادة رضا الخليفة على أحد الندماء ، وهذا أمر ليس بغريب عليه وهو الذى خبر الخلفاء وفهم الكثير من خبايا نفوسهم .

وهذا صديق له كان يتعشق جارية مغنية فزاحمه فيها غلام كان فى مرودته حسن الوجه ، فلما خرجت لحيته جعل ينتف ماخرج منها ، ومالت القينة إليه لشبابه ، فشكا ذلك إلى الحسين وسأله أن يقول فيها شعرا فقال مقطوعتين إحداهما من أربعة أبيات والأخرى ستة أبيات يهجو فيهما الغلام ويسخر من نتفه لحيته . وذلك ليرضى صديقه الذى لجأ إليه .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٤ .

ومن نوادر بعض أصحابه معه مايرويه أحمد بن أبى كامل بقوله : مررت بباب حسين بن الضحاك وإذا أبو زيد السلولى وأبو حزرة الغنوى وهما ينتظران المحاربى وقد استؤذن لهم على ابن الضحاك . فقلت لهما : لم لاتدخلان : ؟ فقال أبو يزيد ننتظر اللؤم أن يجتمع فليس فى الدنيا أعجب مما اجتمع منا الغنوى والسلولى ينتظران المحاربى ليدخلوا على باهلى[1] .

ويبدو أن أصحاب الحسين كانوا على شاكلته فى الظرف وحب المرح أوهم ممن يحبون ذلك ويميلون إليه ، وهذه الروح المرحة هى التى جمعتهم بالحسين وألفتهم جميعا .

وبعد هذا العرض والتحليل لعلاقات الحسين بمعاصريه ، يمكننا أن نستكمل رسم الصورة الحقيقية لحياته وشخصيته ، لتكون دراستنا لشعره قائمة على أساس سليم :

٦ — وفاته :

عاش الحسين حياة طويلة حافلة ، وعمر كثيرا حتى قارب المائة السنة ، لكننا فى تحديد تاريخ وفاته نجد أقوالا ثلاثة مختلفة ، أولها قول أبى الفرج الأصفهانى بأنه مات فى خلافة المستعين أو المنتصر[2] ومعنى ذلك أنه لا يقطع برأى حاسم ولا يحدد تاريخا معينا لوفاته . وخلافة المنتصر بدأت فى الرابع من شوال سنة ٢٤٧ هـ وانتهت فى الثالث من ربيع الثانى سنة ٢٤٨هـ حيث بدأت خلافة المستعين[3] ، فهل مات الحسين فى هذه الفترة التى تولاها المنتصر والتى لا تتجاوز ستة شهور ، أم أنه مات بعد هذا التاريخ أيام المستعين ؟

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١٥ .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٤٦ .

(٣) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ص ٣ .

والقول الثانى ذكره ابن العماد الحنبلى بأنه ممن توفوا فى سنة إحدى وخمسين ومائتين، ولكنه لايؤكد قوله هذا ولا يقطع به ، وذلك واضح من العبارة التى كتبها ، إذ أنه فى خلال تسجيله لوفيات هذه السنة قال « وفيها — بل فى التى قبلها كما جزم ابن خلكان وغيره — توفى الحسين بن الضحاك»[١] ومعنى ذلك أنه يضرب عن القول الأول ويرفضه، ويعتمد قول ابن خلكان[٢] وغيره ، الذين جزموا بأنه توفى فى السنة التى قبلها أى فى سنة خمسين ومائتين؛ وهذا هو القول الثالث الذى قال به قبل ابن خلكان كثيرون منهم الثعالبى[٣] والعميدى[٤] والخطيب البغدادى[٥] وابن عساكر[٦] وياقوت الحموى[٧] وابن الأثير[٨] كما أخذ به بعده ابن فضل الله العمرى[٩] وابن شاكر الكتبى[١٠] واليافعى[١١] والعينى[١٢] والزركلى[١٣] ودائرة المعارف الإسلامية[١٤].

وهذا القول الأخير هو الأقرب إلى الحقيقة لاتفاق الغالبية عليه بل هناك شبه إجماع على الأخذ به فهو يتفق مع الرأى الأول لأبى الفرج بأنه مات فى خلافة المستعين ولعل الذى جعله يقول « أو المنتصر » أن الحسين كان آخر شعر قاله فى المنتصر . ثم جاء المستعين فلم يذكر أى خبر عن الحسين فى عهده ، وليس غريبا أن يقضى الحسين السنتين الأخيرتين من عمره فى

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٣ .

(٣) المنتحل ص ٣١٩ .

(٤) الإبانة ص ١٨٤ .

(٥) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٥ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ .

(٧) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٥ .

(٨) الكامل فى التاريخ ج ٧ ص ٨٩ ط حوادث سنة خمسين ومائتين .

(٩) مسالك الأبصار ص ٩ ورقة ٢٠ وقد كتب سنة خمس ومائتين وفيها تصحيف واضح .

(١٠) عيون التواريخ ج ٧ ص ٧٠٩ .

(١١) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ .

(١٢) عقد الجمان ج ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ .

(١٣) الأعلام ج ٢ ص ٢٥٨ .

(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٣٢٠ .

ضعف الشيخوخة العاتية وعجز الهرم الشديد . لا يكاد يستطيع حراكا أو يعى قولا . ويعتبر رأى ابن العماد الحنبلى متفقا مع رأى الغالبية كما يفهم من عبارته . وعلى هذا يكون الرأى الغالب أو الأصوب هو وفاة الحسين فى سنة خمسين ومائتين للهجرة .

وكانت وفاته فى بغداد كما ذكر ياقوت[1] ولم تشر مصادر غيره إلى ذلك أو تذكر سواه . فى هذه المدينة العظيمة — التى قضى فيها الحسين أجمل أيام عمره ، والتى شهد فيها ثمانية خلفاء يتولون حكم الدولة العباسية واحدا بعد الآخر ، ويصنعون عهدها الذهبى — توفى الحسين بن الضحاك . .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٥

الفصل الثاني
شعره وأغراضه

١ — مصادر شعره :

مصادر شعر الحسين كثيرة متعددة ، منها ما أورد له قصائد ومقطوعات كثيرة ومنها ما جاء بأبيات قليلة . ولسوء الحظ لم يصل إلينا ديوانه الذى كان يقع فى مائة وخمسين صفحة كما ذكر ابن النديم[١] . وهذا هو السبب الرئيسى فى ضياع معظم شعره ، لأن مجموع الأبيات التى أوردتها المصادر المختلفة حوالى ثمانمائة وستين بيتا بينما تقدر الأبيات التى ضمنها ديوانه بما يزيد على ثلاثة آلاف بيت إذا احتسبنا فى كل صفحة عشرين بيتا أو أكثر . ومعنى ذلك أنه قد ضاع من شعر الحسين ما يقرب من ثلاثة أرباعه ، وأنه لم يصل إلينا إلا ربعه تقريبا . على أن هذا التقدير لعدد أبيات الديوان قد يكون قليلا بالنسبة لحياته الطويلة الحافلة وعمره الذى قارب المائة عام .

من الواضح إذن أن ما ضاع من شعره كثير بالنسبة لما وصل إلينا . ونجد فى مواضع كثيرة من مصادر شعره ما يدل على ضياع معظم الأبيات فى بعض قصائده إذ يكتفى المصدر بذكر أبيات قليلة من القصيدة مع إشارته إلى أنها قصيدة طويلة أو معروفة فى شعره . من ذلك ما ذكره المسعودى عن مدح الحسين للأفشين قائد المعتصم حين لحق به فنزل معه على عمورية فقال « وفى ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخايع فى قصيدة له طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين »[٢] . ولكنه لم يذكر من هذه القصيدة إلا أربعة أبيات وكذلك فى ذكره مدح الحسين للمعتصم إذ قال إنها « كلمة طويلة »[٣] ، ولم يذكر منها إلا أربعة أبيات . وفى الأغانى نجد شواهد كثيرة على ذلك[٤] .

(١) الفهرست ص ١٦٣ .
(٢) التنبيه والإشراف ص ١٤٤ .
(٣) نفسه ص ١٤٥ .
(٤) انظر ترجمته فى الأغانى الجزء السابع .

إذ يكتفى بذكر مقدمات القصائد أو أبيات قليلة منها ، كقصيدته التى مدح فيها المأمون، أو التى مدح بها المنتصر، أو التى هنأ الواثق فيها بالخلافة وعزاه فى أبيـه المعتصم . وكذلك قصائده فى رثاء الأمين . فى كل هذه القصائد لا يذكر أبو الفرج إلا أبياتا قليلة بين البيتين والخمسة ، بينما نجد بعضها فى مصادر أخرى يزيد على عشرين بيتا . ومنها قصيدته الهمزية التى قالهـا فى الخمر إذ لم يذكر منها أبو الفرج إلا أربعة أبيات بينما هى فى ديوان أبى نواس أربعون بيتا . وبعض هذه القصائد لم نجدها كاملة فى أى مصدر آخر . ومعنى ذلك أن معظم أبياتها قد ضاعت . ومن الأمثلة ـ وغيرها كثير ـ يتأكد لنا ضياع الكثير من شعر الحسين .

وقد أوردت كثير من المصادر التى ترجمت للحسين شعرا له ، كما اكتفت بعضها بترجمته فقط . وجاءت مصادر أخرى بشعر له دون ترجمة أو أخبار .

ولهذا سنلتقى بمصادر جديدة لم يأت ذكرها فى مصادر ترجمته :

وأقدم مصدرين لشعره هما للجاحظ (ت سنة ٢٥٥ هـ) الذى كان معاصرا للحسين . وكنا نتوقع أن نجد فى كتبه كثيرا من شعره ولكن خاب ظننا إذ لم نجد إلا أربعة أبيات فى « الحيوان » عقب عليها بقوله « وهذا شعر رويته على وجه الدهر ، وزعم لى الحسين بن الضحاك أنه له ، وما كان ليدعى ما ليس له »[١] . وهذه الأبيات تبدأ بقوله :

نشبى وما جمعت من صفـد وحويت من سبـد ومن لبـد

وهذه الشهادة من الجاحظ تفيدنا فى تحقيق نسبة هذه الأبيات إلى الحسين لأنها نسبت لأبى نواس ولغيره فى مصادر أخرى[٢] .

---

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٨٠ .

(٢) نسبت الأبيات لأبى نواس فى تهذيب ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٦٣ وفى أخبار أبى نواس لأبى هفان ص ٧٥ ونسبت لتوبة بن نمر بن حرملة فى كتاب رفع الأصر ص ٣٠ (مخطوط) .

كما يروى الجاحظ فى « المحاسن والأضداد » أربعة أبيات أخرى له وهى التى تبدأ بقوله :[1]

أنا الخليـــع فقـــوموا إلى شراب الخليـــع

وإذا تساءلنا عن السبب فى عدم رواية الجاحظ لشعره فى كتبه ، أو الاستشهاد بأبيات منه فى فصول كتبه أو موضوعاتها المتفرعة ، لم نجد الجواب الشافى عن هذا السؤال ، فإذا افترضنا أن مجون الحسين وخلاعته كانت هى السبب فى ذلك لم يقنعنا هذا الجواب ، لأننا نجد فى كتب الجاحظ كثيرا من شعر المجان كأبى نواس وغيره وهم لا يقلون مجونا وخلاعة عن الحسين ، فما هو السبب إذن ؟ إننا لا نجد سببا واضحا أمامنا ، ويمكننا أن نظن أو نفترض أسبابا ولكننا لا نجد برهانا أو دليلا ندعم به ما تظنه أو نفترضه .

ويلقانا بعد ذلك « كتاب بغداد » لأحمد بن أبى الطاهر طيفور (ت ٢٨٠هـ) فنجد فيه اثنى عشر بيتا ذكرها مع الأخبار التى كتبها عن الحسين ، وهى أبيات مشهورة أوردتها مصادر كثيرة ، منها أربعة أبيات فى رثاء الأمين والتعريض بالمأمون[2] . وأربعة أخرى فى مدح المأمون لما حاول استرضاءه ونيل عفوه[3] . وأربعة أخرى قالها فى مجلس لصالح بن الرشيد ليغنى فيها عمرو ابن بانة [4] . ويبدو أن ابن طيفور اهتم برواية الخبر أكثر من اهتمامه برواية الشعر ، وأنه لم يذكر الأبيات إلا ليكمل بها ما رواه من أخبار .

ونلتقى بعد ذلك بكتاب « الكامل فى اللغة والأدب » للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) فلا نجد فيه سوى مقطوعة واحدة من ستة أبيات يمدح فيها عاصما الغسانى [5] وتبدأ بقوله :

أقول ونفسى بين شوق وحسرة وقد شخصت عينى ودمعى على خدى

---

(١) المحاسن و الأضداد ص ١٩٥ .

(٢) كتاب بغداد ص ٥٨ ، ص ٢٣٢ ،

(٣) نفسه ص ٣١٢ .

(٤) نفسه ص ٣٢٤ — ٣٢٥ .

(٥) الكامل للمبرد ص ٤٣٩ .

وقد ذكرها بعده أبو الفرج فى الأغانى رواية عن الأخفش عن المبرد نفسه وذكر معها قصتها[١]. ولكنه زاد فيها ثلاثة أبيات عما رواه المبرد فى الكامل. ويتضح من القصة أن الأبيات ليست فى مدح عاصم الغسانى كماذكر المبرد، ولكنه ذكره فيها لأنه واسطة الإصلاح بينه وبين الجارية التى ذكرها فى الأبيات متغزلا متوجعا من عذاب الهوى. وكنا نتوقع أن تكون الأبيات فى (الكامل) غير ناقصة وأن يروى خبرها الحقيقى، لأن المبرد هو مصدر روايتها الأول فى الأغانى وأولى به أن يذكرها كاملة مع خبرها فى كتابه، كما كنا نتوقع أن نجد شعرا آخر للحسين فى هذا المصدر لأنه قريب عهد به فقد عاصر المبرد الحسين زمنا غير قليل، ولكنه لم يرو له سوى هذه المقطوعة. وهنا نكرر تساؤلنا الذى ذكرناه بالنسبة للجاحظ. فالمبرد مثله لم يهتم بشعر الحسين ولم يرو فى كتابه له شعرا كثيرا كما كان ينتظر. والسبب فى ذلك غير واضح كما هو عند الجاحظ.

بعد ذلك نلتقى بطبقات الشعراء لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) فنجد فيه سبعة عشر بيتا فقط للحسين[٢] منها بيت مشهور فى مدح المأمون، وثلاثة أبيات فى قصة جبة الخز التى عرفناها، وعشرة أبيات فى المجون والغزل بالمذكر، وثلاثة فى مدح أحد الملوك، وهذه الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد فى أى مصدر آخر غير هذا المصدر. وتبدأ بقوله:

سيبقى فيك ما يهدى لسانى   إذا فنيت هدايا المهرجان

ونلاحظ أنها نسبت فى مختصر طبقات الشعراء لأبى خالد المهلبى[٣] وكذلك ثلاثة أبيات من الغزل لم ترد فى مصدر

(١) الأغانى جـ ٧ ص ٢٠٩.

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٦٩ — ٢٧١.

(٣) أنظر مختصر طبقات الشعراء ص ٢٤ ب.

آخر سوى كتاب « الزهرة » ولم تنسب فيه لقائل وقد زاد عليها بيتا رابعا[١] وتبدأ بقوله :

محب نال مكتتما منـــــــاه وأسعده الحبيب على هـــواه

ولابن المعتز كذلك كتاب « فصول التماثيل » وفيه روى خمسة أبيات للحسين فى رده على جواب الحسن بن رجاء لما دعاه إلى المنادمة[٢] . وقد عرفنا خبرها فى الفصل السابق . وتأخذنا الدهشة حين نجد فى هذا الكتاب بعض أبيات من شعر الحسين منسوبة إلى أبى نواس،وبيتا آخر منسوبا لابن المعتز نفسه مع أنه نبه إلى مشكلة انتحال شعر الحسين فى طبقاته،وسنتناول ذلك فى مكانه بالتفصيل .

ومع ابن المعتز نلتقى بأول مصدر مهم لشعر الحسين وهو كتاب « الزهرة » لأبى بكر محمد بن أبى سليمان الأصفهانى (ت ٢٩٧ ﻫ) إذ روى فيه اثنين وسبعين بيتا ، كلها مقطعات غزلية بين البيتين والستة . وأهمية هذا المصدر ترجع إلى انفراده برواية ثلاثة وثلاثين بيتا للحسين أى ما يقرب من نصف الأبيات التى رواها له . فلم ترد هذه الأبيات فى أى مصدر آخر سواه،سابق أو لاحق ، كما أن معظم الأبيات الأخرى لم يسبق ورودها فى مصدرقبله ، وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة فإننا نجد منها أربعة أبيات ذكرت منها ثلاثة فى طبقات ابن المعتز[٣] . ونلاحظ أن أبا بكر الأصفهانى ذكرها غير منسوبة إلى أحد،وهو ما أشرنا إليه منذ قليل .

وهذه المقطوعات التى انفرد كتاب الزهرة بإثباتها دون غيره ، تعد ثروة أدبية لأن ضياع ديوان الحسين جعل العثور على أبيات

---

(١) الزهرة ص ٣٧ .   (٢) فصول التماثيل ص ٧٨ .

(٣) الأبيات : طبقات الشعراء ص ٢٠٧ والزهرة ص ٣٧ .

منه أمرا غير يسير ، فما بالك بأبيات لم نجدها إلا فى مصدر واحد . ولا يفوتنا أن نشير إليها إثباتا لما قلناه ، فمنها بيتان يقول فى أولها[١] :

إن من أطول ليل أمـــــدا ليل مشتاق تصابى فـــكم

ومنها مقطوعة من خمسة أبيات يقول فى أولها[٢] :

بنفسى حبيب لا يمل التعتبا إذا زدته فى العذر زاد تعصبا

ومنها بيتان من مقطوعة له رواها من أربعة أبيات ،وهما قوله :[٣]

أباح حمى الميثاق والله بيننـــا فلم يبق للميثاق قبلا ولا بعدا
فليتك لا تجزى بما أنت أهله وإن كنت قد أشرقتنى بدمى حقدا

ومنها مقطوعة من خمسة أبيات يبدؤها بقوله [٤] :

بنفسى حبيب أم مكة مكرها يعالج مستورا من الحزن والألم

ومنها بيتان يبدؤهما بقوله [٥]

يا من شغلت بهجره ووصاله هم المنى ونسيت يوم معادى

وثلاثة أبيات يقول فى بدئها [٦] :

سقيا لزور من طيف محتجب عاتبته فى المنام فاعتـــذرا

ومقطوعة من خمسة أبيات يبدؤها بقوله [٧] :

أيا من سرورى به شقـــوة ومن صفو عيشى به أكـــدر

ومقطوعة من خمسة أبيات يبدؤها بقوله [٨] :

تذكر من غراته ما تذكـــرا وأعول أيام الشباب فأكـــثرا

---

(١) الزهرة ص ٤٠ .
(٢) الزهرة ص ١٤٥ .
(٣) الزهرة ص ١٥٤ .
(٤) الزهرة ص ١٩٦ .
(٥) الزهرة ص ٢٠١ .
(٦) الزهرة ص ٢٦٣ .
(٧) الزهرة ص ٣١٣ .
(٨) الزهرة ص ٣٤٠ .

وبيتان يقول أولها [١] :

لشتان إشفاقى عليك وقسوة أطلت بها شجو الفؤاد على العمد

وكتاب « الزهرة » هو آخر مصدر فى مصادر القرن الثالث الهجرى الذى توفى الحسين فى منتصفه، وهى فى جملتها مصادر قليلة لم تزد على خمسة : ومع أنها كانت أقرب المصادر عهدا بالحسين فإنها لم تفدنا كثيرا أو بالدرجة التى كنا نتوقعها .

ومع القرن الرابع الهجرى نلتقى بأعظم المصادر وأكثرها نفعا وعددا إذ أنها تمدنا بمعظم شعر الحسين :

نلتقى فى بداية هذا القرن بابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) الذى يمكن أن نعده ممن عاصروا الحسين ، لأن تاريخ ميلاده (٢٢٤ هـ) أى قبل وفاة الحسين بستة وعشرين عاما . وهو فى تاريخه على أى حال لا يفيدنا إلا فيما يتصل بالحوادث التاريخية والسياسية، التى قال الحسين فيها شعرا ، كحوادث بغداد التى وقعت خلال الحرب بين الأمين والمأمون ؛ من ذلك ما قاله لما اشتد القتال فى بغداد بين جيش طاهر وأنصار الأمين حتى أوحشت بغداد وخاف الناس أن تبقى خرابا ، وهى مقطوعة من خمسة أبيات يبدوءها بقوله : [٢]

أتسرع الرحلة إغـــــذاذا عن جانبى بغداد أم مـــاذا

ومنها مقطوعة من سبعة أبيات قالها فى تشجيع الأمين وتقوية أمله فى النصر بعد أن انتصر أنصاره على أصحاب طاهر فى إحدى المعارك على باب أم جعفر وهى التى يقول فى أولها [٣]

أمين الله ثـــق بـــا لله تعط الصبر والنـــصرة .

---

(١) الزهرة ص ٣٥٧ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٨٧٣ . (٣) نفسه جـ ٣ ص ٨٨٢ .

ومنها قصيدة من تسعة أبيات قالها لما وثب خزيمة بن خازم على جسر دجلة فقطعه وأنقذ بذلك أرواح الكثيرين ، ويقول فى بدئها[١] :

علينا جميعا من خزيمة منـــه   بها أخمد الرحمن ثائر ةالحرب

ويعد تاريخ الطبرى المصدر الأول والأساسى فى رواية قصائد الرثاء التى قالها الحسين فى الأمين ؛ منها قصيدة فى اثنين وعشرين بيتا يبدؤها بقوله[٢] :

يا خير أسرته وإن زعمـــوا   إنى عليك لمثبت أســـــف

وقصيدة من ثلاثة عشر بيتا انفرد بروايتها ولم ترد فى أى مصدر آخر ، وهى التى يبدؤها بقوله[٣] :

إذا ذكر الأمين نعى الأمينـا   وإن رقد الخلى حمى الجفـونا

وبيت آخر انفرد بروايته أيضا ولم يرد فى مصدر آخر ، ولم يعثر على قصيدته ، وهو قوله[٤] :

أسفا عليك سلاك أقرب قربة   منى وأحزانى عليك تزيـــد

ثم أربعة أبيات قالها الحسين فى مدح المأمون وقد ذكرناها مع غيرها فى خبر محاولته استرضاء المأمون . ويذكر الطبرى مقطوعة أخرى من سبعة أبيات يمدح الحسين فيها الأفشين قائد المعتصم ويذكر وقعته التى كانت بينه وبين ملك الروم ويبدؤها بقوله[٥] :

أثبت المعصم عـــزا لأبى   حسن أثبت من ركن إضـــم

وبذلك يكون الطبرى قد أمدنا بمجموعة كبيرة من شعر الحسين وضحت لنا الجانب السياسى فى حياته . ويصل عدد أبياتها إلى ستة وستين بيتا معظمها لم يسبق وروده فى مصادر أخرى ، بل منها ما لم يذكر فى مصادر أخرى لاحقة له . ومن ذلك نعرف مدى أهمية هذا المصدر فى إثبات شعر الحسين .

(١) نفسه جـ ٣ ص ٩٠٥ .
(٢) نفسه جـ ٣ ص ٩٤١ .
(٣) نفسه جـ ٣ ص ٩٤٢ .
(٤) نفسه جـ ٣ ص ٩٤٢ .
(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥٤ .

وبعده نلتقى بكتاب « الموشى » أو الظرف والظرفاء لمحمد بن اسحق بن يحيى الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) . وقد ذكر فى كتابه خمسة عشر بيتا للحسين فى العتاب والهجر . منها قصيدة من أحد عشر بيتا لم ترد كاملة فى مصدر غيره ، وما ذكرته المصادر الأخرى منها يتراوح بين بيتين وخمسة أبيات ليس فيها إلا بيت جديد على أبيات « الموشى » وهى القصيدة التى مطلعها[1] :

هويتكم جهدى وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد

أما المقطوعة الثانية فهى من أربعة أبيات منها بيتان لم يردا فى مصدر آخر غيره ، أما البيتان الآخران فقد وردا مع بيتين جديدين فى الزهرة[2] وهذه المقطوعة هى التى يبدؤها بقوله[3] :

نراك على الأيام تنجو مسلما ولست ترى من غدرة أبدا ابدا

وهذه الأبيات التى أوردها صاحب الموشى — على قلتها — تعد ذات أهمية لأنها أضافت جديدا إلى تراث الحسين الشعرى . وبالأخص تلك الأبيات التى انفرد بروايتها ولم يوردها مصدر آخر غيره ، وهى حوالى سبعة أبيات .

ومعاصرا للوشاء يأتى ابن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٨ هـ) فيذكر فى كتابه « العقد الفريد » أربعة أبيات فقط ، وهى أبياته المشهورة التى قالها فى مجلس المتوكل متغزلا فى خادمه شفيع[4] . وقد ذكرتها مصادر كثيرة ، ولكن لابن عبد ربه فضل السبق فى روايتها قبل غيره .

ونلتقى بعد ذلك بكتاب « أدب الكتاب » لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٥) فلا نجد فيه سوى أربعة أبيات سبق ورودها فى كتاب الزهرة كما ذكرت فى مصادر أخرى كثيرة بعد ذلك .

---

(١) الموشى ص ١١٤ ط ١٣٠٢ .
(٢) الزهرة ص ١٥٤ .
(٣) الموشى ص ١٢١ ط ١٣٠٢ .
(٤) العقد الفريد جـ ٨ ص ٩٦ ط ١٩٥٣ .

على أننا نجد فى ديوان أبى نواس المخطوط رواية الصولى ثلاثة أبيات ذكرها للحسين فى معرض حديثه عن الانتحال فى شعر أبى نواس فى مقدمة الديوان وهى بيت من قصيدته الهمزية فى الخمر ، وبيتان فى الغزل بالمذكر سبقت روايتهما فى « طبقات الشعراء » لابن المعتز . . وعلى كل فالصولى لم يأت بجديد من شعر الحسين فى كتابيه . ولم يضف إلى تراثه شيئا ذا قيمة .[١]

ونلتقى بعده بالمسعودى (ت ٣٤٥) فى كتابه « مروج الذهب » و« التنبيه والإشراف » ففى الأول لم يذكر سوى تسعة أبيات منها ثلاثة مما قاله الحسين فى نصرة الأمين[٢] وقت الحرب . وأربعة قالها فى شفيع خادم المتوكل[٣] . وبيتان قالهما فى رثاء المتوكل[٤] وهما جديدان لم يذكرا فى مصدر قبله وإن ذكرا مع غيرهما فى مصادر أخرى ولكن بدون نسبة إلى الحسين .

أما المصدر الثانى فقد ذكر فيه ثمانية أبيات منها أربعة قالها الحسين فى مدح « الأفشين » وقد سبقت روايتها فى تاريخ الطبرى . . وأربعة أخرى فى مدح المعتصم بعد فتح عمورية ، وهى أبيات جديدة انفرد المسعودى بروايتها دون غيره ، إذ أنها لم ترد فى أى مصدر آخر سابق أو لاحق ، ويبدؤها بقوله[٥] :

لم تبق من أنقرة نقـــــــرة   واجتحت عمورية الـــكبرى

ويذكر المسعودى أن هذه الأبيات من قصيدة طويلة ، وكذلك الأربعة الأولى ؛ ولكن للأسف لم نعثر على القصيدتين فى المصادر الأخرى . وعلى قلة الأبيات التى ذكرها المسعودى فى كتابيه فإنه قد أضاف جديدا إلى مجموع شعر الحسين .

---

(١) روى الصولى كذلك خمسة أبيات فى كتابه (اخبار أبى تمام) ص ٢١٤ طبعة ١٩٢٧ ونسبها لأبى نواس ولكن الآمدى رواها لحسين فى الموازنة ص ٧٢ ط سنة ١٩٤٤ .

(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٤١ ط ١٢٨٣ .

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٠٨ .   (٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٠٩ .

(٥) التنبيه والإشراف ص ١٧٠ ط ١٨٩٣ .

بعد ذلك نلتقى بأبى الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم (ت ٣٥٠) فى كتابه « أدب النديم » الذى روى فيه خمسة أبيات للحسين لم يذكرها مصدر آخر سواه، فأضاف بذلك جديدا إلى مجموع شعره، وهذه الأبيات يبدؤها بقوله [١] :

يا مدير الكاس حييت على الكاس مـــديا

ثم يأتى أبو الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) صاحب الأغانى ، الذى يعد أهم مصدر لشعر الحسين ، إذ روى له حوالى خمسمائة وعشرين بيتا منها ما يقرب من مائتى بيت انفرد بروايتها ولم يذكرها مصدر آخر سواه ، وما يقرب من مائتين وسبعين بيتا لم يسبقه مصدر آخر بروايتها ، بينما روتها مصادر أخرى جاءت بعده بعضها تتفق روايته مع رواية الأغانى وبعضها تختلف روايته فى بعض الألفاظ ، وليس بوسعنا أن نسجل هنا كل القصائد أو المقطوعات التى انفرد بروايتها أو التى سبق بها . وإنما نذكر منها أمثلة تثبت ما نقول . فمن القصائد التى رواها دون سواه قصيدته فى « يسر » التى يبدؤها بقوله : [٢]

تجاسرت على الغـــــدر كعاداتك فى الهجـــــر

وهى فى عشرة أبيات . ومثلها قصيدة أخرى فيه أيضا من أحد عشر بيتا يبدؤها بقوله [٣] :

جمشت يسرا على تسكـــــره وقد دهانى بحسن منظـــــره

ومنها قصيدته فى غلام الحسن بن سهل التى يبدؤها بقوله [٤] :

اسقيـــــانى واصرفـــــا بنت حـــولين قرقفـــــا

وهى فى أربعة عشر بيتا .

---

(١) أدب النديم ص ٣٨ ط بولاق ١٢٩٨ .

(٢) الأغانى جـ ٧ ص ٢١٧ ط دار الكتب .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٩٠ — ١٩١ .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ١٨٠ — ١٨١ .

وقصيدته فى محبوبته « فتن » وهى فى ثلاثة عشر بيتا يبدؤها بقوله[1] :

لا تلمنى على فـــــتن   إنها كاسمها فتـــــــن

وقصيدته فى مدح الواثق ووصف صيده بالقاطول، وهى فى ثلاثةعشر بيتا ، لم يرو منها فى مصادر أخرى سوى البيت الأخير . ويبدؤها بقوله[2] :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا   وخص بسقياه مناكب قصركا

هذه أمثلة من القصائد التى تزيد على عشرة أبيات . أما المقطوعات فمنها على سبيل المثال أيضا مقطوعة من ثمانية أبيات قالها فى الغزل ويبدؤها بقوله[3] :

أى ديباجـــــــة حسن   هيجت لوعـــــــة حزنى

ومقطوعةمن أربعة أبيات قالها فى « يسر » يبدؤها بقوله[4] :

بحرمة السكـــــر وما كانـــــا   عزمت أن تقتـــــل إنسانا

ومقطوعة من سبعة أبيات يطالب فيها من المعتصم أن يمنحه قطعة أرض فى مدينته الجديدة « سر من رأى » ليبنى عليها دارا كما منح غيره ، ويبدؤها بقوله[5] :

يا أمين الله لا خطة لـــــــــى   ولقد أفردت صحبى بخطـــط

ومقطوعة من سبعة أبيات له فى الغزل يبدؤها بقوله[6] :

عالم بحبيـــــــــــــــــه   مطـــــرق من تيهـــــه

---

(١) نفسه جـ ٧ ص ١٧٦ .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٥٨ — ١٥٩ .   (٣) نفسه جـ ٧ ص ١٥٢ .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .   (٥) نفسه جـ ٧ ص ٢١٠ .

(٦) نفسه جـ ٧ ص ١٨٥ .

هذه أمثلة من المقطوعات والقصائد التى انفرد الأغانى بروايتها . أما التى سبق بروايتها ثم روتها بعده مصادر أخرى . فمنها على سبيل المثال قصيدة له فى « يسر » عددها ثلاثة عشر بيتا يبدؤها بقوله[1] :

أيها النفاث فى العقد أنا مطوى على الكمد

وقصيدته فى مدح المعتصم وتهنئته بالخلافة وهى فى واحد وعشرين بيتا يبدؤها بقوله[2] :

هلا رحمت تلدد المشتاق ومننت قبل فراقه بتلاق

وكذلك قصيدته فى مدح الواثق وهى فى سبعة وعشرين بيتا لم يسبقه مصدر بروايتها إلا « الزهرة » . الذى روبت فيه الأبيات الأربعة الأولى فقط[3] . وهى التى يبدؤها بقوله[4] :

أكاتم وجدى فما ينكتم بمن لو شكوت إليه رحم

وقصيدته فى الغزل التى يبدؤها بقوله[5] :

تألفت طيف غزال الحرم فواصلنى بعدما قد حرم

وهى فى أربعة عشر بيتا :

ومن المقطوعات التى لم يسبقه أحد بروايتها ثم رواها آخرون بعده قوله فى شفيع خادم المتوكل[6] :

وأبيض فى حمر الثياب كأنه إذا ما بدا امرأينه فى شقائق

(١) الأغانى جـ ٧ ص ١٩٢ ط دار الكتب .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) الأغانى جـ ٧ ص ١٩٥ ط دار الكتب .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ١٨٢ .

(٥) نفسه جـ ٧ ص ٢٢٣ .

وهي مقطوعة فى ستة أبيات . ومقطوعة أخرى فى ستة أبيات فى الغزل يبدؤها بقوله[1] :

إن من لا أرى وليس يــرانى   نصب عينى ممثــــل بالأمانى

ومنها مقطوعة من خمسة أبيات يهنئ فيها الواثق بالخلافة ويعزيه عن موت المعتصم يبدؤها بقوله[2] :

ألم يرع الإسلام موت نصيره   بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

ومقطوعة فى ثمانية أبيات قالها فى حانة الشط وقد شرب فيها مع الواثق يبدؤها بقوله[3] :

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا   عودى بيوم سرور كالذى كانا

ونلاحظ على الأغانى أنه يكرر رواية بعض المقطوعات فى موضعين أو ثلاثة[4] وقد يكون السبب فى ذلك اختلاف خبرها أو قصتها أو ضخامة الكتاب ، وما ينتج عنها من السهو فى التكرار .

و جملة القول فى الأغانى أنه المصدر الأساسى لشعر الحسين الذى حفظ لنا منه ما يقرب من ثلاثة أخماس مجموعه الذى وصل إلينا .

ومع أبى الفرج يأتى أبو على القالى (إسماعيل بن القاسم ٣٥٦ هـ) الذى يذكر فى كتابه « الأمالى » — بيتين للحسين يبدؤهما بقوله[5] :

ما زلت أشربها والليــل معتــكر   حتى تضاحك فى أعجازه القمر

---

(١) الأغانى جـ ٧ ص ١٨٧ .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٥٦ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٤) من ذلك مثلا مقطوعته « حث صبوحى . . . » فإنها قد كررت فى صفحات ١٦٠ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ من الجزء السابع .

(٥) الأمالى جـ ٢ ص ١٧٠ ط دار الكتب سنة ١٩٢٦ .

وأهمية البيتين ترجع إلى أنهما لم يذكرا فى مصدر آخر سواه ، فقد انفرد هذا المصدر بذكرهما وأضاف بهما شيئا ولو قليلا إلى مجموع شعره »

وبعد أبى الفرج والقالى نلتقى بحمزة بن حسن الأصفهانى (ت. ٣٦٠ ﻫ) الذى جمع ديوان أبى نواس ، وروى للحسين فى مقدمته قصيدته الطويلة فى الخمر التى تبلغ أربعين بيتا ويقول فى مطلعها[1] :

بدلت من نفحات الورد بالآء　　ومن صبوحك دار الإبل والشاء

وقد رواها عن أحمد بن أبى طاهر على أن الحسين قالها معارضا بها قصيدة أبى نواس التى مطلعها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء　　ودونى بالتى كانت هى الداء

ورواية هذه القصيدة للحسين تعد كسبا جديدا وإضافة قيمة لشعره ، فأبو الفرج لم يذكر منها فى الأغانى إلا مطلعها وبيتين آخرين منها . وهى أطول قصيدة وصلت إلينا من شعره على الإطلاق . كما أن ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصفهانى هو المصدر الوحيد الذى حفظها لنا . ولذلك نعده من المصادر الهامة لشعر الحسين . ونجد فيه إلى جانب هذه القصيدة ستة أبيات أخرى للحسين ، منها خمسة فى اجتماع الشعراء وبينهم الحسين وأبونواس إذ قال كل منهم أبياتا يدعو فيها الآخرين للاجتماع عنده على الشراب واللهو[2]. وهذا الخبر مع أقوال الشعراء سبق ذكره فى « المحاسن والأضداد » للجاحظ ، وإن كانت أبيات الحسين فيه تنقص بيتا عنها فى رواية حمزة . أما البيت السادس فهو فى ذكره لخبر صلاة الشعراء وخطأ الإمام فى « قل هو الله أحد »[3] وهو أول مصدر روى هذا الخبر مع أبياته .

---

(١) هذه القصيدة فى ديوان أبى نواس طبعة آصاف ٣٩ بيتا وكذلك فى مختارات البارودى وعنهما نقلها الأستاذ عبد الستار فراج فى جمعه لشعر الحسين المسمى بأشعار الخليع . ولكنها فى ديوان أبى نواس طبعة فاجنر تزيد بيتا .

(٢) انظر ديوان أبى نواس ص ٦٠ وما بعدها ط فاجنر .

(٣) نفس المصدر ص ٦٧ ولم ينسب البيت للحسين .

ثم نلتــق بالآمدى (أبى القاسم الحسن بن بشر ت ٣٧٠ هـ) فى كتابيه « المؤتلف والمختلف » و « الموازنة بين الطائيين » . فى الكتاب الأول لا يذكر سوى بيتين[١] وترجع أهميته إلى أنه المصدر الوحيد الذى نسبهما للحسين ، فقد وردا فى مصادر أخرى دون نسبة إلى قائل[٢] أما الكتاب الثانى ففيه سبعة أبيات للحسين ، منها خمسة أبيات ذكرت فى مصادر أخرى منسوبة إلى غيره ولم ينسبها إلى الحسين سوى الآمدى . وهى مقطوعة قالها فى مغن فارسى ويبدؤها بقوله[٣] :

وصــوت لبنى الأحرا ر أهــل الســيرة الحسنى

والبيتان الآخران منفردان ، أى أن كل بيت منهما من وزن وقافيــة مختلفين عن الآخر ، أحدهما يقول فيه[٤] :

وتطمع أن يطيعك قلب سعــدى وتزعــم أن قلبك قـد عصاكا

والآخر يقول فيه[٥] :

قمــر يحمــل شمســا من رحيــق الخسروان

ويبدو أن كل بيت من هذين ينتمى إلى قصيدة . ولكن القصيدتين لم تصلا إلينا . كما أنهما لم يذكرا فى مصدر آخر غير الموازنة . وبذلك يكون الآمدى قد أضاف جديدا إلى مجموع شعر الحسين وإن كان ذلك قليلا .

وبعده نلتقى بعلى بن محمد بن العباس المعروف بأبى حيان التوحيدى (ت ٣٨٠ هـ) فى كتابه « الأدب والإنشاء » الذى ذكر فيه سبعة عشر بيتا ،

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١١٣ .

(٢) انظر تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٩ ومجالس ثعلب ص ٤٢٣ والأمالى ص ١٨٣ ط دار الكتب وذيل السمط ص ٨٥ والتحف والأنوار ص ٦٤ .

(٣) الموازنة ص ٧٢ ط سنة ١٩٤٤ .

(٤) نفسه ص ٢٨١

(٥) نفسه ص ٢٨٤ .

ولكنه لم ينسب منها للحسين سوى بيتين[1] وردا من قبل فى الأغانى . أما الأبيات الأخرى فمنها مقطوعة من ثمانية أبيات سبق ذكرها فى « الموشى » و« الأغانى » وقال أبو حيان فى تقديمها: « وأنشد ابن الأعرابى فيما روى ابن مقسم عن ثعلب » . ومطلعها[2] :

وصلتكم جهدى وزدت على جهدى ... فلم أرفيكم من يدوم على العهد

والمقطوعة الثانية من سبعة أبيات يبدؤها بقوله[3] :

أتانى عنك ما ليس ... على مكروهه صبر

وهو لم ينسبها لقائل ، ولكنها نسبت للحسين فى مصادر أخرى جاءت بعده فليس له فى روايتها إلا فضل السبق ، ولو نسبها لكان فضله أكثر .

بعده يأتى المحسن بن على التنوخى (ت ٣٨٤ ه) فيذكر فى كتابه « الفرج بعد الشدة » من شعر الحسين ما يتفق وعنوان الكتاب ؛ يذكر أربعة أبيات من قصيدته التى حاول بها استرضاء المأمون[4] كما يذكر تسعة أبيات من رثائه الأمين الذى عرض فيه بالمأمون[5] . ومع أن التنوخى ينقل الخبر والأبيات عن أبى الفرج الأصفهانى ، فإنه قد زاد عليها ثلاثة أبيات جديدة لم ترد فى الأغانى أو أى مصدر آخر قبله . ويذكر أيضا أربعة أبيات يسترضى فيها المعتصم لغضبه عليه[6] وستة أبيات فى هجاء العباس بن المأمون إرضاء للمعتصم أيضا[7] . وكل هذه الأبيات وردت فى الأغانى . ومجموع ما ذكره من شعر الحسين ثلاثة وعشرون بيتا ليس فيها جديد إلا الأبيات الثلاثة التى أشرنا إليها . وهى التى جعلت لهذا المصدر بعض الأهمية .

---

(١) الأدب والإنشاء ص ٩١ ط الجوائب سنة ١٣٠١ وانظر البيتين فى الأغانى ج ٧ ص ٢٠٥ ط دار الكتب .

(٢) الأدب والانشاء ص ٢٥ ط الجوائب سنة ١٣٠١ وانظر الأبيات فى الموشى ص ١١٤ ط سنة ١٣٠٢ .

(٣) الأدب والإنشاء ص ٩٢ .

(٤ ، ٥) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧١ — ٧٢ ط ١٩٠٣ .

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ٧٢ .

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ٧٢ .

يأتى بعد ذلك أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى (ت٣٨٨ هـ) الذى يروى فى كتابه « الديارات » مجموعة طيبة من شعر الحسين تبلغ ثلاثة وستين بيتا ، ومعظمها مقطوعات وقصائد جديدة لم يذكرها مصدر سابق له . فمنها حوالى ستة وثلاثون بيتا ، يعد الشابشتى أول من رواها فى كتابه : وقد رويت فى مصادر أخرى بعده . ومنها أيضا حوالى عشرة أبيات لم تذكر فى أى مصدر آخر سابق أو لاحق . فما سبق به قصيدة من اثنى عشر بيتا قالها فى متنزه بيارى يبدوءها بقوله[1] :

أما ناجاك بالنظر الفصيـــح وأنَّ إليـــك من قلب قريح

وقصيدة أخرى من اثنى عشر بيتا أيضا قالها فى دير سرجس ويبدوءها بقوله[2] :

أخوى حى على الصبوح صباحا هبا ولا تعدا النديم رواحـا

ومقطوعة من خمسة أبيات قالها فى « دير سابر » يبدوءها بقوله[3] :

وعواتق باشرت بين حدائق ففضضتهن وقد حسن صحاحا

ومقطوعة من أربعة أبيات قالها فى « عمر مريونان » يبدوءها بقوله[4] :

آذنك الناقـــوس بالفجـر وغـــرد الراهـب فى العمـر

ومقطوعة من سبعة أبيات قالها فى « دير مديان » ذكر منها أربعة أبيات فى الأغانى وهى التى يبدوءها بقوله[5] :

حث المـــدام فإن الكأس مترعة ممـا يهيج دواعى الشوق أحيانا

---

(١) الديارات ص ٣٨ — ٣٩ ط سنة ١٩٥١ .

(٢) نفسه ص ١٥١ وفى الأغانى منها ثلاثة أبيات جـ ٧ ص ١٦٢ .

(٣) نفسه ص ٣٥ . (٤) نفسه ص ١٦٦ .

(٥) نفسه ص ٢١ .

أما الأبيات التي انفرد بذكرها دون غيره من المصادر، فمنها مقطوعة من ستة أبيات يعتذر فيها للمتوكل ويستعفيه من خدمته أو منادمته ويبدؤها بقوله :[١]

أسلفت أسلافك فيما مضى　　من خدمتي إحدى وستينا

وهناك غير هذه المقطوعة أربعة أبيات أخرى الباقية متناثرة في القصائد السابقة .

أما المقطوعات الأخرى فكلها سبقت روايتها في الأغاني وغيره من المصادر منها مقطوعة من أربعة أبيات . في شفيع خادم المتوكل[٢] . وأربعة أبيات في مجلس صالح بن الرشيد[٣] وأربعة　دير مديان[٤] ومقطوعة من خمسة أبيات في يسر[٥] وبيتان في رثاء الأمين[٦] . وغير ذلك بيتان لم ينسبهما للحسين وهما معروفان له[٧] .

وفي كتاب « الجليس والأنيس » للمعافى بن زكريا النهرواني (ت ٣٩٠ هـ) لا يذكر سوى بيتين في سياق قصة جرة الخزاني حدثت بين الحسين وأبي نواس[٨] وهذه قد سبق ذكرها في الأغاني وطبقات الشعراء ، وإنما نذكر هذا المصدر على سبل الحصر .

وفي كتاب « الوساطة » لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) يذكر بيتين للحسين لم يذكرهما مصدر قبله ، أحدهما يقول فيه[٩] :

أما تقرأ في عيـــنيَّ　　عنـوان الذي عنـدي

ولم يذكر هذا البيت بعده إلا في معاهد التنصيص .

---

(١) الديارات ص ٣٦ .　(٢) نفسه ص ٣٨ .
(٣) نفسه ص ٣٩ .　(٤) نفسه ص ٢١ .
(٥) نفسه ص ٣٧ .　(٦) نفسه ص ٦ : .
(٧) نفسه ص ٤٣ وانظر الموشى ص ١١٤ .
(٨) الأنيس والجليس مخطوط رقم ٥٧٢ ورقة ٣٨ .
(٩) الوساطة ص ٣٩٩ ط سنة ١٩٥١ وانظر معاهد التنصيص ج ١ ص ٤٩ ط ١٦ ١٣ .

والبيت الآخر يقول فيه[1] :

وجدت ألذ العيش فيما بلوته ترقب مشتاق زيارة شائق

وقد ذكر بعده فى «التبيان» للعكبرى ، وشرح ديوان أبى الطيب الواحدى :

وبعده يأتى أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) فيذكر فى كتابه «ديوان المعانى» أحد عشر بيتا للحسين منها بيت جديد لم يسبق وروده فى مصدر آخر وهو قوله[2] :

أتبعت سكرا بسكر وابتعت خمرا بعمر

وقد ذكر هذا البيت بعد ذلك فى «محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهانى .

وذكر أبو هلال بيتا آخر جديدا ضمن خمسة أبيات للحسين فى مدح المأمون ومع أن هذه الأبيات ذكرت فى مصادر كثيرة سابقة ولاحقة ، فإن هذا البيت لم يذكره أحد سواه ، وهو قوله[3] :

فمالى شفيع عند حسنك غيره ولا سبب إلا التمسك بالود

وبهذين البيتين يعد العسكرى ممن أضافوا جديدا إلى مجموع شعر الحسين. أما بقية الأبيات التى ذكرها فقد سبق ورودها فى الأغانى وغيره ، وهى ثلاثة أبيات فى قصة جبة الخز[4] وبيتان من مقطوعة غزلية[5].

---

(١) الوساطة ص ٣٩٤ وانظر التبيان ج٢ ص ٣٠٢ وشرح ديوان أبى الطيب الواحدى ص ٤٩٨ .

(٢) ديوان المعانى ح ١ ص ٢٠٢ ط سنة ١٣٥٢ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٠٦ وانظر الأبيات فى الأغانى ج ٧ ص ١٦٥ والفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧١ ونهاية الأرب ج ٣ ص ٢٥٦ ط سنة ١٩٣٠ ومسالك الابصار (مخطوط) ج ٩ ص ٢٩٣ وعيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ حوادث سنة ٢١٨ فهذه المصادر هى التى ذكرت الأبيات كاملة.

(٤) ديوان المعانى ج ٢ ص ٢٢٥ . (٥) نفسه ج ١ ص ٢٧٣ .

وفى كتابه الصناعتين يذكر أبو هلال بيتين ، ولكنه لا يؤكد نسبتهما للحسين لأنه يقدم لهما بقوله وقال العباس بن الأحنف أو الخليع وأولهما قوله[١] :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

وقد ورد هذان البيتان مع بيت ثالث فى ديوان العباس بن الأحنف[٢] ولهذا لا يمكننا التأكد من نسبتهما للحسين .

ويبدأ القرن الخامس الهجرى فتقل المصادر التى تروى شعر الحسين ، ولا نكاد نجد فيه نصف عدد المصادر التى وجدناها فى القرن الرابع ، ويمر الربع الأول منه دون أن نصادف أحدا حتى نلتقى بالإمام أبى منصور الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) الذى لا يذكر فى كتبه سوى ثمانية أبيات نسبها للحسين فى كتابه « أحسن ما سمعت » . ولم ينسبها له فى كتابه « المنتحل » وإنما قال فى تقديمه لها « قال محمود ويروى لغيره »[٣] وهذه ذكرت من قبل فى « الأدب والإنشاء » دون أن تنسب أيضا . فالثعالبى هو أول من نسبها للحسين . ولكننا لا ندرى السبب فى عدم تأكيد نسبتها مرة أخرى فى كتابه الآخر . وهذه الأبيات هى التى تبدأ بقوله[٤] :

أتانى عنك ما ليس على مكروهه صبر

---

(١) الصناعتين ص ٢٨٨ ط سنة ١٩٥٢ .

(٢) انظر الأبيات فى ديوان العباس بن الأحنف .

(٣) المنتحل ص ١٢٨ ط التجارية سنة ١٩٠١ .

(٤) أحسن ما سمعت ص ١٥٣ — ١٥٤ ط سنة ١٣٢٤ وانظر الأدب والانشاء ص ٢٩ ط سنة ١٣٠١ .

ويذكر الثعالبي أربعة أبيات أخرى فى كتابه «رسائل منتخبة» أو «منتخبات الكتابة» ولكنه ينسبها لسعيد بن حميد . وقد نسبت للحسين من قبل فى الأغانى وهى التى تبدأ بقوله[1] :

ألست ترى ديمة تهطل وهذا صباحك مستقبل

كما يذكر بيتين آخرين فى كتابه «من غاب عنه المطرب» ولم ينسبهما لأحد ، وقد نسبا للحسين فى مصادر أخرى جاءت بعده . وأولهما قوله[2] :

الخمر تفاح غدا ذائبا كذلك التفاح خمر جمد

فالثعالبي لم يفدنا كثيرا على كثرة كتبه . ولم يقدم لنا إلا تلك الأبيات الثمانية منسوبة مرة للحسين وأخرى لغيره . وكنا نتوقع أن نجد فى كتابه يتيمة الدهر[3] شعرا للحسين ولكن خاب ظننا إذ لم يذكر له فيه بيتا واحدا ؛ كما لم يذكر شيئا من شعره مع ترجمته التى كتبها فى «المنتحل» .

ثم نلتقى بعده بأبى سعيد محمد بن أحمد العميدى (ت ٤٣٣ هـ) فى كتابه «الإبانة عن سرقات المتنبى» الذى يروى فيه للحسين سبعة أبيات جديدة لم يسبق ذكر أى بيت منها فى مصدر آخر . ومنها بيتان ذكرا فى مصادر أخرى لاحقة ويبدؤها بقوله[4] :

صل بخدى خديك تلق عجيبا من معان يحار فيها الضمير

أما الأبيات الخمسة الأخرى فلم ترد فى مصدر آخر سابق أو لاحق ، وحتى كتاب «أشعار الخليع» الذى جمع فيه الأستاذ عبد الستار فراج شعر الحسين لم يذكر فيه هذه الأبيات . ويبدو أنه لم يرجع إلى هذا المصدر لأنه لم يشر إليه فى مصادر البيتين السابقين[5] .

---

(١) رسائل منتخبة ص ١٩٤ ط سنة ١٣٠١ وانظر الأبيات فى الأغانى جـ ٧ ص ١٧٩

(٢) من غاب عنه المطرب ص ٤٤ ط بيروت سنة ١٣٠٩ .

(٣) أشار الأستاذ عبد الستار فراج فى أشعار الخليع ص ٨٧ إلى ورود الأبيات التى تبدأ بقوله : وشاطرى اللسان مختلق التكريه شاب المجون فى يتيمة الدهر جـ ١ ص ١٢٩ ولكنى لم أعثر عليها فى أى جزء من اليتيمة .

(٤) الإبانة عن سرقات المتنبى ص ١٨٤ ط دار المعارف سنة ١٩٦١

(٥) انظر أشعار الخليع ص ٥٨ ط دار الثقافة ببيروت .

ومن الأبيات بيتان يقدم لهما العميدى بقوله : « وقال الخليع الأكبر » وهما[1] :

تعود البذل والإنعام فى صغر	فليس ينفك فى جود وأفضال
وجاد بالمال حتى قال سائله	كأنه ليس يدرى قيمة المـال

وبيت آخر ينسبه أيضا إلى الخليع الأكبر وهو[2] :

وخير بلاد الله عندى بـلدة	أنال بها عزا وأحوى بها حمدا

ولا شك أنه يقصد بالخليع الأكبر الحسين بن الضحاك ، وإن كان قد أضاف إلى لقبه صفة الأكبر . وليس بين الخلعاء الذين ذكرهم المرزبانى فى معجم الشعراء[3] من يوصف أو يسمى بالأكبر . والدليل على أن العميدى يقصد به الحسين أنه لم يترجم لأحد من الخلعاء فى كتابه سوى الحسين فهو فى نظره أكبرهم وأجدرهم بأن يترجم له .

أما البيتان الباقيان فإنه يذكر قبلهما بيتا للمتنبى ثم يشير إلى أنه أخـذه من قول الخليع دون أن يصفه بالأكبر وهما[4] :

أغنيت من هـو سائل لك ثم قـد	أصبحت تسأل أين من لم يسأل
إن قيل مات هواه لم يجمـل بـه	أو قيل مات من الهوى لم يجمـل

ولعل العميدى لا يلزم نفسه بذكر هذه الصفة فى كل مرة .

هذه الأبيات التى انفرد العميدى بذكرها فى كتابه مع البيتين اللذين سبق بذكرهما المصادر الأخرى ، جعلت كتابه من المصادر المهمة التى أضافت جديدا إلى مجموع شعر الحسين على الرغم من قلة عددها .

---

(١) الإبانة عن سرقات المتنبى ص ٦٣ ط سنة ١٩٦١

(٢) نفسه ص ٧٨ .

(٣) انظر معجم الشعراء ومعه المؤتلف والمختلف ص ١١٣ — ١١٤ ، ٤٥٢ لتعرف من لقبوا بلقب الخليع .

(٤) الإبانة ص ٢١٦ .

وفى كتاب (أمالى المرتضى) وهو الشريف أبو القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسين (ت ٤٣٦ هـ) نجد خمسة أبيات للحسين[١] سبق ذكرها فى كتاب (الزهرة) وبيتين لم ينسبهما[٢] وقد سبق ورودهما فى المؤتلف والمختلف منسوبَين للحسين فهو مصدر قليل الأهمية لم يضف جديدا .

وفى كتاب العمدة لأبى الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) لا نجد سوى أربعة أبيات للحسين ، ليس فيها جديد غير بيت واحد هو قوله[٣] :

لقـد ملأت عينى بغـر محـاسن　　　مـلأن فـؤادى لوعـة وهموما

وهو بيت لم يذكر الأستاذ عبد الستار فراج هذا المصدر من بين مصادره[٤] .

أما الأبيات الثلاثة الأخرى فمنها بيتان فى الغزل بالمذكر[٥] ذكرا من قبل فى الأغانى وطبقات الشعراء . وبيت فى قصة صلاة الشعراء[٦] ذكر من قبل فى ديوانى أبى نواس فأهمية كتاب العمدة ترجع إلى البيت الجديد الذى ذكره فحسب .

وبعد أكثر من ثلاثين عاما يأتى أبو عبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ) فيذكر فى كتابه « معجم ما استعجم » . تسعة عشر بيتا لم يذكر منها فى مصادر سابقة إلا ثلاثة أبيات قالها فى دير مران[٧] وثلاثة أبيات قالها فى

---

(١) انظر أمالى المرتضى جـ ٣ ص ١٣٣ ط سنة ١٩٠٧ والزهرة ص ١٦٦ .

(٢) انظر أمالى المرتضى جـ ٢ ص ١١٤ والمؤتلف والمختلف ص ١١٣ .

(٣) العمدة جـ ١ ص ٣٣٤ ط سنة ١٩٦٣ .

(٤) انظر أشعار الخليع ص ١٠٧ .

(٥) العمدة جـ ٢ ص ١٨١ ط سنة ١٩٦٣ وانظر البيتين فى طبقات الشعراء ص ٢٧٠ والأغانى جـ ٧ ص ١٥٥ .

(٦) العمدة جـ ٢ ص ٩٢ وانظر ديوان أبى نواس ص ٤١ ط آصاف وديوان مسلم ص ٢٧١ ط ليدن .

(٧) معجم ما استعجم ص ٦٠٢ ط سنة ١٩٤٧ تحقيق الأستاذ مصطفى السقا .

عمر مريونان[١] أما الأبيات الأخرى فنها مقطوعة من ستة أبيات قالها فى عمر نصر بسامراء ، وتبدأ بقوله[٢] :

ياعمر نصر لقد هيجت ساكنة   هاجت بلابل صب بعد إقصار

وهى مقطوعة جديدة لم يذكرها مصدر قبله . وذكرت بعده فى « معجم البلدان » ومنها سبعة أبيات فى قصيدة قالها أيضا فى عمر نصر تبلغ عشرة أبيات ، وقد ذكرنا أن الأبيات الثلاثة الأولى منها هى التى ذكرها الشابشتى فى عمر مريونان وتبدأ بقوله[٣] :

آذنك النـاقوس بالفجـــر   وغـرد الراهب فى العمـر

ويلاحظ أن الأستاذ عبد الستار فراج لم يرجع إلى معجم البكرى فى جمعه لشعر الحسين ، لأنه لم يشر اليه فى أية مقطوعة أو قصيدة . كما أنه لم يذكر قصيدته هذه كاملة كما ذكرها البكرى ، وإنما اكتفى بذكر أربعة أبيات منها نقلا عن الشابشتى وياقوت ، علما بأن البيت الرابع لم يذكره البكرى : وقد ذكر بقية القصيدة فى الهامش نقلا عن ديوان أبى نواس الذى نسبت القصيدة إليه[٤] ولو رجع إلى « معجم ما استعجم » . لوجدها منسوبة إلى الحسين ولأثبتها ضمن شعره اعتمادا عليه .

ومن ذلك نرى مدى أهمية هذا المصدر الذى أضاف ثلاثة عشر بيتا جديدا إلى مجموع شعر الحسين منها سبعة أبيات لم يذكرها مصدر آخر سواه ، فأثبت بها قصيدة له كانت شبه مفقودة أو مشكوكا فى نسبتها إليه .

---

(١) نفسه ص ١٠٩١ .   (٢) نفسه ص ١٠٩٠ .

(٣) نفسه ص ١٠٩١ .

(٤) انظر أشعار الخليع ص ٦١ والديارات ص ١٦٦ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٧٠١ والبيزج وديوان أبى نواس ص ٨٢ سنة ١٩٥٣ تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى ويلاحظ أن فى القصيدة المنسوبة لأبى نواس بيتين جديدين لم يذكرا فى قصيدة الحسين كما أن فى معجم ما استعجم ، بيتا جديدا لم يذكر فى ديوان أبى نواس وبيتا برواية مختلفة .

وللبكرى كذلك كتابه « سمط اللآلى » الذى ذكر فيه أربعة أبيات[١] للحسين سبق ذكرها فى الحيوان للجاحظ . وهو وإن لم يضف بها جديدا فإنه قد زاد فى تأكيد نسبتها له ،إذ أنها تروى فى مصادر أخرى لأبى نواس ولغيره .

ومع البكرى يأتى أبو إسحاق الحصرى القيروانى الذى توفى بعده بعام واحد (ت ٤٨٨ ه) فيذكر فى كتابه « زهر الآداب » خمسة عشر بيتا للحسين ،ليس بينها جديد سوى بيتين لم يذكرا فى أى مصدر آخر قبله أو بعده . ويبدؤهما بقوله[٢] :

وماذا يفيدك طيف الخيـــا ل والهجر حظك ممـن تحب

أما الأبيات الأخرى فقد وردت كلها من قبل فى الأغانى وغيره : وهى : مقطوعتان مشهورتان فى شفيع خادم المتوكل، كل واحدة من أربعة أبيات[٣] ومقطوعة من ثلاثة أبيات فى مجلس صالح بن الرشيد[٤] وبيتان مشهوران فى الغزل بالمذكر[٥] .

وغير ذلك يوجد بيتان[٦] نسبا للحسين خطأ مع أنهما مشهوران للمتنبى : وقد نقلهما عنه الأستاذ عبد الستار فراج فى أشعار الخليع[٧] فوقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه القيروانى . كما أن الحصرى نسب بيتين آخرين لمحمد ابن يزيد الأموى[٨] وقد وردا فى مصادر كثيرة منسوبين للحسين ضمن مقطوعة من أربعة أبيات[٩] .

---

(١) سمط اللآلى ط سنة ١٩٣٦ تحقيق الميمنى وانظر الأبيات فى الحيوان الجاحظ ج ٥ ص ٤٨٠ ط الحلبى تحقيق هارون .

(٢) زهر الآداب ج ٣ ص ١٢١ ط سنة ١٩٢٥ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢١١ — ٢١٢ وانظر الأبيات فى الأغانى ج ٧ ص ١٧١ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٢١ والأغانى ج ٧ ص ١٦٨ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ١١٤ والأغانى ج ٧ ص ١٥٥ .

(٦) نفسه ج ٣ ص ١٦٣ وانظر البيتين فى ديوان المتنبى وأولها قوله :

بأبى من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

(٧) أشعار الخليع ص ٧٦ .

(٨) زهر الآداب ج ١ ص ٨٥ .

(٩) انظر الأبيات فى الأغانى ج ٧ ص ١٧٤ ومعجم الأدباء ج ١ ص ١٥ — ١٦ .

وهكذا نرى أن أهمية هذا المصدر ترجع إلى البيتين الجديدين اللذين انفرد بذكرهما فأضاف بذلك جديدا إلى مجموع شعره .

ومن أعلام القرن الخامس الهجرى إبراهيم بن محمد البيهقى صاحب « المحاسن والمساوئ » الذى روى فيه مقطوعتين للحسين لم يذكرهما مصدر آخر قبله أو بعده إحداهما من ستة أبيات تبدأ بقوله[١] :

كم لك لما احتمل القطين من زفرة يتبعها الأنين

والثانية من ثلاثة أبيات تبدأ بقوله[٢] :

أطيب الطيبات أمر ونهى لا يردان فى الأمور الجسام

وانفراد البيهقى برواية هذه الأبيات يجعل كتابه من المصادر الهامة لشعر الحسين، لأنه أضاف بها جديدا إلى مجموع شعره، وخاصة بعد وفاته بقرنين أو يزيد .

وهو يذكر غير ذلك بيتين للحسين[٣] أحدهما فى هجاء المأمون والآخر فى مدحه ، وقد سبق ذكرهما فى مصادر متعددة .

وفى نهاية القرن الخامس نلتقى « بمحاضرات الأدباء » للراغب الأصبهانى (ت ٥٠٠ هـ) الذى يذكر فى كتابه ثمانية أبيات . منهما بيتان جديدان لم يذكرا فى مصدر آخر سواه ويبدؤهما بقوله[٤] :

غزال ما اجتلاه الطرف إلا تحير فى ملاحة وجنتيه

---

(١) المحاسن والمساوئ جـ ٢ ص ٩١ ط سنة ١٩٠٦ .

(٢) نفسه جـ ١ ص ٢١٢ . (٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٩٢ .

(٤) محاضرات الأدباء جـ ٢ ص ٢٠ ط سنة ١٣٢٦ .

أما الأبيات الستة الأخرى ، فمنها مقطوعة من أربعة أبيات[١] قالها لما عربد عليه إبراهيم بن المهدى، وقد وردت فى الأغانى وغيره . وبيت فى المجون[٢] وآخر فى الغزل بالمذكر[٣]. وهذا البيت لم يذكره الأستاذ فراج فى « أشعار الخليع » وقد ورد البيتان أيضا فى مصادر سابقة .

وترجع أهمية هذا المصدر إلى البيتين الجديدين اللذين انفرد بذكرهما فأضاف بهما جديدا إلى مجموع شعره .

وفى القرن السادس الهجرى لا نجد غير مصدر واحد هو « التاريخ الكبير » أو تاريخ ابن عساكر لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ) الذى ذكر فيه ثلاثة وثلاثين بيتا للحسين منها ثمانية أبيات جديدة لم تذكر فى مصدر آخر سواه . وهى مقطوعتان كل واحدة من أربعة أبيات تبدأ إحداهما بقوله[٤] :

وأحور محسود على حسن وجهه ... يزيد تماما حين يبدو على البدر

وتبدأ الأخرى بقوله[٥] :

ومسترق للحظ لم يظهر الجوى ... يريد يناجينى فيمنعه الخجل

أما الأبيات الأخرى فقد وردت كلها فى مصادر سابقة وهى : مقطوعة من أربعة أبيات فى دير مران[٦] . وأربعة فى مدح المأمون[٧]، وخمسة فى وصف ليلة ماجنة[٨] وأربعة فى مقحم غلام ابن شغوف[٩] وخمسة دعوة الشعراء[١٠] للاجتماع فى داره للهو والمجون . وبيتان فى قصة جبة الخز[١١] وبيت فى قصة صلاة الشعراء[١٢].

وهذا المصدر يعد من المصادر المهمة لشعر الحسين لأنه أضاف ثمانية أبيات جديدة إلى مجموع شعره ، بل إنه انفرد بذكرها دون المصادر الأخرى رغم تأخره عن الحسين بما يزيد على قرنين من الزمن .

---

(١) نفسه جـ ١ ص ٣٢٢ .

(٢) نفسه جـ ١ ص ٣٢٥ وانظر البيت فى ديوان المعانى جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٣) نفسه جـ ١ ص ٣٢٧ .

(٤) تاريخ ابن عساكر جـ ٤ ص ٣٠٠ . (٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) ، (١٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٩٧ — ٣٠١ .

ويأتى القرن السابع الهجرى فنلتقى بسبعة مصادر أولها « بدائع البدائة » لعلى ابن ظافر الأزدى (ت ٦١٣ هـ) الذى ذكر فى كتابه ستة أبيات من شعر الحسين تتفق مع عنوانه ، فنها مقطوعة من أربعة أبيات قالها فى شفيع خادم المتوكل[١]. وبيت أجاز به بيتا لأبى العتاهية حين وجد باكية تبكى على مقبرة[٢]، وبيت فى صلاة الشعراء[٣]. وكل هذه الأبيات سبق ورودها فى مصادر متعددة .

وبعده يأتى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشى (ت ٦١٩هـ) فيذكر فى كتابه « شرح المقامات الحريرية » حوالى سبعين بيتا للحسين ، كلها مما سبق ذكره فى الأغانى وغيره من المصادر ، عدا بيتين قالهما فى هجاء رجل اسمه سابور ويبدؤهما بقوله[٤] :

سابور ويحـــك ما أخسك   بـــل أخصـــك بالعيوب

فلم يذكر أى مصدر آخر هذين البيتين من قبل ، بينما ذكر منهما البيت الثانى فى « طرار المجالس » بعد ذلك .

أما الأبيات الأخرى فعظمها مقطوعات فى الخمر والمجون والغزل . منها أربعة أبيات كتبها إلى الفتح بن خاقان[٥] يدعوه إلى مجلس الشراب بعد برئه من مرضه على لسان الواثق ، وخمسة أبيات قالها فى مجلس الحسن بن سهل يتغزل فى غلامه[٦] ويطلب عقد مجلس الشراب ، وثلاثة أبيات ثم خمسة اخرى متغزلا فى الغلام أيضا[٧] و بيتان يحكى فيهما ما كان بينهما[٨] وأربعة

---

(١) بدائع البدائه ص ١٩٢ ط سنة ١٢٧٨ .
(٢) نفسه ص ٨٣ على هامش معاهد التنصيص ط سنة ١٣١٦ .
(٣) نفسه ص ١٢٣ ط سنة ١٢٧٨ .
(٤) شرح المقامات الحريرية جـ ٢ ص ١٤٠ ط سنة ١٢٨٤ .
(٥) نفسه جـ ٢ ص ٤٢١ .   (٦) نفسه جـ ٢ ص ٤٢١ .
(٧) نفسه جـ ٢ ص ٤٢١ — ٤٢٢ .   (٨) نفسه جـ ٢ ص ٤٢٢ .

أبيات يحكى فيها ما حدث فى ليلته[١] وكل هذه المقطوعات ، ذكرت فى الأغانى ولكن بصورة أوسع ، فثلاثة منها رواها أبو الفرج قصائد تزيد على عشرة أبيات ، والرابعة مقطوعة من ستة أبيات ذكر منها هنا ثلاثة : فكأنه يحاول اختصار رواية الأغانى . وغير ذلك يذكر ثلاثة أبيات مشهورة فى مدح المأمون[٢] وأربعة مشهورة كذلك فى شفيع غلام المتوكل[٣] وأربعة فى استرضاء جارية للواثق[٤] وأربعة فى الغزل كان المتوكل ينشدها معجبا بها[٥]. وبيتا فى الغزل[٦] ذكره على أن فيه حسن ترديد ، وكل هذه المقطوعات وردت فى الأغانى وغيره من المصادر السابقة كما عرفنا .

فهذا المصدر لا يفيدنا كثيرا لأنه لم يأت بجديد غير بيتين .

ويأتى ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ) بكتابيه « معجم الأدباء » « ومعجم البلدان » فيذكر فى أولها تسعة وتسعين بيتا للحسين ، ليس بينها جديد سوى بيتين فى الخمر والمجون يبدؤهما بقوله[٧] :

ألا إنما الدنيا وصال حبيب وأخذك من مشمولة بنصيب

فلم يذكرهما مصدر سابق وإنما ذكرا بعد ذلك مع بيتين آخرين فى « نهاية الأرب » أما الأبيات الأخرى فقدذكرت فى الأغانى وغيره ، وهى تشمل قصيدته فى مدح المعتصم[٨] وقصيدته فى مدح الواثق[٩] وهما طويلتان تبلغ الأولى واحدا وعشرين بيتا والثانية خمسة وعشرين بيتا . ثم مقطوعة من تسعة أبيات فى مدح الحسن بن سهل[١٠] ، ومقطوعتان فى مدح المنتصر[١١] كل واحدة من أربعة أبيات ، ومقطوعة فى استرضاء المعتصم[١٢] من أربعة أبيات ، وستة أبيات قالها وقد عمر[١٣] ومقطوعة من ثمانية ابيات فى الغزل

---

(١) نفسه جـ ٢ ص ٤٢٢ . (٢) نفسه جـ ٢ ص ٤٢٢ — ٤٢٣ .
(٣) نفسه جـ ٢ ص ١٦٤ . (٤) نفسه جـ ٢ ص ١٨٢ .
(٥) نفسه جـ ٢ ص ٤٠١ . (٦) نفسه جـ ١ ص ٤١٩ .
(٧) معجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٦ ط وزارة المعارف وانظر نهاية الأرب جـ ٤ ص ١١٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٣٠ .
(٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٨ — ٢٢ .
(١٣) نفسه جـ ١٠ ص ١٤ — ١٥ .

بالمذكر[١] وأخرى من خمسة أبيات فى الساقى[٢]، وثلاثة أبيات فى نفس الفرض وأربعة أخرى كذلك[٣] وبيتان فى رثاء الأمين[٤] وبيتان قالها على لسان أحد الندماء[٥]. وكل ذلك مما سبق ذكره فى الأغانى وغيره من المصادر .

أما « معجم البلدان » فهو مصدر أكثر أهمية من معجم الأدباء، وإن كان ما ذكره من أبيات أقل عددا . وذلك لأن فيما ذكره جديدا . فجموع ما ذكره من شعر للحسين أربعة وخمسون بيتا، بينها خمسة عشر بيتا جديدا، منها ثلاثة عشر بيتا لم تذكر فى مصدر آخر سواه، وهى مقطوعتان فى تفضيل مدينة سر من رأى على بغداد كل واحدة من خمسة أبيات تبدأ الأولى بقوله[٦]:

سر من را أسر من بغداد قاله عن بعض ذكرها المعتاد

وتبدأ الثانية بقوله[٧]:

على سر من را والمصيف تحية مجللة من مغرم بهواهما

وغير ذلك نجد بيتين جديدين فى المقطوعة التى ذكرها للحسين فى عمر نصر[٨] لأنها من ثمانية أبيات ذكر منها البكرى ستة أبيات فقط فى معجم ما استعجم . وكذلك بيت فى القصيدة التى قالها فى دير سابر[٩] لم يذكر فى مصدر آخر وهو البيت السابع، وفيها بيتان آخران ذكرا بعده فى مسالك الأبصار ونهاية الأرب .

---

(١) نفسه ج ١٠ ص ٢٢ .

(٢) نفسه ج ١٠ ص ١٣ .

(٣) نفسه ج ١٠ ص ١٥ — ١٦ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٧ .

(٥) نفسه ج ٣ ص ٣٤٦ .

(٦) معجم البلدان ص ٣ ص ١٧٦ ط بيروت .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) معجم البلدان ج ٣ ص ٧٢٥ وانظر معجم ما استعجم ص ١٠٩٠ ط سنة ١٩٤٧ .

(٩) معجم البلدان ج ٢ ص ٥١٣ — ٥١٤ وانظر مسالك الأبصار (مخطوط) ج ٩ ص ٢٩٢ ونهاية الأرب ٤ ج ٢ ص ١١١ ط سنة ١٩٣٠ .

أما الأبيات الأخرى فمنها أربعة أبيات فى متنزه بارى[١] واثنا عشر بيتا فى دير سرجس[٢] وسبعة فى دير مديان[٣] وأربعة فى عمر ماريونان[٤] وبيت فى بلدة « البذ »[٥] ، هذا عدا المقطوعتين اللتين أشرنا إليهما عن دير سابر وعمر نصر : وكلها سبق ذكرها فى الديارات وبعضها فى الأغانى ومعجم ما استعجم والطبرى والتنبيه والإشراف ، كما ذكرنا من قبل فى حديثنا عن هذه المصادر :

من هذا ترى أن معجم البلدان أهم مصدر لشعر الحسين فيما يتعلق بذكر الأماكن ، ومع أن ياقوتا متأخر عن الحسين بما يقرب من أربعة قرون فإنه قد ذكر له شعرا لم يذكر فى مصدر آخر قبله ، وهذا يدل على أن شعر الحسين كان ما يزال متداولا فى ذلك الوقت أو أن ديوانه كان موجودا بين أيدى علماء العربية ودارسيها .

وعلى العموم فإن ياقوت الحموى هو أفضل من كتب عن الحسين وشعره فى القرن السابع الهجرى ، ثم إنه جمع فى كتابيه أكبر عدد من أبيات شعر الحسين بعد أبى الفرج .

وبعد ياقوت يأتى ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) صاحب كتاب « الكامل فى التاريخ » فيذكر للحسين خمسة وثلاثين بيتا كلها مما سبق ذكره فى مصادر أخرى كالطبرى[٦] والفرج بعد الشدة والأغانى ، منها قصيدته القافية فى رثاء الأمين من تسعة عشر بيتا ينقص بيتين عنها فى الطبرى ، ومنها ستة أبيات أخرى فى رثائه كذلك[٧] وردت فى الفرج بعد الشدة ووردت منها ثلاثة أبيات فى الأغانى ، ومنها خمسة أبيات فى قطع خزينة

(١) معجم البلدان جـ ١ ص ٣٢١ ط بيروت .

(٢) نفسه جـ ٢ ص ٥١٤ .
(٣) نفسه جـ ٢ ص ٥٢٣ .

(٤) نفسه جـ ٢ ص ٥٣٧ .
(٥) نفسه جـ ١ مادة (بذ)

(٦) الكامل فى التاريخ جـ ٦ ص ١١٨ ط أولى سنة ١٣٠١ ، جـ ٦ ص ٢٠٤ ط ليدن .

(٧) نفسه جـ ٦ ص ١١٩ ط أولى ، جـ ٦ ص ٢٠٤ ط ليدن .

الجسر[١] أثناء فتح بغداد وهى فى الطبرى تسعة أبيات ومنها خمسة أبيات فى وصف حال بغداد[٢] وقت الحرب وقد وردت أيضا فى الطبرى .

من ذلك نرى أن هذا المصدر لم يأت بجديد يمكن إضافته إلى مجموع الشعر ، فلا أهمية له إلا فى ناحية توثيق الأبيات فحسب .

وفى مخطوط « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » . لشمس الدين أبى المظفر يوسف المعروف بسبط بن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ) يذكر سبعة أبيات للحسين من قصيدته الفائية فى رثاء الأمين[٣] وقد ذكرت فى مصادر كثيرة كما عرفنا ، فهو مصدر قليل الأهمية نذكره على سبيل الحصر .

وفى « شرح المضنون » لعز الدين أبى المعالى المعروف بالعزى ت (٦٥٥هـ) يذكر بيتا واحداً[٤] من قصيدة له فى مدح الواثق وردت كاملة فى الأغانى ونذكره أيضا على سبيل الحصر .

وفى « وفيات الأعيان » لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ثلاثة عشر بيتاً[٥] للحسين مع ترجمته ، اختارها من مشهور شعره فى الغزل والمجون ، وكلها سبق ذكره فى المصادر التى قابلتنا فأهميته قليلة كمصدر لشعر الحسين .

ونختم مصادر هذا القرن بكتاب « عنوان المرقصات والمطربات » لنور الدين على بن موسى بن عبد الملك (ت ٦٨٥ هـ) الذى يذكر ثلاثة أبيات للحسين[٦] من مقطوعته المشهورة فى شفيع خادم المتوكل ، وقد مر ذكرها علينا فى كثير من المصادر . وإنما نذكر هذا المصدر أيضا على سبيل الحصر .

---

(١) نفسه جـ ٦ ص ١١٣ ط أولى ، جـ ٦ ص ١٩٤ ط ليدن .
(٢) نفسه جـ ٦ ص ٩٨ ط أولى ، جـ ٦ ص ١٨٩ ط ليدن .
(٣) مرآة الزمان (مخطوط) رقم ٥٥١ مجلد ٦ ص ٥٢ .
(٤) شرح المضنون ص ١٧٤ ط سنة ١٩١٥ .
(٥) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٩٣ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .
(٦) عنوان المرقصات ص ٣٥ ط سنة ١٢٨٩ .

ويأتى القرن الثامن الهجرى فنلتقى فيه بسبعة مصادر : أولها « نثار الأزهار » لابن منظور جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجي ، (ت ٧١١ هـ) الذى ذكر فى كتابه مقطوعة للحسين من أربعة أبيات تبدأ بقوله[١] :

أدر الكأس علينــــــــا أيها الساقى لنطـــــــــرب

وقيمة هذه المقطوعة فى أنها جديدة ، بل إنها لم تذكر فى مصدر أخر سواه ولهذا نعده مصدراً هاما إذ أضاف جديداً إلى مجموع شعر الحسين على تأخره عن زمنه بما يزيد عن أربعة قرون ونصف .

والمصدر الثانى لابن منظور أيضا وهو « أخبار أبى نواس » ولكنه قليل الأهمية، إذ لم يأت فيه بجديد، ولم يذكر إلا الأبيات الخمسة التى قالها الحسين فى دعوة الشعراء لعقد مجلس اللهو فى داره [٢] وقد سبق ذكرها فى عدة مصادر كما عرفنا ، وغير ذلك فإنه ينسب لأبى نواس مقطوعة[٣] معروفة للحسين قالها لما عربد عليه إبراهيم من المهدى .

بعد ذلك يأتى أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت٧٣٣هـ) الذى يذكر فى كتابه « نهاية الأرب » أربعة عشر بيتا للحسين ، بينها بيتان جديدان فى مقطوعة من أربعة أبيات سبق أن ذكر ياقوت منها بيتين ، وهى التى تبدأ بقوله[٤] .

ألا إنما الدنيا وصال حبيب وأخذك من مشمولة بنصيب

---

(١) نثار الأزهار ص ١١٢ ط الجوائب سنة ١٢٩٨ —

(٢) أخبار أبى نواس ص ١٣٠ طبع مصر ١٩٢٤ .

(٣) نفسه ص ١ ص ٢١٨ .

(٤) نهاية الأرب جـ ٤ ص ١١٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٣٠ وانظر معجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٩ .

أما الأبيات الأخرى فمنها خمسة فى مدح المأمون[١] وبيت فى هجائه[٢] وبيت فى الخمر[٣] وبيتان فى المجون[٤] وبيت من قصيدة فى مدح الواثق[٥] وغير ذلك يذكر النويرى قصيدة فى مغن فارسى[٦] وينسبها لمحمد بن بشير وقد سبق أن نسبت منها خمسة أبيات للحسين فى مصدرين . كما نسب بيتين لإسحاق الموصلى[٧] سنجدهما فيما بعد منسوبين للحسين فى عيون التواريخ وترجع أهمية هذا المصدر إلى البيتين الجديدين اللذين أضافهما إلى مجموع شعره.

وبعده يأتى شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨ هـ (فيذكر فى كتابه « تاريخ الإسلام » ستة أبيات ، منها مقطوعته المشهورة فى « شفيع » وبيتان مما قاله فى عمرو بن مسعدة[٨] .

ويأتى ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩ هـ) صاحب « مسالك الأبصار » فيذكر فى كتابه مجموعة كبيرة من شعر الحسين تزيد أبياتها على المائة بعشرة أبيات ، ولكنها كلها مما ورد فى مصادر سابقة، عدا بيت واحد انفرد العمرى بروايته دون المصادر الأخرى ، وهو قوله[٩] :

حسبك من جهدك ماقضى الوطر   من خاف أسرى ومطاياه الحذر

أما بقية المجموعة فتنقسم قسمين ، قسم بالجزء الأول المطبوع من المصدر وأكثر مقطوعاته عن الأماكن التى ذكرها الحسين فى شعره ، وقسم بالجزء التاسع المخطوط مع ترجمته و أكثره فى الغزل والمجون ، وبه كذلك بعض شعره فى الرثاء والمديح والاعتذار . وأبيات الجزء الأول منها مقطوعة من ستة أبيات فى دير سابر[١٠] وثلاثة أبيات فى دير مديان[١١] يكرر منها

(١ ، ٢) نفسه جـ ٣ ص ٢٥٦ .   (٣) نفسه جـ ٤ ص ١٣٢ .
(٤) نفسه جـ ٢ ص ١١١ .   (٥) نفسه جـ ٢ ص ٢٥٧ .
(٦) نفسه جـ ٥ ص ١١٧ وانظر الموازنة ص ٧٢ وأخبار أبى تمام ص ٢١٤ .
(٧) نهاية الأرب جـ ٤ ص ١٢٣ ط أولى سنة ١٩٢٥ وانظر عيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٧١٢ حوادث سنة ٢٥٠ هـ .
(٨) تاريخ الإسلام (مخطوط) رقم ٤٢ جـ١٣ ص ٤٥ ، ٥٢ .
(٩) مسالك الأبصار جـ ٩ مخطوط ص ٢٩٢ .
(١٠) مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢٧٩ .   (١١) نفسه جـ ١ ص ٢٧٨ .

بيتين فى دير مران [١] بتغيير الاسم فقط وستة أبيات [٢] ذكرت من قبل ضمن قصيدة فى متنزه بيارى ، ولكنه اختار منها أبيات الغزل والمجون ولم يذكر الأبيات التى فيها اسم المكان . وسبعة أبيات فى دير سرجس [٣] وستة أبيات فى حانة الشط [٤] منها البيت الثانى منقول من الأغانى زيادة على أبيات المخطوط كما ذكر فى هامش الكتاب . والأبيات الأربعة المشهورة فى شفيع [٥] .

أما أبيات الجزء التاسع فمنها اثنتا عشرة مقطوعة فى الغزل والمجون [٦] يتراوح عـــدد أبيات الواحدة منها بين بيتين وأربعة أبيات عدا مقطوعة واحدة من تسعة أبيات، ونلاحظ أنه كرر بينها مقطوعته فى شفيع التى ذكرها فى الجزء الأول . ومعظم هذه المقطوعات مأخوذ من قصائد أو مقطوعات طويلة وردت فى الأغانى وغيره . وغير ذلك يذكر ثلاثة مقطوعات فى رثاء الأمين [٧] ومقطوعة فى مدح المأمون [٨] وأخرى فى عمرو بن مسعدة [٩] ومقطوعتين فى الاعتذار [١٠] :

ونلاحظ أنه نسب للحسين بيتين جديدين [١١] بين هذه المقطوعات لم ينسبهما إليه مصدر آخر . بينما نسبهما أبو الفرج لإسحاق الموصلى فى ترجمته بالأغانى . يبدؤهما بقوله :

كنت حرا فصرت عبد اثمـــانى　　　من هوى شادن هواه برانى

من ذلك نرى أن المسالك مصدر لتوثيق شعر الحسين أكثر منه مصدر إمداد أو رواية لجديد . طبيعى بحكم تباعد الزمن وكثرة المصادر السابقة له.

---

(١) نفسه جـ ١ ص ٣٥٣ .

(٢) نفسه جـ ١ ص ٢٧٩ انظر القصيدة كاملة فى الديارات ص ٣٨ — ٣٩ .

(٣) نفسه جـ ١ ص ٢٨٥ .

(٤) نفسه جـ ١ ص ٣٩٤ .

(٥) نفسه جـ ١ ص ٢٨٠ .

(٦) مسالك الابصار جـ ٩ ص ٢٩١ — ٢٩٣ .

(٧) نفسه جـ ٩ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٨ ، ٩) نفسه جـ ٩ ص ٢٩٣ .

(١٠) نفسه جـ ٩ ص ٢٩٤ .

(١١) نفسه جـ ٩ ص ٢٩٤ .

وبعده يأتي ابن شاكر الكتبي – أبوعبد الله محمدبن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ) صاحب «عيون التواريخ» فيذكر للحسين واحداً وخمسين بيتا ، منها تسعة وعشرون بيتا في الغزل والمجون ليس بينها جديد سوى بيتين وإن كانا قد ذكراً من قبل في «نهاية الأرب» منسوبين لإسحاق الموصلي ، ولم ينسبهما للحسين سوى ابن شاكر ويبدء ان بقوله[1] :

كأن أباريق المـــدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام

وغير هذين البيتين ثمانية مقطوعات[2] من مشهور شعره في المجون والغزل سبقت روايتها في مصادر كثيرة .

أما الأبيات الأخرى فمنها ثمانية أبيات من قصيدته في مدح المعتصم[3] ، وخمسة أبيات في مدح المأمون[4] وثلاثة أبيات في رثاء الأمين معرضا فيها بالمأمون ، وستة أخرى في رثائه كذلك[5] وكل هذه الأبيات مما ذكر في المصادر السابقة .

وغير ذلك يذكر مقطوعة من شعره وينسبها للأمين[6] وهي من أربعة أبيات كما يذكر مقطوعة أخرى من أربعة أبيات وينسبها للرقاشي[7] وقد سبق أن نسب بيتان منها للحسين ، وسنبحث ذلك تفصيلا في الفصل القادم إن شاء الله .

من ذلك نرى أن أهمية هذا المصدر ليست إلا في توثيق الشعر وتحقيق نسبته للحسين ، فهو لم يضف جديداً إلى مجموع شعره سوى هذين البيتين المشكوك في نسبتهما .

---

(١) عيون التواريخ (مخطوط رقم ١٤٩٧) جـ ٧ ص ٧١٠ حوادث سنة ٢٥٠ .

(٢) نفسه جـ ٧ ص ٦٥٩ ، ٧٠٩ – ٧١١ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ٧٠٩ .

(٤ ، ٥) نفسه جـ ٧ حوادث سنة ٢١٨ ترجمة المأمون ، جـ ٦ ص ٣٢١ .

(٦) نفسه جـ ٦ ص ٣١٤ حوادث ١٩٨ . (٧) نفسه جـ ٦ ص ٣٤٣ .

ونختتم مصادر القرن الثامن « بمرآة الجنان » : لليافعى (أبى محمد عبد الله بن أسعد بن على — ت ٧٦٨هـ) الذى لايذكر سوى أربعة أبيات فى الغزل[١] من مشهور شعره الذى روته المصادر السابقة،فهو مصدر قليل الأهمية .

ويأتى القرن التاسع الهجرى فنلتقى فيه بخمسة مصادر يعد معظمها قليل الأهمية إذ لاجديد فيها ، وليست إلا تكراراً لما جاءت به المصادر السابقة :

أول هذه المصادر « خزانة الأدب » لابن حجة الحموى (أبو بكر بن على بن عبد الله ت ٨٣٧ هـ) الذى لايذكر سوى بيتين من مقطوعته المشهورة فى شفيع[٢] .

بعده يلقانا« المستطرف » لشهاب الدين أحمد الأبشيهى (ت ٨٥٢ هـ) وهو أهم مصدر بين مصادرهذا القرن لأنه ذكر أربعة أبيات جديدة لم يذكرها مصدر آخر سواه . منها بيتان يبدؤهما بقوله[٣] :

يا صائد الطير كم ذا   باللحظ تضنى وتسبى

وبيتان يبدؤهما بقوله[٤] :

بعضى بنار الهجر مات حريقاً   والبعض أضحى بالدموع غريقاً

وانفراد هذا المصدر برواية هذه الأبيات الأربعة مع تأخره عن الحسن بستة قرون يجعل له أهمية بين المصادر التى حفظت شعره من الضياع ، أو بتعبير أدق حفظت جزءا من شعره :

ويذكر الأبشيهى غير ذلك بيتين[٥] من قصيدة للحسين ، ولكنه لم ينسبهما لأحد .

---

(١) مرآة الجنان جـ ٢ ص ١٥٦ ط سنة ١٣٣٨ .

(٢) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٢٤٦ .

(٣) المستطرف فى كل فن مستظرف جـ ٢ ص ٢٢ ط بولاق سنة ١٢٦٨ .

(٤) نفسه جـ ٢ ص ٢٢٣ .   (٥) نفسه جـ ٢ ص ٢٥ .

ويلقانا بعده بقليل « عقد الجمان » لبدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ) الذى يذكر ثمانية وعشرين بيتا ليس بينها جديد ، منها سبعة أبيات من قصيدته الغائية فى رثاء الأمين [١] وبقيتها أربعة مقطوعات فى الغزل والمجون [٢] .

وفى « حلبة الكميت » (لشمس الدين محمد بن الحسن النواجى (ت ٨٥٥ هـ) يذكر بيتين [٣] سبق ذكرهما منسوبين لأبى نواس فى ديوانه . فهو أول من نسبهما للحسين . كما يذكر بيتين أخرين [٤] ينسبهما إلى إسحاق الموصلى وقد نسبا للحسين فى عيون التواريخ .

وآخر مصادر هذا القرن هو « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) وفيه ثمانية أبيات مشهورة ذكرتها مصادر كثيرة منها ثلاثة فى مدح المأمون [٥] وبيتان فى التعريض به [٦] وثلاثة فى رثاء الأمين [٧] .

وفى القرن العاشر يلقانا مصدران ضعيفان ، أولهما « تاريخ الخلفاء » لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) وفيه يذكر ثمانية أبيات كثر ذكرها فى المصادر السابقة منها خمسة فى مدح المأمون [٨] وثلاثة فى التعريض به مع رثاء الآمين [٩] .

وغير ذلك يذكر أربعة أبيات على أنها رويت للأمين فى خادمة كوثر ، ثم يذكر أن بعضهم رواها للحسين [١٠] .

---

(١) عقد الجمان (مخطوط رقم ١٥٨٤) جـ ١٣ قسم ٣ ورقة ٢٨٣ .

(٢) نفسه جـ ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ — ٢٩١ .

(٣) حلبة الكميت ص ١١٢ ط ١٢٩٩ .

(٤) نفسه ص ١٤٨ ط سنة ١٢٧٦ .

(٥ ، ٦ ، ٧) النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ط دار الكتب سنة ١٩٣٠ .

(٨ ، ٩) تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ ط سنة ١٣٠٥ .

(١٠) نفسه ص ١٢٠ .

وثانيهما « معاهد التنصيص » ، لعبد الرحيم العباسى (ت ٩٦٣ هـ) وفيه ذكر خمسة أبيات منها بيت فى الغزل [١] ذكر من قبل فى الوساطة ؛ ويبدو أن الأستاذ عبد الستار فراج لم يقع عليه فى هذا المصدر لأنه لم يشر إليه ، وبيتان [٢] فى الغزل أيضا من مقطوعة ذكرت فى مصادر سابقة من أربعة أبيات وبيتان فى الخمر [٣] لم ينسبهما إلى الحسن قبله إلا النواجى فى « حلبة الكميت » وقد سبق أن نسبا إلى أبى نواس .

وفى القرن الحادى عشر تلقانا ثلاثة مصادر ضعيفة كذلك ، ليس فيها جديد أو كثير ، أولها « تزيين الأسواق » لداود الأنطاكى (ت ١٠٠٨ هـ) وفيه يذكر خمسة أبيات ، منها ثلاثة [٤] أخذت من مقطوعة فى ستة أبيات وبيتان [٥] من مقطوعة فى أربعة أبيات .

وثانيها « شذرات الذهب » . لابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) وفيه ذكر أربعة أبيات [٦] من مشهور شعره فى الغزل .

وثالثها : « طراز المجالس » . لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجى (ت ١٠٩٦ هـ) وفيه بيت واحد [٧] من بيتين ذكرا من قبل فى « شرح المقامات » وحده .

ويمر القرنان الثانى عشر والثالث عشر دون مصادر تذكر ، وفى القرن الرابع عشر يذكر البارودى (ت ١٣٢٤ هـ) قصيدة الحسن الهمزية فى الخمريات فى هامش كتابه « مختارات البارودى » وهو بطبيعة الحال قد نقلها عن ديوان أبى نواس . المصدر الوحيد الذى سجلها ، ولكنه كتبها من تسعة وثلاثين بيتا كما هى فى طبعة آصاف لا أربعين كما فى طبعة فاجنر ، ولم يكن الديوان قد طبع بعد .

---

(١) معاهد التنصيص جـ ١ ص ٤٩ ط سنة ١٣١٦ وانظر اشعار الخليع ص ٤٢ .
(٢) نفسه جـ ٢ ص ١٣٠ . (٣) نفسه جـ ٢ ص ١٥٤ .
(٤) تزيين الأسواق ص ٢١٥ . (٥) نفسه ص ٢٥٦ .
(٦) شذرات الذهب جـ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤ .
(٧) طراز المجالس ص ١٣٢ ط ١٢٨٤ .

وأخيراً يجمع الأستاذ عبد الستار فراج شعر الحسين ويحققه ويخرجه فى كتاب سماه « أشعار الخليع » وإن يكن قد فاتته أبيات قليلة أشرنا إليها فى ذكر مصادرها . وهى بيت من قصيدة الحسين [١] الخمرية زاده فاجنر طبعه لديوان أبى نواس كما عرفنا . وخمسة أبيات فى « الإبانة [٢] » وسبعة أبيات فى « معجم ما استعجم [٣] » ، وذلك لأنه لم يرجع إلى هذه المصادر . كما أشرنا إلى بيتين [٤] نقلهما خطأ عن « زهر الآداب » منسوبين للحسين وهما لأبى الطيب المتنبى . وهى أشياء قليلة بالنسبة للمجهود الكبير الذى بذله فى جمع شعره من هذه المصادر المتعددة بعد أن كان متناثراً فيها أو شبه ضائع .

٢ — اختلاط شعره بأشعار معاصريه :

من الظواهر الواضحة بالنسبة لشعر الحسين ، الذى وصل إلينا من من هذه المصادر المتعددة عبر القرون كثرة اختلاط شعره بأشعار معاصريه ، وخاصة شعر أبى نواس الذى كان لشهرته أثر كبير فى أن ينحله الناس أشعار أقرانه من شعراء الخمر والمجون كالحسين وغيره . ومما ساعد على هذا الاختلاط فقد ديوان شعره أو عدم وصوله إلى أيدى أصحاب المصادر التى ورد فيها هذا الخلط ، واعتمادهم فى ذلك على رواة لا يوثق بصدقهم أو بصحة رواياتهم .

وتتناول هذه القضية أولا بين الحسين وأبى نواس لكثرة شواهدها لتعرض النقاد والمؤلفين لها فى عدة مصادر . وأكثر الأغراض التى تعرضت للانتحال شعر الخمر والمجون ، فشهرة أبى نواس فيهما كما — يقول الصولى « جعلت الجهال من المتحلين للأدب المدعين لما لا يحسنون منه

---

(١) مختارات البارودى . (٢) اشعار الخليع ص ١٩ — ٢٣ .

(٣) انظرها فى الابانة صفحات ٦٣ ، ٧٨ ، ٢١٦ ط سنة ١٩٦١ .

(٤) انظرها فى معجم ما استعجم ص ١٠٩١ تحقيق الأستاذ السقا .

والمتصدرين بغير حق فيه ، والظانين أنهم إذا فهموا فنا من فنون العـــلم فقد فهموا كل العلم ، ويريدون أن كل شعر قد قيل في وصف الخمر فهوله ، وأنهم أسندوه إذ جهلوا قائله إلى الأولى به عند أنفسهم واحتاطوا فيه ، وذهب عنهم تمييز الكلام وترتيبه ، وتهذيب ألفاظه ، ووضع كل كلمة موضعها وظنوا أن ذلك يذهب على نقاد الشعر العلماء به المميزين له ، كما ذهب عليهم[1] » هذا بالنسبة إلى نحلهم أبا نواس شعر كثيرين ممن قالوا في الخمر ، أما بالنسبة للحسين ذاته فهو يقول « ولو تعلق بكلام أبي نواس في الخمر والمجون كلام أوشابهه مشابهة تخفى لكان شعر الحسين بن الضحاك لحذقه وجودته . ولكنه لايخفى على العلماء بالشعر حتى يميزوه »[2] ويؤكد أبو الفرج ذلك فيقول عن الحسين « وكان أبو نواس يأخذ معانيه فى الخمر فيغير عليها، وإذا شاع له شعر نادر فى هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس وله معان فى صفتها ، أبدع فيها وسبق إليها فاستعارها أبو نواس[3] » ويذكر ياقوت مثل ذلك فيقول : « وكان أبو نواس يغير على معانيه فى الخمر فإذا قال شيئا فيها نسبه الناس إلى أبى نواس[4] » . ويقول ابن منظور مؤيداً هذا الادعاء : « كان أبو بحر عبد الرحمن بن أبي المداهد شاعراً مجيداً ، وكان لايكاد يقول شيئاً إلا نسب لأبي نواس وكذلك الحسين ابن الضحاك المعروف بالخليع ، وقد غلب على كثير من شعرهما[5] » .

---

(١) أنظر ديوان أبي نواس المخطوط رواية الصولى ص ١٠ ، وفى دائرة المعارف الإسلامية. جـ ١ ص ٤١٤ نقلا من ديوان أبي نواس المخطوط بفينا ص ١٦٢ أ هذا القول : ولقد نزع المفتنون المتأخرون إلى إضافة جميع أشعار الخمر والغلمان إلى أبي نواس » .

(٢) ديوان أبي نواس للصولى ص ١٠ .

(٣) الأغانى جـ ٧ ص ١٤٦ ط دار الكتب .

(٤) معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٥ ط وزارة المعارف .

(٥) انظر أخبار أبي نواس لابن منظور ص ٧٥ .

والشواهد على هذا الانتحال كثيرة منها ما ذكره أبو الفرج على لسان الحسين نفسه، قال: «أنشدت أبا نواس لما حججت قصيدتى التى قلتها فى الخمر وهى :

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء

فلما انتهيت منها إلى قولى :

حتى إذا أسندت فى البيت واحتضرت
عنـــد الصبـــوح ببســامين أكفـــاء

قضت خواتمهـــا فى نعت واصفهـــا
عن مثل رقراقة فى جفن مــــرهاء

قال : فصعق صعقة أفزعتنى ، وقال : أحسنت والله يا أشقر فقلت: ويلك يا حسن إنك أفزعتنى والله . فقال : بلى واللى أفزعتنى ورعتنى ، هذا معنى من المعانى التى كان فكرى لا بد أن ينتهى إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتنى إليه واختلسته منى ، وستعلم لمن يروى ألى أم لك ، فكان والله كما قال ، سمعت من لا يعلم يرويها له[1]» وفى رواية أخرى أنه رآها « فى دفاتر الناس فى أول أشعاره[2] » .

قد يقول قائل إن قول الحسين هذا زعم غير صادق ، ولكن الدليل على صحته قائم ؛ إذ أن ابن المعتز على علمه بالشعر — قد نسب منها عدة أبيات للحكمى ، يعنى أبا نواس . منها هذان البيتان[3] السابق ذكرهما غير المطلع . ومنها قوله[4] :

لم يبق من شخصها إلا توهمه فالشئ منها إذا استثنيت كاللاء
تمازج الروح فى أخفى مداخله كما تمـــازج أنوار بأضواء

(١ ، ٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٧ . (٣) انظر فصول التماثيل ص ٣٩ .
(٤) نفس المصدر ص ٣٧ .

وقوله[١] :

حتى إذا الدهـــر أبقى من سلالتهـــــ
جـــزء الحيـاة وقـد ألوى بأجـــزاء
دبت إليهـــا من الأحـداث باســـلة
أبكت عوابد من أحبـــار تيمـــاء

وقوله[٢] .

كأن تأليف ما حاك المزاج لهـا سلخ تجللهـا من بطن رقشـــاء

كل هذه الأبيات نسبها المعتز للحكمى أبى نواس ، وتأخذنا الدهشة لوقوعه فى هذا الخلط المعيب ، مع أنه قد عارض أبا نواس والحسين فى همزيتهما بقصيدة همزية له فى الخمر .

ويذكر الصولى أن تلك القصيدة من المنحول إلى أبى نواس ، ولكنه يؤكد نسبتها إلى الحسين بقوله . قرأت على أبى أحمد يحيى بن على رحمة الله عن أبيه عن الحسين بن الضحاك الخليع هذه القصيدة للحسين ، وأنه قالها لما حج وحدثنى أحمد بن يزيدالمهلبي عن أبيه أن الحسين أنشده هذه القصيدة لنفسه[٣] ، فنسبتها إلى الحسين لا شك فيها ، وقد رواها له حمزة الأصفهانى فى مقدمته لديوان أبى نواس كما عرفنا ، ومع ذلك فإننا نجد بين من ينسبها لأبى نواس شاعرا كابن المعتز لا الجهال من المنتحلين للأدب فحسب ، كما يقول الصولى .

وابن المعتز يذكر سبعة أبيات من مقطوعة أخرى للحسين تبدأ بقوله :

وشاطرى اللسان مختلق التكريـ ـه شاب المجـــون بالنسك

---

(١) نفس المصدر ص ٢٦ . (٢) نفس المصدر ص ٦٩ .
(٣) ديوان أبى نواس المخطوط للصولى ص ١٠ .

ثم يعلق عليها بقوله « وقد نسب العوام هذا إلى أبي نواس وذلك متحول إنما هو للحسين بن الضحاك[١] » ومع تصحيحه نسبتها ، وتحذيره مما وقع فيه العوام من نحلها لأبي نواس ، نجده يذكر بيتا آخر منها في فصول التماثيل ، وينسبه إلى أبي نواس وهو قوله[٢] :

كأنما نصب[٣] كأسه قمر   يكرع في بعض أنجم الفلك

فهذا البيت لم يذكره ضمن الأبيات السبعة التي ذكرها في طبقات الشعراء ولكنه على وزنها وقافيتها ، وذكر في عدة مصادر على أنه منها . ومع ذلك لم يحترز ابن المعتز من الوقوع في الخلط الذي حذر منه ونبه اليه .

ويذكر الصولي كذلك أن هذه المقطوعة مما نحل إلى أبي نواس ، ولكنه يؤكد نسبتها إلى الحسين برواية ليحيى بن علي عن أبيه عن الحسين ، ورواية أخرى لأحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه عن الحسين ، وأنها موجودة في جامع شعره[٤] .

وفي رواية أخرى تتعلق بهذه الأبيات أن الحسين لما أنشدها أبا نواس نعر نعرة منكرة فقال له : مالك فقد أفزعتني . . فقال : هذا معنى مليح وأنا أحق به ، وسترى لمن يروى ، ثم أنشده بعد أيام قوله :

إذا عب فيها شارب القوم خلته   يقبل في داج من الليل كوكبا

فقال له الحسين : هذه مصالته يا أبا علي ، فقال : لاتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا في الحياة[٥] » .

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

(٢) فصول التماثيل ص ٣١ وطبقات الشعراء ص ٤٣٩ ، ونقل فراج عن الفصول أن البيت نسب لابن المعتز .

(٣) في فصول التماثيل (صب) ولكنها في المصادر الأخرى كما ذكرتها في البيت وهو أوفق للمعنى .

(٤) ديوان أبي نواس المخطوط للصولي ص ٣٤ .

(٥) هذه الرواية في العمدة جـ ٢ ص ١٨١ ط سنة ١٩٦٣ وفي زهر الآداب جـ ٢ ص ١١٤ ط ١٩٢٥ وفي الأغاني جـ ٧ ص ١٥٥ ط دار الكتب وقول الحسين فيه « أتظن أنه يروى لك في الخمر معنى جيد وأنا حي » .

هذه الرواية تعطينا صورة واضحة لإغارة أبي نواس على شعر الحسين ، ولا شك أن هذه الإغارة كانت عاملا ممهدا للاختلاط فى نسبة الشعر التى كانت شهرة أبي نواس تجعلها من حظه .

ومن قصائد الحسين التى نسبت إلى أبي نواس أيضا قصيدته التى مطلعها[١] :

آذنك الناقوس بالفجر وغرد الراهب بالعمر

وقد ضمت فعلا إلى ديوانه وطبعت معه ، وهى فيه من أحد عشر بيتا ولكننا نجدها منسوبة إلى الحسين فى معجم ما استعجم للبكرى من عشرة أبيات . وهو يقدم لها بقول يرويه عن عمر بن محمد فى ذكره تعمر نصر بسر من رأى قال : « شربنا يوما فى هذا الدير ومعنا حسين بن الضحاك وبتنا فيه سكارى فلما طلع الفجر أنشدنى فيه لنفسه »[٢] وذكر أبيات القصيدة .

ونسبها أيضا إلى الحسين الشابشتى وياقوت فى ذكرهما لعمر ماريونان ، ولكنهما لم يرويا منها سوى أربعة أبيات .

ونلاحظ وجود بعض الخلاف بين أبيات القصيدة المنسوبة إلى أبي نواس والأخرى المنسوبة إلى الحسين . ففى الأولى بيتان لم يذكرا فى الثانية ، وهما قوله[٣] :

فى مسرح ترتع أكنافه مشادن من بقر زهر

وقوله[٤] :

يا حبذا الجهر بأمر الصبا ما كنت من ربك فى ستر

---

(١) انظر القصيدة فى ديوان أبي نواس .

(٢) معجم ما استعجم ص ١٠٩١ تحقيق الأستاذ السقا .

(٣) انظر ديوان أبي نواس .

(٤) هذا البيت فى طبعات ديوان أبي نواس ما عدا طبعة سنة ١٩٥٣ بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى .

كما أن فى الثانية بيتين لم يذكرا فى الأولى وهما قوله[١] :

فارغب عن النـوم إلى شربهـا　　　ترغب عن المـوت إلى النشر

وهذا البيت يرويه الشابشتى وياقوت ولا يرويه البكرى . أما البيت الثانى فيرويه البكرى وحده ضمن القصيدة وهو قوله[٢] :

واستمتعت نفسك من شـادن　　　قد جاد بالبطن وبالظهـر

وغير ذلك يوجد بيت روى فى كل من القصيدتين برواية مختلفة ، فهو فى ديوان أبى نواس :

يا عاقـد الزنار فى الخصر　　　بحـرمة الحانة والقهـر

وهو فى معجم البكرى :

بحـرمة الفصح وسلافكم　　　يا عاقـد الزنار فى الخصر

ولا نجد خلافا غير ذلك إلا فى بعض الألفاظ . والخلاف فى جملته قليل لا يذهب بجوهر القصيدة ، ففيهما ثمـانية أبيات متشابهة إلى حد كبير ، مما يؤكد أن القصيدة واحدة ، وأن عدم ذكر بيتين فى قصيدة دون الأخرى ليس إلا من قبيل النسيان ، والبيت الذى اختلفت روايته إنما هو نتيجة لتعدد رواة القصيدة ، وهذا أمر طبيعى ومألوف فى الشعر العربى .

وقد أشرنا من قبل إلى أن الأستاذ عبد الستار فراج لم يسجل هذه القصيدة كاملة فى أشعار الخليع ، وإنما ذكر منها أربعة أبيات نقلا عن الشابشتى وياقوت . وذلك لأنه لم يرجع إليها فى معجم البكرى .

---

(١) انظر الديارات ص ١٦٦ ومعجم البلدان جـ ٢ ص ٥٣٧ ط بيروت .

(٢) معجم ما استعجم ص ١٠٩١ .

وإذا أردنا أن نصدر حكماً فى حقيقة نسبتها ، هل هى للحسين أو لأبى نواس ؟ فإننا نرجح ما اجتمعت عليه ثلاثة مصادر فى نسبتها إلى الحسين ونشك فى نسبتها إلى أبى نواس على أساس أنها نسبت إليه فى ديوانه فحسب ، وأنها نحلت له كما نحلت قصائد كثيرة ومقطوعات غيرها .

وقصيدة أخرى للحسين نسبت إلى أبى نواس وجمعت فى ديوانه ، وهى تبدأ بقوله[1] :

أيا من طـــرفه ســـحر   ومن ريقتـــه خمــــر

ومطلعها فى ديوان أبى نواس يختلف شطره الثانى عن الشطر الثانى فى قصيدة الحسين ، إذ يقول فيه : . . . . ومن مبسمه در .

وهى فى ديوان أبى نواس ثمانية أبيات منها البيت السادس غير موجود فى قصيدة الحسين وهو قوله :

ومن قـــولك آتيـــك   إذا صليـــت الظهـــر

أما قصيدة الحسين فمنها الأبيات الثلاثة الأخيرة غير موجودة فى ديوان أبى نواس وهى قوله :

ولـــو شئت تيســـرت   كما سمـــيت يا يســـر

وكن كاســـــمك لا تمنعـــــك النخـــوة والكـــبر

فلا فـــزت بحظى منـــ   ك إن ذاع لـــه ذكـــر

ولعل السبب فى عدم ذكر هذه الأبيات مع القصيدة المنسوبة إلى أبى نواس أنها تتضمن اسم الغلام الذى قيلت فيه وهو « يسر » . الذى اشتهر بعشق

(١) القصيدة كاملة فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٩ وفى الزهرة ص ٤٠ الأبيات الأربعة الأولى ، وفى الديارات ص ٣٧ الأبيات الأربعة التى تليها على اختلاف فى ترتيبها ، وكذلك فى وفيات الأعيان ص ١٩٢ ط ١٢٩٩ وفى مسالك الابصار جـ ٩ ص ٢٩١ وفى عقد الجمان ١٣ قسم ٣ ورقة ٢٨٣ وفى عيون التواريخ جـ ٧ ص ٧١٠ حوادث سنة ٢٥٠ ذكرت الأبيات الأربعة الأولى وكل هذه المصادر نسبتها للحسين .

الحسين له : وقصة الأبيات مذكورة فى الأغانى . ولو ذكرت الأبيات الثلاثة الأخيرة هذه فى ديوان أبى نواس ، لكانت دليلا واضحا على انتحال القصيدة وحجة دامغة تثبت أن قائلها الحقيقى هو الحسين ، ولا شك أن من نحلها أبا نواس تبين ذلك وتنبه إليه فحذف الأبيات الثلاثة ، وهو يظن أنه بذلك قد طمس معالم السرقة ، ولكن خاب ظنه إذ صحح الرواة نسبتها إلى الحسين ، وذكرت فى عدة مصادر بنسبتها الصحيحة . وليس أمامنا — إزاء هذا البرهان الواضح وإزاء إجماع المصادر التى ذكرتها على نسبتها للحسين — إلا أن نؤيد قولهم ونؤكد هذه النسبة الصحيحة .

ومقطوعة الحسين التى قالها لما عربد عليه ابراهيم بن المهدى ودعا بالنطع والسيف والتى تبدأ بقوله[1] :

نديمى غـــير منســوب   إلى شىء من الحـــيف

هذه المقطوعة نسبت أيضا إلى أبى نواس بعد حادثة جرت له مع الأمين على الخمر تشبه حادثة الحسين مع ابراهيم بن المهدى ، إذ أمر الأمين بقتله وهو سكران ، وفى رواية أخرى أن هذه الحادثة جرت له مع القاسم بن الرشيد[2] وقد نبه فى مقدمة ديوان أبى نواس إلى أن هذه المقطوعة مما أضيف إليه من شعر العراقيين ، وأنها للحسين بن الضحاك الخليع[3] .

كما أن ابن منظور بعد أن نسبها إلى أبى نواس عاد فقال : « وتروى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك الخليع[4] » .. فهو متشكك فى صحة نسبتها إلى أبى نواس ومن ثم لم يجزم بذلك . ومن روايات أبى الفرج والصولى والراغب وحمزة الأصفهانى نستطيع أن نؤكد صحة نسبتها إلى الحسين ، وننفى رواية ابن منظور الضعيفة التى أظهر شكه فيها .

(١) المقطوعة من أربعة أبيات منسوبة للحسين فى أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٣ ومحاضرات الأدباء ط ص ٣٤١ واشعار أولاد الخلفاء ص ٢٦ .

(٢) انظر أخبار أبى نواس لابن منظور جـ ١ ص ٢١٨ .

(٣) انظر ديوان أبى نواس ص ٧ ط آصاف وقد ذكر منها البيت الأول فقط .

(٤) انظر أخبار أبى نواس لابن منظور جـ ١ ص ٢١٨ .

ونسب إلى أبي نواس من شعر الحسين أيضا بيتان فى الخمر هما[1] :

الراح تفـــاح جرى ذائبـــا　　كذلك التفـــاح راح جمـــد

فاشرب على جامـــده ذوبـــه　　ولا تدع لـــذة يوم لغـــد

والبيتان فى ديوان أبي نواس ، ولكن النواجى (ت ٨٥٩ هـ) وعبد الرحيم العباسى (ت ٩٦٣ هـ) نسباهما للحسين . وتأخرهما عن زمن الشاعرين عما يزيد عن ستة قرون قد يضعف من شأن روايتهما ، وخاصة أن البيتين لم يذكرا فى مصدر قبلهما سوى « من غاب عنه المطرب » للثعالبى (ت٤٢٩هـ) ولكن دون أن ينسبهما إلى أحد . ومع ذلك فإننا لا نعتقد أنهما نسبا البيتين إلى الحسين اعتباطا دون الاعتماد على مصدر سابق وصل إلى أيديهما ولم يصل إلينا . هذا بالإضافة إلى الشبهة التى لحقت شعر أبي نواس من نحلهم إياه أشعار غيره فى الخمر وخاصة شعر الحسين . كما أنهما لم ينسبا إليه فى مصدر آخر غير ديوانه فعلى ذلك يمكننا أن نرجح نسبة البيتين إلى الحسين على نسبتهما إلى أبي نواس .

ومقطوعة أخرى ذكرها الصولى منسوبة للحسين ، ثم ذكر أيضا أنها رويت لأبي نواس ، ولكنه عقب على ذلك بأنه لا يعلمه له، وتبدأ بقوله[2] :

وصـــــوت لبنى الأحـــرا　　ر أهـــل الســـيرة الحسنى

وقد نسبها الآمدى[3] كذلك للحسين . وان كان النويرى [4] قد نسبها لآخر هو محمد بن بشير بزيادة خمسة أبيات أخرى ، ولكننا نرجح ما اتفق عليه الصولى والآمدى من نسبتها للحسين، خاصة وأن الصولى قد اهتم كثيرا بمشكلة الانتحال وجهد فى التحقق من نسبة ما يرويه من شعر .

---

(١) الأبيات هنا كما وردت فى معاهد التنصيص ص ١٠٤ وهى فى حلبة الكميت ص ٩١٢ تختلف فى بعض الألفاظ وكذلك فى ديوان أبي نواس .

(٢) انظر أخبار أبي تمام ص ٢١٤ .

(٣) انظر الموازنة ص ٧٢ .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٥ ص ١١٧ .

ونسب أيضا إلى أبي نواس قول الحسين فى غلام جميل أعرض عنه :

تتيه علينا أن رُزقت ملاحة … فهلا علينا بعض تيهك يابدر

لقد طالما كنا ملاحا وربما … صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر

فهذان البيتان ذكرهما أبو الفرج مع خبرهما نقلا عن جعفر بن قدامة عن أبي العيناء ، منسوبين للحسين [١] . ولكن ابن منظور نسبهما إلى أبي نواس مع بيتين آخرين بعدهما [٢] ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نرجح قوله لأن الأبيات لم ترد فى ديوانه ، ولأنه متأخر عن عصر الشاعرين بما يقرب من خمسة قرون . فرواية أبي الفرج أوثق من روايته ، وقد يكون البيتان الزائدان من نفس المقطوعة ولكن أبا الفرج لم يروها كاملة واكتفى ببيتين منها كشأنه فى كثير من القصائد والمقطوعات .

ولم يقتصر الانتحال على شعر الخمر والمجون فحسب ، بل تعداهما إلى غير ذلك من الأغراض . فهذه مقطوعة فى الزهد من أربعة أبيات نسبت أيضا إلى أبي نواس ، وهى تبدأ بقوله :

لشيء وما جمعت من صفد … وحويت من سبد ومن لبد

وقد نسبها إلى أبي نواس ابن عساكر [٣] وأبو هفان [٤] كما ذكر البيت الرابع منها فى ديوان أبي نواس [٥] ضمن قصيدة أخرى له . ونسبت أيضا إلى آخر غير أبي نواس اسمه توبة بن نمر بن [٦] حرملة . أما الحسين فقد نسبها إليه الجاحظ [٧] وأبو عبيد البكرى [٨] وابن أبي الحديد المدائنى [٩]

---

(١) انظر أغانى الدار ج ٧ ص ٢١١ .

(٢) انظر أخبار أبي نواس لابن منظور ج ١ .

(٣) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٤) انظر له أخبار أبي نواس ص ٧٥ .

(٥) انظر ديوان أبي نواس ص ١٩٣ ط آصاف .

(٦) انظر مخطوط رفع الإصر ص ٣٠ . (٧) انظر الحيوان ج ٥ ص ٤٨ .

(٨) انظر سمط اللآلى ج ١ ص ٥٦٩ ط ١٩٣٦ .

(٩) انظر شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٧٥ .

وقال الجاحظ بعد أن ذكر الأبيات: «وهذا شعر رويته على وجه الدهر وزعم لى حسين بن الضحاك أنه له وما كان ليدعى ما ليس له»[1] وهذه عبارة لها أهميتها فى تحقيق نسبة هذه الأبيات، لأن الجاحظ عاصر الحسين، ونقل عنه نسبتها إلى نفسه، ثم علق على زعمه بما يدل على ثقته به وتصديقه لقوله، والجاحظ عالم ثقة ولشهادته هذه قيمتها التى لا تنكر. ويمكننا أن نؤكد نسبة الأبيات إلى الحسين اعتمادا عليها، ويزيد تأكيدنا إذا أضفنا إلى ذلك رواية المصدرين الآخرين. أما نسبتها إلى أبى نواس فلا يؤيدها دليل قوى، ولم يشر إليها الجاحظ وهو أعلم بذلك، كما أن الأبيات لم يذكر فى ديوانه منها سوى بيت واحد يبدو أنه ضم خطأ إلى قصيدته لأنه على وزنها وقافيتها. ولا يكفى أنها ذكرت فى مصدرين آخرين ما دامت لم تذكر فى ديوانه، أما توبة بن نمر هذا فنسبتها إليه ضعيفة لا يؤخذ بها ولا يؤيدها دليل.

ومقطوعة أخرى فى رثاء الأمين من ثلاثة أبيات نسبت أيضا إلى أبى نواس وضمت إلى ديوانه[2] كما نسبها إليه ابن قتيبه[3] وتبدأ بقوله:

أعـــزى يا محمد عنك نفسى ... معاذ الله والأيـــدى الجسام

ولكن أبا الفرج نسبها إلى الحسين[4]. والذى يجعلنا نشك فى نسبتها لأبى نواس أن تاريخ وفاته فى بعض المصادر هو قبل مقتل الأمين سنة ١٩٨، ولم يحدد أحد أن وفاته كانت بعد الأمين سوى حمزة الأصفهانى فى تقديمه لديوانه فذكر أنه توفى سنة ١٩٩هـ[5] بينما لم يحدد ابن منظور تاريخا لوفاته وذكر أنه قيل عن سنة وفاته سنة خمس وتسعين ومائة أو ست وتسعين ومائة أو سبع وتسعين ومائة أو ثمـــان وتسعين ومائة أو تسع وتسعين ومائة[6]

---

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٨٠ تحقيق هارون.
(٢) انظر ديوان أبى نواس ص ٥٧٨ ط سنة ١٩٥٣ تحقيق الغزالى.
(٣) انظر الشعر والشعراء ص ٧٩٢ ط الحلبى سنة ١٣٦٦.
(٤) أنظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥١
(٥) ديوان أبى نواس ص ٨ ط آصاف.
(٦) انظر أخبار أبى نواس لابن منظور ص ٥.

أما ابن العماد الحنبلي [١] وابن شاكر الكتبي [٢] فقد ذكرا أنه توفى سنة ست وتسعين ومائة، فأغلب الأقوال على أنه توفى قبل الأمين . وهذا يرجح نفى نسبة الأبيات اليه وإثبات نسبتها إلى الحسين حسب رواية أبى الفرج .

من كل هذه الشواهد التى عرضناها نرى أن شعر الحسين تعرض لكثير من سطو أبى نواس عليه، سواء بنفسه هو كما رأينا، أو بواسطة غيره من الرواة والشعراء وعامة الناس والذين أعمتهم شهرة أبى نواس عن الحقيقة، وجعلتهم ينحلونه أشعار غيره عن غير علم ولا بصيرة . وقد دلتنا بعض المصادر على هذه القصائد والمقطوعات التى مرت بنا ، ومن الجائز أن تكون هناك قصائد ومقطوعات أخرى من شعر الحسين جمعت فى ديوان أبى نواس، ولم يعلم بها أحد ، وما دام ديوان الحسين قد فقد فلا سبيل إلى معرفتها ، ولا يمكننا الاعتماد على التخمين فى إخراجها مادامت لاتوجد دلائل واضحة أو شواهد قوية تثبت ذلك .

ولم يكن أبو نواس وحده هو الذى اختلط شعره بشعر الحسين ، وإنما نجد هذه الظاهرة مع شعراء آخرين . فهذا العباس بن الأحنف له قصيدة غزلية فى ديوانه نجد منها سبعة أبيات منسوبة للحسين فى كتاب «الزهرة» لأبى بكر الأصفهانى الذى ذكر منها خمسة أبيات تبدأ بقوله . [٣]

أيا من سرورى بـــه شقـــوة   ومن صفو عيشى به أكـــدر

كما ذكر بيتين فى صفحة أخرى من نفس الكتاب أولهما قوله . [٤]

حبـــونى أغض إذا ما بـــدت   وأملك طرفى فـــلا أنظـــر

---

(١) انظر شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٤٥ .

(٢) انظر عيون التواريخ مجلد ٦ حوادث سنة ١٩٦ هـ .

(٣) الزهرة ص ٣١٣ .

(٤) الزهرة ص ٢٩٧ .

ولكن هذه الأبيات السبعة جاءت ضمن قصيدة العباس التى تبلغ حوالى خمسة عشر بيتاً ، والتى نسبت اليه أبيات منها فى مصادر أخرى غير ديوانه[١] ، بينما لا نجد مصدرا آخر ينسب هذه الأبيات للحسين غير الزهرة . . ومع أن صاحبه قريب عهد بالحسين إذ ولد سنة ٢٥٥ هـ ومات سنة ٢٩٧ هـ ، فإننا لا نستطيع أن نعتمد عليه وحده فى نسبة الأبيات إلى الحسين ، ونرجح أنه وقع فى هذا الخلط ولم يتأكد من صحة نسبتها ، وإن كان الأستاذ عبد الستار فراج يرى أن تكون بعض أبيات من شعر الحسين دخلت فى شعر العباس لاشتراكهما فى الوزن والقافية وتقارب المعانى[٢] . وهذا احتمال بعيد لأن معانى هذه الأبيات أقرب إلى شعر العباس منها إلى شعر الحسين ، فالغزل فيها عف بعيد عن التبذل والمجون الذى نعهده فى شعر الحسين ، وقد عرف العباس بهذا الغزل العفيف بين شعراء العصر العباسى[٣] ونذكر منها بيتين آخرين لنؤكد هذا الرأى يقول :[٤]

وماذا يضـــــرك من شهرتى ... إذا كان ســـرك لا يشهـــر

أمنى تخـــاف انتشـــار الحديـــ ... ـث وحظى فى ســـتره أوفر

فالمحافظة على سر حبيبه وستره وغض الطرف إذا بدا ، هذه المعانى العفة أليق بشعر العباس وأقرب إلى مذهبه منها إلى مذهب الحسين المـاجن .

وبيتان آخران ذكرهما أبو هلال العسكرى ، ولكنه لم يحدد قائلهما تحديدا قاطعا بل قال إنهما للعباس بن الأحنف أو الخليع وهما :[٥]

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا ... وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم ... وصادق ليس يدرى أنه صدقا

---

(١) انظر ديوان العباس بن الأحنف ص ٨٥ وكتاب الفاضل ص ١٠٢ والشعر والشعراء ص ٥٢٧ والأغانى جـ ١٤ ص ٤٥ ط بولاق فى ترجمة هاشم بن سليمان وطبقات الشعراء ص ٢٥٦ .

(٢) انظر أشعار الخليع ص ٥٦ .

(٣) انظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٦٤ الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٦ .

(٤) انظر الزهرة ص ٣١٢ وديوان العباس .

(٥) انظر الصناعتين ص ٢٨٨ ط سنة ١٩٥٢ .

على أن البيتين ذكرا فى ديوان العباس وبعدهما بيت ثالث هو قوله [١]

يظن هذا وذا بالدمع معترف ودمع عينى بما أخفيه قد نطقا

وواضح أن النسبة للعباس هى الأرجح بهذا الدليل الذى لم يتوفر مثله للحسين ، وأن أبا هلال قد اختلط عليه فى نسبتهما فأوجد الشك فيها وتركه قائمـا دون قول فاصل .

وحدث الاختلاط أيضا بين شعر الحسين وشعر إسحاق الموصلى على نحو ما نرى فى هذين البيتين وأولهما قوله : [٢]

كنت حرا فصرت عبد اليمانى من هوى شادن هواه برانى

فأبو الفرج ينسبها لإسحاق على أنه «قالهما فى جارية كانت لعلى اليمانى وقد استهيم بها زمانا » ولكنه يقول بعد ذلك « وقد زعم قوم أن الشعر للحسين بن الضحاك »[٣] ومعنى ذلك أنه لا يؤكد نسبتهما لإسحاق ، بينما نسبهما إلى الحسين بعد ذلك ابن فضل الله العمرى[٤] فالأرجح أنهما للحسين ،ولكن الموصلى صنع فيهما لحنا غنى به ،فجاءت نسبتهما إليه من هذا الطريق .

وبيتان آخران نسبهما ابن شاكر الكتبى للحسين وأولهما قوله[٥] :

كأن أبـــاريق الدام لديهم ظـــباء بأعـــلى الرقـــتين قيام

ولكن النويرى[٦] قبله نسبهما لإسحاق الموصلى ،كما نسبهما إليه النواجى[٧] بعده وهذا يجعل كفته أرجح من الحسين فى نسبتهما إليه . ومع ذلك !

(١) انظر ديوان العباس بن الأحنف .

(٢) انظر الأغانى جـ ٥ ص ١٨ ط بولاق .

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٤) انظر مسالك الأبصار (مخطوط) جـ ٩ ص ٩٣ .

(٥) عيون التواريخ جـ ٧ ص ٧١٠ حوادث ٢٥٠ هـ .

(٦) انظر نهاية الارب جـ ٤ ص ١٢٣ ط ٩٢٥ .

(٧) انظر حلبة الكميت ص ١٤٨ ط سنة ١٢٧٦ .

لا نستطيع أن نجزم بصحة هذه النسبة لأن المصادر الثلاثة متأخرة عن زمنهما بحوالى خمسة قرون .

وللحسين بيتان نسبهما إليه أبو الفرج وهما قوله[1] :

إذا ما الماء أمكننـــــى وصفو سلافــة العنـــب
صببت الفضـــة البيضـــا ء فوق قراضـــة الذهـــب

وذكر راويهما أنه « سمع الرياشى » ينشدهما ويستحسنهما ويستظرفهما جدا ، فقال له من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال أرق الناس طبعا وأكثرهم ملحا وأكملهم ظرفا حسين بن الضحاك » وقد وجدت البيتين منسوبين للرقاشى مع بيتين آخرين بعدهما فى عيون التواريخ[2]، ورواية أبى الفرج هى الأقرب إلى الصواب لقرب عصره من عصر الحسين أكثر من ابن شاكر الكتبى بأربعمائة عام ، ولأن الرياشى[3] الذى تنتهى إليه رواية الأبيات كان عالما راوية ثقة عارفا بأيام العرب ، وقد روى عن الأصمعى وأبى عبيدة ، كما خرج له أبو داود فى سننه عددا من الأحاديث ، ولعل تقارب حروف اسمه مع اسم الرقاشى هو الذى أحدث هذا التصحيف .

ومقطوعة أخرى من أربعة أبيات للحسين نجدها فى مصارع العشاق[4] منسوبة لأعرابى، وذكر أنه أنشدها أمام هارون الرشيد فأعجب بها وأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر إسحاق أن يغنيه بها شهرا ، وهى التى تبدأ بقوله :

لا وحبيـــك لا أصـــا فح بالدمـــع مدمعـــا

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٤

(٢) عيون التواريخ جـ ٦ ص ٣٤٣ .

(٣) انظر إعجام الأعلام ص ١١٨ .

(٤) انظر مصارع العشاق ص ٤٢٥ .

كما نجد البيتين الأول والثانى منها منسوبين لمحمد بن يزيد الأموى فى زهر الآداب[١] مع أن هذه المقطوعة قد وردت فى أربعة مصادر[٢] هامة منسوبة للحسين . وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نشك فى نسبتها إليه ، ولنا أن نرفض الروايتين الأخريين ونعتبرهما من قبيل الخطأ أو الخلط .

وبيتان آخران للحسين روتهما مصادر كثيرة ، ومع ذلك نجدهما فى المستطرف منسوبين لابن المعتز وهما[٣] :

صل بخدى خديك تلق عجيبا　　من معان يحار فيهـــا الضمير
فبخديك للربيع ريـــاض　　وبخـــدى للدموع غديـــر

ولا يداخلنا شك فى صحة نسبتهما للحسين لا تفاق سائر المصادر التى أوردتهما على ذلك[٤] .

ونسبت للخليفة الأمين مقطوعة من أربعة أبيات من شعر الحسين تبدأ بقوله[٥] :

وصف البدر حسن وجهك حتى　　خلت أنى لما أراه أراكـــا

فقد ذكر ابن شاكر الكتبى أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال « شرب الأمين ليلة على بساط نرجس وخادمه كوثر يسقيه فنظر إلى البدر وقد طلع فأنشد » (الأبيات) وذكر السيوطى مثل هذه الرواية على أنها مما رواه جماعة له عن إسحاق الموصلى . ولكنه استدرك بعدها بقوله ، « وقد رواه بعضهم

---

(١) انظر زهر الآداب جـ ١ ص ١٨٥ ط وزارة المعارف .

(٢) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٤ — ١٧٥ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٥ — ١٦ ومسالك الأبصار جـ ٩ ص ٢٩١ ووفيات الأعيان جـ ١ ص ١٩٣ .

(٣) انظر المستطرف جـ ٢ ص ٢٢ ط بولاق سنة ١٢٦٨ .

(٤) انظر الوفيات ترجمته جـ ١ ص ١٩٣ ط بولاق سنة ١٢٩٩ والإبانة ص ١٨٤ ط سنة ١٩٦١ وشذرات الذهب جـ ٢ ص ١٢٤ ومرآة الجنان جـ ٢ ص ١٥٦ ، وترجمته فى مخطوطات مسالك الأبصار وعيون التواريخ وعقد الجمان حوادث سنة ٢٥٠ هـ .

(٥) عيون التواريخ مجلد ٦ ص ٣١٤ حوادث سنة ١٩٨ هـ .

للحسين بن الضحاك الخليع وكان نديمه لا يفارقه »[١] ، وبذلك أبدى شكه فى نسبتها للأمين ، ومن المحقق أن هذه الأبيات للحسين لأنها نسبت إليه فى خمسة مصادر[٢] من أهم المصادر التى روت شعره ، بل إنها فى الأغانى ستة أبيات حسب إحدى الروايتين اللتين ذكرهما . وفى أغلب هذه المصادر أنها قيلت فى مجلس صالح بن الرشيد إذ « كان يهوى خادما له فغاضبه فى تلك الليلة فتنحى عنه ، وكان جالسا فى صحن حوله نرجس فى قمر طالع حسن ، فقال للحسين : قل فى مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتا يغنى فيها عمرو بن بانة »[٣] فقال هذه الأبيات . أما الرواية الثانية فيذكرها أبو الفرج على لسان أبى نواس قال : « كنت أتعشق ابنا للعلاء يقال له محمد وكان حسين يتعشق خادما لأبى عيسى بن الرشيد يقال له يسر ، فزارنى يوما فسألته عنه فقال : قد كاد قلبى أن يسلو عنه وعن حبه ، قال : وجاء نى ابن العلاء صاحبى فدخل على وفى يده نرجس فجلسنا نشرب وطلع القمر ، فقلت له : يا حسين أيما أحسن القمر أم محمد ؟ فأطرق ساعة ثم قال : اسمع جواب الذى سألت عنه »[٤] وأنشد الأبيات . وهى ستة فى هذه الرواية كما ذكرنا .

ورواية الأبيات فى خبرين مختلفين لا يشكك فى نسبتها بأى حال ، وتفسير ذلك أنه قد يكون أنشدها فى مجلس صالح ثم أعادها فى حديثه مع أبى نواس أو العكس .

ومما نسب لغيره أيضا مقطوعة من أربعة أبيات تبدأ بقوله[٥] :

ألست ترى ديمة تهطـــل وهذا صباحك مستقبل

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء ص ١٢٠ ط ١٣٠٥ .

(٢) انظر كتاب بغداد ص ٣٢٥ وأغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٨ – ١٦٩ والديارات ص ٣١ وزهر الآداب جـ ٣ ص ١٢١ ط سنة ١٩٢٥ ومعجم الأدباء ص ١٥ ط الوزارة .

(٣) ذكر هذا الخبر فى كتاب بغداد والأغانى والديارات من المصادر السابقة .

(٤) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٩ .

(٥) انظر رسائل منتخبة ص ١٩٤ .

فقد نسبها الثعالبي لسعيد بن حميد ، بينما ذكرها أبو الفرج فى محاورة[1] بين الحسين والحسن بن سهل من خمسة أبيات . وكذلك ذكرها الشريشى[2] بعده بنفس الخبر . وأبو الفرج أقرب إلى زمن الحسين وأوثق رواية من الثعالبي الذى أخطأ فى نسبتها .

ومما أخطأ الثعالبي أو خلط فى نسبته أيضا من شعر الحسين مقطوعة من ثمانية أبيات تبدأ بقوله[3] :

أتانى عنك ما ليـــس على مكروهـــه صـــبر

فقد ذكر فى المنتحل قبلها هذه العبارة « وقال محمود ويروى لغيره »[4] ولم نعرف من هو محمود هذا الذى يقصده . على أنه قد نسبها للحسين فى كتاب آخر له هو « أحسن ما سمعت »[5] وبذلك أثبت على نفسه الخطأ فى النسبة الأولى . ويؤكد صحة نسبتها للحسين أن ياقوت الحموى[6] نسبها إليه كذلك ، وإن كان أبو حيان التوحيدى[7] قد ذكرها قبلهما فى « الأدب والإنشاء » دون نسبة لأحد .

وذكر أبو الفرج من شعر الحسين ثلاثة أبيات فى مدح المأمون وبيتين فى رثاء الأمين والتعريض بالمأمون منسوبة إلى ابن البواب[8] فى رواية على لسان الحسين نفسه . ولكنه تنبه بنفسه إلى هذا الخلط فى ترجمته للحسين إذ قال — بعد أن ذكر تلك الأبيات وخبرها — : «وهذه الأبيات تروى لابن البواب وستذكر فى أبوابه إن شاء الله تعالى ، وعلى أن الذى رواها غلط فى روايته غلطا بينا ، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحاك ، وقد روى أيضا فى أخباره أنه دفعها إلى ابن البواب فأوصلها إلى المأمون وكان له صديقا ، ولعل الغلط وقع من هذه الجهة »[9] .

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٧٩ .

(٢) شرح المقامات ج ٢ ص ٤٢١ ط سنة ١٢٨٤ .

(٣ ، ٤) انظر المنتحل ص ١٢٨ .   (٥) أحسن ما سمعت ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٦) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٢ ط الوزارة .

(٧) الأدب والإنشاء ص ٩٢ ط الجوائب سنة ١٣٠١ هـ .

(٨) أغانى بولاق ج ١٠ ص ٤٣ .   (٩) أغانى الدار ج ٧ ص ١٤٩ .

وذكر أيضا بيتين من شعر الحسين فى رثاء الأمين ، وقال بأن « عريب » المغنية ذكرت أن هذا الشعر للفضل بن يحيى ، ولها فيه لحنان . وأولهما قوله :

سألونا عن حالنا كيف أنتم   من هوى نجمه فكيف يكون

ولكن أبا الفرج علق على هذا الغلط بقوله « وهذا غلط من عريب ولعله بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا فأنسيته ، وجعلت هذا مكانه ، فأما هذا الشعر فللحسين بن الضحاك ، لا يشك فيه يرثى به محمد الأمين »[1] ولسنا فى حاجة إلى تأكيد صحة نسبتها للحسين بعد أبى الفرج ، وإن كنا نذكر أن هناك مصادر أخرى نسبتها للحسين .

وذكر الراغب الأصبهانى بيتا من قصيدة الحسين فى مدح الواثق ونسبه لسلم الخاسر وهو قوله[2] :

ولى عند رؤيته روعــــة   تحقق ما ظنــــه المتهــم

وقد ذكر هذا البيت ضمن قصيدة الحسين فى عدة مصادر هامة ، فنسبته إلى الحسين مؤكدة لا شك فيها ، وإنما أخطأ الراغب فى نسبته لسلم الخاسر خطأ بينا .

وبيتان آخران نسبهما المسعودى إلى الحسين على أنه قالهما فى مقتل المتوكل وأولهما[3] :

إن الليالى لم تحسن إلى أحــد   إلا أساءت إليه بعد إحسـان

---

(١) أغانى بولاق جـ ١٨ ص ١٧٨ .

(٢) انظر محاضرات الأدباء جـ ٢ ص ٤٦ ط ١٣١٦ وجمعه المستشرق غرنيلوم ضمن شعره فى كتابه شعراء عباسيون ص ١١٢ ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم . والبيت مذكور ضمن القصيدة فى الأغانى جـ ٧ ص ١٩٥ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٨ والزهرة ص ٤٠ ومسالك الأبصار جـ ٩ ص ٢٩٢ .

(٣) انظر مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٠٩ ط سنة ١٢٨٣ .

ولكنى وجدتهما مع أبيات أخرى من نفس القافية منسوبة إلى عمرو ابن شيبان الحلبى فى عدة مصادر[1] وإلى أبى الوارث قاضى نصيبين فى مصادر أخرى[2] وخبرهما متشابه فى الطريقة التى قيلت بها الأبيات ، إذ روى أن عمرو بن شيبان الحلبى قال: «رأيت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل فيما يرى النائم كأن آتيا أتانى فقال لى : (الأبيات) قال : فأصبحت فإذا الناس يخبرون أن جعفرا قد قتل فى هذه الليلة[3] » كما روى أن أبا الوارث « رأى فى النوم آتيا أتاه[4] » وهو يقول (الأبيات) . فنسبتها للحسين مشكوك فيها ،وقد ذكرت فى الفصل السابق أنه من المستبعد أن يتعرض الحسين لمثل هذه الحادثة فى شعره ،وخاصة بعد التجربة القاسية التى مر بها نتيجة رثائه الأمين . ثم إن المنتصر الذى قتل أباه المتوكل قد أكرم الحسين وأحسن معاملته لما ذهب لتهنئته بالخلافة ومدحه . ولا يعقل أن تكون معاملته له بهذه الصورة ، إذا كان قد قال هذه الأبيات التى فيها تعريض بقاتلى المتوكل فى بعض رواياتها . ونرى فى طريقة روايتها التى لم تنسبها للحسين أن قائلها لا يجرؤ على نسبتها لنفسه وإنما ينسبها لمن أتاه فى المنام هربا من العقاب على قولها . فكيف يجرؤ الحسين على ذلك وهو فى ذلك الوقت كان قد جاوز التسعين من عمره ؟ إن كل الدلائل تشير إلى خطأ هذه النسبة التى انفرد بها المسعودى دون المصادر الأخرى .

---

(١) انظر عيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٣٦٣ وعقد الجمان (مخطوط) جـ ١٤ قسم ١ حوادث سنة ٢٤٧ هـ ، وتاريخ بغداد ترجمة المتوكل ومرآة الزمان (مخطوط) جـ ٦ ص ٢٣ .

(٢) انظر شرح المقامات جـ ٢ ص ٧٣ ط سنة ١٢٨٤ والطبرى جـ ٣ قسم ٣ حوادث سنة ٢٤٧ ط ليدن .

(٣) انظر هذه الرواية فى مصادر هامش (١) وخاصة تاريخ بغداد وعيون التواريخ .

(٤) انظرها فى مصادر هامش (٣) .

وفى مختصر طبقات الشعراء نسبت ثلاثة أبيات من شعر الحسين لأبى خالد المهلبى ، وهى التى تبدأ بقوله[١] :

سيبقى فيك ما يهدى لسانى   إذا فنيت هدايا المهرجان

وقد سبق أن نسبها ابن المعتز فى الطبقات للحسين ، ولا شك أن هذه النسبة هى الأصح لأن الطبقات هى الأصل الذى أخذ منه المختصر .

وأربعة أبيات أخرى نسبها ابن منظور للحسين ،ولكنه أبدى شكه فى نسبتها بقوله « وتروى لغيره » وتبدأ بقوله[٢] :

أدر الكأس علينـــــــا   أيهـــا الســـاقى لنطـــرب

ويلاحظ أنه لم يحدد اسم الشخص الآخر الذى تروى له ،وبهذا تعد نسبتها للحسين هى الغالبة ، أما نسبتها لغيره فجاءت من قبيل الخلط ، وعدم ذكر اسم صاحبها الآخر ، من شأنه أن يقوى نسبتها للحسين .

وفى الخبر الذى ذكر صلاة بعض الشعراء جماعة وبينهم الحسين ، وأن الإمام أخطأ فى قراءة « قل هو الله أحد » ، فتناولوه بألسنتهم مستهزئين ، وقال كل منهم بيتا فى ذلك ، نجد نسبة هذه الأبيات إليهم تختلف بين مصدر وآخر فبيت الحسين فى أغلب المصادر هو[٣] :

كأنمـــــا لســــانه   شـــد بحبل من مســـد

---

(١) انظر طبقات الشعراء ص ٢٧١ ط سنة ١٩٥٦ ومختصر الطبقات ص ٢٤ ٤ .

(٢) انظر نثار الأزهار ص ١١٢ ط الجوائب سنة ١٢٩٨ .

(٣) انظر بدائع البداءة ص ١٢٣ ط سنة ١٢٨٧ والعمدة جـ ٢ ص ٩١ ط سنة ١٩٦٢ وديوان مسلم بن الوليد ص ٢٧١ ط ليدن سنة ١٨٧٥ .

بينما ذكر فى « الغرر والعرر » أنه قال[1] :

يزحـــــــر فى محــــــرابه زحـــــير حبـــلى بولـــد

وينسب هذا البيت فى روايات أخرى لمسلم بن الوليد[2] أو للعباس بن الأحنف[3] أو لعلى بن الخليل[4] . كما أن بيت الحسين لم ينسب إليه فى مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصفهانى[5] وإنما ذكر قبله « وقال آخر » دون تحديد لقائله . وقد حدث هذا الخلط بطبيعة الحال نتيجة تعدد أشخاص الشعراء من ناحية ، وتعدد الروايات من ناحية أخرى . والمرجح أن بيت الحسين هو الأول لا تفاق أغلب المصادر عليه .

هذه كل الشواهد التى عثرنا عليها بالبحث فى المصادر المختلفة ، ووجدنا خلطا فى نسبتها بين الحسين وبين شعراء آخرين ، ومنها نرى مدى ما تعرض لهشعره من انتحال لغيره واختلاط فى نسبته . ويتبين لنا أنه كان المعتدى على على حقه فى أغلب الأحيان . وخاصة إذا كان التنازع على هذا الحق بينه وبين أبى نواس ، والذى ساعد على ذلك هو فقد ديوانه ، ولو أنه وصل إلينا لوضع حدا لهذا الانتحال أو الاختلاط ، ولكشف لنا عن قصائد أخرى فى ديوان أبى نواس وغيره هى فى حقيقتها من صميم شعره .

---

(١) انظر الغرر والعرر ص ١٧٤ .

(٢) انظر العمدة ج ٢ ص ٩١ .

(٣) انظر بدائع البداءة ص ١٢٣ .

(٤) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٨ ط سنة ١٣٣٢ .

(٥) انظر ديوان أبى نواس ص ٤١ ط آصاف .

٣ ــ الأغراض التقليدية :

١ ــ المديح :

لا شك أن قصيدة المديح هي الدعامة الأولى للشعر التقليدى ، وهى التى حفظت مظاهره وخطوطه المرسومة إلى حد كبير . فمن ناحية الشكل كان لها تخطيط لا ينبغى للشاعر أن يخرج عليه ، وعليه أن يلتزمه التزاما . وكما يقول ابن قتيبة « ليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين »[1] ويوضح هذه الخطوط المرسومة لشكل قصيدة المديح بتدرجها من ذكر الديار والدمن واستيقاف الرفيق ، إلى النسيب وذكر الشوق والصبابة ، ثم إلى الحديث عن رحلة الشاعر وسرى الليل وحر الهجير ، حتى يوجب حق الرجاء فيكون المديح . ومن ناحية المضمون عليه أن يلتزم بالعناصر الفنية الموروثة حتى ليخطىء من يقف على منزل عامر ومن يرحل على حمار ومن يرد المياه الجوارى ومن يقطع إلى الممدوح منابت الورد والنرجس والآس[2] .

هذا النهج التقليدى لقصيدة المديح هو الذى أخذ به الشعراء فى العصور الأولى للأدب العربى أى فى العصر الجاهلى والأموى وبداية العباسى ، ولم يحدث فيه تغيير أو تطوير إلا مع الحركة التجديدية التى بدأت تظهر وتزدهر فى العصر العباسى على يد الشعراء المحدثين من أمثال أبى نواس ومسلم والحسين وغيرهم . وكان أبو نواس هو أول من نادى بالدعوة إلى نبذ هذا التقليد والتحرر من قيوده كما يقول[3] :

مالى بدار خلت من أهلها شغل	ولا شجانى بها شخص ولا طلل
ولا رسوم ولا أبكى لمنزلــة	للأهل عنها وللجيران منتقــل
بيداء مقفرة يوما فأنعتهــــــا	ولا سرى بى فأحكيه بها جمل
ولا شتوت بها عاما فأدركنى	فيها المصيف فلى عن ذاك مرتحل

(١ ، ٢) الشعر والشعراء ص ٢٠ .

(٣) ديوان أبى نواس ص ٦٩٨ ط سنة ١٩٥٤ تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى .

ولاشددت بها من خيمة طنبا ... جاري بها الضب والحرباء والورل
لا الحزن مني برأى العين أعرفه ... وليس يعرفني سهل ولا جبل
لا أنعت الروض إلا ما رأيت به ... قصرا منيفا عليه النخل مشتمل

وهكذا يفصل القول فى هذه القضية مبررا تركه لهذا التقليد السقيم ، شارحا وجهة نظره فى الإعراض عنه ، فما الذى يدعوه إلى بكاء ديار لا تربطه بأهلها صلة ولا يعلم عنها شيئا ؟ . وما الذى يدعوه إلى وصف رحلة فى بيداء أو ذكر ركوب الجمال وما يصادفه فى هذه الصحراء من حيوانات وهو لم ير من كل ذلك شيئا ؟ .

إن هذا كله لا حاجة له فى ذكره والحديث عنه ، وإنما الأولى بالوصف والذكر ما يراه من قصور منيفة يلفها النخيل، وما إلى ذلك مما يقع عليه بصره وتنفعل به نفسه .

ولم تكن هذه الدعوة وليدة نزعة شخصية من أبى نواس الذى اشتهر بأنه رائدها ، وإنما هى ترجمة لطبيعة العصر وتطور المجتمع فى أفكاره وتقاليده . ولسان الشاعر هو أداة التعبير عن هذا التطور وتصوير جوانبه المختلفة . ونفسه هى البوتقة التى تنصهر فيها تجارب الحياة بكل ألوانها ومرئياتها فيصوغها شعرا . وهو لذلك يميل إلى التعبير عما فى نفسه وما يجول فى خاطره وتحسه مشاعره ، بينما تمج نفسه ترديد أقوال الشعراء القدماء أو السابقين فى أشياء لم يرها ولم تربطه بها صلة .

وموقف الحسين من هذه التقاليد الشعرية القديمة كموقف أبى نواس ، فنراه يزدرى البادية ويصف ما بها وصفا قبيحا ، فكل ما بها شوب أقذاء . وأعرابها أجلاف يتلفعون الأطمار البالية ، وإن كانت خيولهم العربية الأصيلة هى الميزة الوحيدة لديهم إلا أنها لا تستحق أن نهتم بها من أجلهم . هذا الازدراء واضح فى قوله[1] :

ما بين بطن ثبير إن حللت بـــه ... إلى الفراديس إلا شوب أقذاء
فعد همك عن طرف يمارســـه ... جلف تلفع طمرا بين أحنـــاء

(١) انظر مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصفهانى .

كما نجده يفضل الخمر واللهو ، ويؤثر التغنى بذلك فى شعره على ذكر هند وأسماء وديارهما وما إلى ذلك مما تعود ترديده الشعراء فيقول :

هذا النعيم ولا عيش تكون بـــه   هند برابية من بعد أســماء

ونلاحظ أيضا أنه لم يبك ديارا ولم يقف على أطلال فى مطالع قصائده . وإنما أخذ من هذه التقاليد بما تستجيب له نفسه ، أخذ منها النسيب وذكر الصبابة والشوق لأنها معان قريبة من نفس كل إنسان متجددة مع كل زمان فنراه يستهل قصيدته فى مدح الواثق بهذه المعانى ، يقول[1] :

أُكاتم وجدى فمـــا ينكتمْ   بمن لو شكوت إليه رحـمْ
وإنى على حســن ظنى بـه   لأحــذر إن بحت أن يحتشم
ولى عنــد لحظتــه روعـــة   تحقق ما ظنــــه المتهـم
وقد علم الناس أنى لــــه   محب وأحسبه قـــد علم
وإنى لمغض على لوعـــة   من الشوق فى كبدى تضطرم

وفى قصيدته التى مدح بها المعتصم نراه يستهلها بذكر شوقه ولهفته ، ويرمز فى نسيبه إلى ما يعانيه من الحيرة والقلق والخوف نتيجة إبعاد المأمون له ، وصدوده عنه ، وذلك فى قوله[2] :

هلا رحمت تلدُّد المشتـــاق   ومننت قبل فراقه بتـــلاق
إن الرقيب ليستريب تنفسى الصـ   ـعدا إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة   عبرى عليك سخينة الآماق
نفسى الفداء لخائف مترقب   جعل الوداع إشارة بعنـاق
إذا لا جواب لمفحم متحير   إلا الدموع تصان بالإطراق

فهو فى ذلك ليس شاعرا تقليديا متصنعا يتكلف فى شعره ، ويتبع ما تمليه عليه التقاليد الشعرية دون أن يعبر عن حقيقة مشاعره . وإنما هو يعبر

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٥ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ٨ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥ — ١٥٣٢ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٨ .

فى نسيبه عما يجول فى نفسه وما تعانيه من آلام ، ويسجل أحاسيسه ومشاعره فى صدق بالغ ، وانفعال عميق ، وطبع قوى . وبذلك يخضع التقليد الموروث لشاعريته ويشكله بالطريقة التى ترضاها نفسه .

ونهج القصيدة التقليدى يملى على الشاعر أن يذكر رحلته إلى الممدوح على أن يكون رحيله على ظهور الإبل كالشاعر القديم ، فإذا جعل رحلته على ظهر حمار أو غير ذلك كان مخطئا ، لأنه يكون بذلك قد خرج على النهج المرسوم . وهنا نجد الحسين يأخذ بالتقليد فى وصف الرحلة ، ولكنه يخالفه فى الوسيلة التى رحل عليها ، فلا يجعلها كوسيلة الشاعر القديم لأنه غير مقتنع بذكر شىء لم يحدث ، وإنما يذكر رحلته على ظهر السفينة فى نهر دجلة ؛ وبذلك لا يعدو ذكر الحقيقة إذ أن سفره من البصرة إلى بغداد غالبا ما يكون طريق النهر ، فهما تقعان عليه ، والسفينة أسهل وسيلة للسفر بينهما . وهذا ما نجده فى قصيدته التى مدح بها الواثق[1] :

إلى خازن الله فى ملـــكه   سراج النهار وبدر الظـلم
ركبنا غرابيب زفافــــةً   بدجلة فى موجهـا الملتطم
إذا ما قصدنا لقـــاطولها   ودهم قراقيرها تصطـدم
سكنا إلى خير مسكونـــة   تيممها راغب من أمـــم
مباركة شـــاد بنيانهـــا   بخير المواطن خير الأمـــم

وهكذا يمضى فى وصف السفينة حتى يخرج من ذلك إلى مدح الواثق كما هو متبع فى النهج التقليدى للقصيدة .

ويبلغ عدد ما وصل إلينا من أبيات هذه القصيدة سبعة وعشرين بيتا[2] ، وهى أطول قصيدة له فى هذا الغرض ، مع العلم بأن أبا الفرج وياقوتا لم يروياها كاملة .

(١) ، (٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٥ – ١٩٦ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ٨ وما بعدها .

على أننا نلاحظ أن الحسين لا يتبع ذلك النهج فى بعض مدائحه . فى قصيدة أخرى فى مدح الواثق نراه يستهلها بمدحه مباشرة دون المقدمة التقليدية المعروفة وما يتلوها من ذكر رحلة وغير ذلك . وهذا واضح من مطلعها الذى يقول فيه[١] .

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا   وخص بسقياه مناكب قصركا

وإذا كانت هناك بعض أبيات لم تصل إلينا بعد هذا البيت ، لأن أبا الفرج الذى روى القصيدة اكتفى بأن قال — بعد هذا المطلع — « حتى انتهى إلى قوله » وذكر أبياتا أخرى فى وصف الصيد ، وإذا كانت هذه الأبيات لم يروها أبو الفرج فانها لا تعدو أن تكون استمرارا للمعنى الذى بدأ به مستهلا مديحه للواثق .

ويمكننا أن نرجع السبب الذى جعل الحسين يغفل اتباع النهج التقليدى فى هذه القصيدة إلى المناسبة التى قيلت فيها ، وهى أنه « كان مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد ، فصاد صيدا حسنا وهو فى الزو من الإوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ، ثم رجع فتغدى ودعا بالجلساء والمغنين وطرب ، وقال : من ينشدنا ؟ فقام الحسين فأنشده » هذه القصيدة . ويبدو أن الحسين كان يتوقع أن يطلب الواثق ذلك فجهز الأبيات فى نفسه قبل أن يعقد المجلس حتى إذا حانت الفرصة وطلب الإنشاد كان أول الملبين . ومع توقع الحسين ذلك فان الوقت لم يكن يتسع لأن ينظم قصيدة طويلة يتبع فيها النهج التقليدى . وهذا ما دعاه للمدح المباشر ووصف الصيد ومجلس اللهو دون أن يضيع الوقت والجهد فى مقدمات خارجة عن الموضوع

وهو فى وصف الصيد يربطه بذكر الواثق وكأنه عنصر من عناصر مدحه فيقول[٢] :

تمين للدراج فى جنباتـــه   وللغر آجال قدرن بكفكا

---

(١) ، (٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٨ — ١٥٩ .

ويصف مجلس لهوه وشرابه وطربه على أنه من مظاهر نعمته ، وطيب العيش فى دولته ، فيقول :

تصرف فيه بين ناى ومسمع ومشمولة من كف ظبي لسقيكا
قضيت لبانات وأنت مخيم مريح وإن شطت مسافةعزمكا

ثم ينتقل إلى مدحه فيقول :

خلقت أمين الله للخلق عصمة وأمنا فكل فى ذراك وظلكا
وثقت بمن سماك فى الغيب واثقا وثبت بالتأييد أركان ملككا
فأعطاك معطيك الخلافةشكرها وأسعد بالتقوى سريرة قلبكا
إذا كنت من جدواك فى كل نعمة فلا كنت إن لم أفن عمرى بشكركا

وقد روى أبو الفرج من هذه القصيدة اثنى عشر بيتا . ومع ملاحظتنا بأنها تنقص بعض الأبيات بعد البيت الأول ، فإننا نرجح أنها أبيات قليلة لأنها قيلت على عجالة وبدون إعداد كاف ،كشأن قصائد المدح الأخرى التى يقدم فيها الشعراء أفضل ما لديهم من بضاعة الشعر ،والتى يستكملون فيها جميع العناصر التقليدية المعروفة .

وهو على أى حال لا يتمسك دائما بالتقاليد الشعرية فى مدائحه ،سواء قالها على عجالة أو أعدها إعدادا كافيا لينشدها أمام ممدوحه ولينال إعجابه وتقديره وعطاءه ، وهذا ما نراه واضحا فى مطلع قصيدته التى مدح بها المنتصر وهنأه بالخلافة ، إذ يبدؤها بلا نسيب أو بكاء على ديار أو وقوف على أطلال وإنما يدخل فى موضوعه مباشرة فيقول[1] :

تجددت الدنيا بملك محمد فأهلا وسهلا بالزمان المجدد
هى الدولةالغراء راحت وبكرت مشمرة بالرشدفى كل مشهد
لعمرى لقدشدت عرا الدين بيعة أعز بها الرحمن كل موحد
[هتتك أمير المؤمنين خلافة جمعت بها أهواء أمة أحمد

(١) الأغانى ج ٨ ص ١٧١ ط الساسى ومعجم الأدباء ج ١٠ ص ١١ .

ومعظم ما وصل إلينا من شعر الحسين فى المديح أبيات مختارة من قصائده فقصيدته فى مدح المعتصم بمناسبة فتحه عمورية ، والتى ذكر المسعودى أنها طويلة لم يذكر منها سوى أربعة أبيات هى قوله[1] :

لم تبق من أنقرة نقـــــــرة ... واجتحت عمورية الكـــبرى
إن يشك توفيل بتاريخـــــه ... فحق أن يعذر بالشـــكوى
تفنى بنو العيص وأيامهـــم ... وذكر أيامك لا يفـــنى
يارب قد أملكت من بابك ... فاجعل لتوفيلهم العقـــبى

ولو أن هذه القصيدة وصلت إلينا كاملة لأفادتنا فى دراسة شعره إفادة كبيرة ، لأن مناسبتها من أبرز المناسبات التاريخية ، ومن أهم الوقائع الحربية التى تناولها الشعراء وتنافسوا فى الإشادة بذكرها والافتخار بانتصار العرب على الروم فيها ، فهى موضوع دسم للدراسة المقارنة ، ومعرفة قدرته على قرض الشعر الحماسى ، وهو الذى عرف بالمجون والخمر .

ومثل هذه القصيدة قصيدة له أخرى فى مدح أبى الحسين الأفشين قائد جيوش المعتصم بمناسبة واقعة عمورية كذلك . وقد ذكر المسعودى أنها قصيدة طويلة ومع ذلك لم يرو منها سوى أربعة أبيات زاد عليها الطبرى ثلاثة أخرى ، فمجموع الأبيات التى وصلت إلينا منها سبعة فقط ، نذكر منها قوله[2] :

أثبت المعصـــوم عزا لأبى ... حسن أثبت من ركن إضم
كل مجد دون ما أثلـــــه ... لبنى كاوس أملاك العجـــم
إنما الأفشين سيف سلـــه ... قدر الله بكف المعتـــصم

ونلاحظ أنه فى مدحه للأفشين لا ينسى ذكر المعتصم وما له من فضل عليه ، وأن الأفشين سيف فى يده سله الله على أعدائه . ويسجل ما فعله [الأفشين بهؤلاء الأعداء وهم بابك الخرمى وتوفيل الرومى] فيقول[3] :

ثم أهدى سلما بابكـــــه ... رهن حجلين نجيـــا للنـــدم

(١) التنبيه والإشراف ص ١٧٠ .
(٢) ، (٣) الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٤ والتنبيه والإشراف ص ١٤٤ .

وقرا توفيل طعنا عادة — فض جمعهم هــزم
قتــل الأكثر منهم ونجــ ــن نجا لحما على ظهر وضم

وقصيدته فى مدح الحسن بن سهل وزير المأمون لم يصل منها سوى تسعة أبيات، ولا شك فى أنها كانت قصيدة طويلة، لأن الهدف منها لم يكن مجرد المدح وكسب نوال الممدوح كما هى العادة، وإنما كان هدفه أن يشفع الحسن له عند المأمون ؟ وكانت هذه أمنية صعبة التحقيق لسوء رأى المأمون فيه كما عرفنا . وتلك عوامل من شأنها أن تجعل الحسين يبذل قصارى جهده فى إعداد قصيدة جيدة تنال إعجاب الحسن وتقنعه بأن يقوم بهذه المهمة . وفى هذه الأبيات يظهر بوضوح هدف الحسين من مدحه ، إذ يجعله معقد الآمال وموئلها فى قوله[1] :

أرى الآمال غــير معرجات على أحد سوى الحسن بن سهل

وصاحب السماحة المثلى والفضل العميم فى قوله :

يبارى يومــه غــده سمــاحا كلا اليومين بان بكل فضل

ورجل الحكمة الصائبة والقول الفصل فى حل المشكلات العويصة فى قوله :

فإن حضرتك مشكلة بشك شفاك بحكمة وخطاب فصل

وهكذا يدور حول هذه المعانى كأنه يدفع الحسن دفعا إلى مايريد ، ويثير حميته لبذل السعى الحميد .

ومع أن الحسين كان شاعر خمر ومجون وغزل بالدرجة الأولى ؛ فإنه قد بلغ فى شعر المديح أيضا مرتبة عالية تضعه فى مصاف شعرائه المبرزين . وليس أدل على ذلك من أن أبا الفرج فى روايته لشعره فى مدح

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٧٧ ومعجم الأدباء ج ١٠ ص ١٦ — ١٧ .

المعتم قال بأنه « مما قدمه أهل العلم على سائر ماقالته الشعراء[١] » حيث قال :

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى	متعسفين تعسف المـــراق
إنى أحـذركم بوادر ضيغم	درب بحطم موائل الأعناق
متأهب لا يستفز جنـــانه	زجل الرعود ولامع الإبراق
لم يبق من متعرمين توثبوا	بالشام غير جماجم أفـــلاق
من بين منجدل تمج عروقه	علق الأخادع أو أسير وثاق
وثنى الخيول إلى معاقل قيصر	تختـال بين أحزة ورقاق
يحملن كـل مشمر متغشم	ليث هزبر أهرت الأشداق
حتى إذا أم الحصون منازلا	والموت بين ترائب وتراق
هرت بطارقها هرير ثعالب	بدهت بزأر قساور طراق
ثم استكانت للحصار ملوكهم	ذلا وناط حلوقهم بخنـــاق
هربت وأسلمت البلاد عشية	لم يبق غـير حشاشة الأرماق

ونستطيع أن نقول إن أبا الفرج لم يعد الحق فى قوله ؛ لأن الشاعر فى هذا المديح قد أعطانا صورة رائعة لقوة المعتصم وشجاعته فى الحرب وانتصاره على أعدائه الروم ، كما صور قوة جيوشه وشجاعة جنوده وما قاموا به من أعمال بطولية ، وإلى جانب ذلك فإنه قد صور هزيمة الأعداء وما أصابهم من رعب وإذلال وبلاء وهلاك ، حتى إن المعتصم من شدة إعجابه « ملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ثم أمره بأن يخرجه من فيه ، وأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو فى يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله ، كما أمر له لكل بيت بألف درهم وقال له : « أنت تعلم ياحسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادح فى دولتنا[٢] » .

---

(١) ، (٢) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

وعلى العموم فإن ما وصل إلينا من شعر الحسين فى المديح قليل بالنسبة لما قاله فى هذا الغرض. فمدائحه فى الأمين[1] لم يصل إلينا منها شيء، والمعتقد أنها كثيرة لأنه كان أول من نادم من الخلفاء، ولابد أنه قال فى مدحه ما يجعله أهلا لقربه ومنادمته، وما يعبر به عن شكره لفضله الذى غمره به. وكذلك مدائحه فى الأمراء من أبناء الرشيد وغيرهم. وماذكره هو نفسه من مدائحه للناس فى أول مقدمه إلى بغداد[2]. كل هذا لم يصل إلينا منه منه شيء. ولكن من هذه القصائد القليلة التى وصلت إلينا. ومن الأبيات المختارة من قصائده الطويلة، يمكننا أن نرى صورة واضحة المعالم لمديح الحسين، ونخرج من دراستها بنتائج هامة تضع الحسين بين الشعراء المجيدين فى هذا اللون، كما تضعه إلى جانب أبى نواس بين المجددين من الشعراء فى العصر العباسى، الخارجين على التقاليد الشعرية الموروثة للقصيدة العربية والتى تتمثل بصورة واضحة فى شعر المديح.، وإن لم يكن هذا الخروج خروجا تاما أو نبذاً كاملا، إذ أنه ينحصر فى عناصر القصيدة التى تتنافر مع طبيعة الحياة الجديدة وحاجة العصر المتطورة.

* * *

(٢) الرثاء :

من الأغراض التقليدية الهامة فى شعر الحسين الرثاء، ورثاؤه يكاد يقتصر على الخليفة العباسى الأمين، الذى كان لمقتله أشد الأثر على نفسه حتى قيل « إنه خولط من جزعه عليه فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : إنه مستتر وإنه قد وقف على تفرق دعاته فى الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنابه وشفقة عليه »[3]

ولعل هذا القول لم يجانب الحق كثيراً فى وصف حال الحسين بعد بعد مقتل الأمين، لأننا نجد صداه فى شعره قويا، بل إنه يكاد يكون شرحا أو تفسيراً لمعانى الأبيات التى يقول فيها[4] :

سألونا أن كيف نحن فقلنـــا من هوى نجمه فكيف يكون

---

(١) ذكر جورجى زيدان أن مدائحه فى الأمين كثيرة دون اعتماد فى قوله على أية قصيدة فى مدحه. أنظر تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٢ ص ٨١ سنة ١٩٣٦.

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٣. (٣، ٤) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥١.

نحن قوم أصابنـا حدث الدهر فظللنـــا لريبـه نستكين
نتمنى من الأمــين إيابـا لهف نفسى وأين منى الأمين

فهو ما زال يأمل فى رجعة الأمين و يتمناها ، وكيف يعتقد فى إمكان حدوث ذلك إلا إذا كان لا يصدق بقتله ، ويظن أنه ما زال حيا مستترا يدعو الناس إلى الوفاء ببيعته كما يقول أبو الفرج .

والذى يقرأ مراثى الحسين فى الأمين يحس فعلا بشدة فجيعته فيه وحزنه عليه ، ويشعر بدموعه المنهمرة وكبده الحرى ، ورزيته البالغة ، وذلك واضح من قوله[1] :

يا خــير أسرته وإن زعمــوا إنى عليك لمثبت أســف
الله يعــلم أن لى كبــدا حرى عليك ومقــلة تكف
ولئن شجيت بمـا رزيت بـه إنى لأضمــر فوق ما أصف

وفى رثائه يصف ما حل بأسرة الأمين وأهل بيته من ذل وهوان وما فعل بهن جنود المأمون من الفظائع ، وكأنه بذلك يثير ثائرة الناس ويستعديهم على المأمون وجنوده الذين هتكوا حرمة أبيه وبالتالى حرم الرسول ، ونهبوا وسلبوا ما شاءوا من بيته ، وفى ذلك يقول[2] :

هتكوا بحرمتك التى هتكــت حرم الرسول ودونها السجف
ونبت أقاربك التى خــذلت وجميعهــا بالــذل معترف
تركوا حــريم أبيهم نفــلا والمحصنات صوارخ هتف
أبدت مخلخلهــا على دهــش أبكارهن ورنت النصــف
سلبت معـاجرهن واجتليت ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خــلال منتهب در تكشف دونه الصــدف

---

(١)، (٢) انظر القصيدة فى الطبرى ج ٣ ص ٩٤١ ط ليدن وابن الاثير ج ٦ ص ١١٨ ط أولى سنة ١٣٠١ و ج ٦ ص ٢٠٤ ليدن .

ويكرر ذكر هذه الفظائع التى حلت ببيت الأمين أو آل النبى فى قصيدة أخرى ليزيد ثورة الناس ويلهب الحمية فى نفوسهم ، مبديا أسفه لهذه الأحداث الشنيعة فيقول : (١)

ومما شجى قلبى وكفكف عبرتى	محارم من آل النبى استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها	كعابٌ كقرن الشمس حين تبدّت
إذا خفرتها روعة من منازع	لها المرط عاذت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم	هتفن بدعوى خير حى وميت
أردُّ يدا منى إذا ما ذكرته	على كبد حرّى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة	ولا بلغت آمالهم ما تمنت

وقد عرف الحسين كيف يطرق المواطن الحساسة فى دعواه تلك ، حتى إنه لم يثر ثائرة الناس فحسب — بل أثار ثائرة المأمون نفسه ، وأجج غيظه فغضب عليه أشد الغضب لهذه الأقوال التى تمس العرض والشرف أكثر مما غضب لهجائه ، ولذلك كان تأنيبه له — لما دخل عليه — منصبا عليها ، إذ قال له : « أخبرنى هل رأيت يوم قتل أخى هاشمية قتلت وهتكت ؟ قال : لا ، قال فما قولك ؟ » وذكر له الأبيات السابقة .

وفى رد الحسين على المأمون يبرر ما قاله ويبين الأسباب التى دفعته إلى هذه الأقوال ، نحس صدق فجيعته وعميق حزنه ، حتى أن المأمون دمعت عيناه تأثرا من قوله وعفا عنه ولم يعاقبه إلا بعدم استخدامه . هذا الرد هو قوله : « يا أمير المؤمنين : لوعة غلبتنى وروعة فاجأتنى ، ونعمة سلبتها

(١) انظر الأبيات والحوار الذى دار بين الحسين والمأمون بسببها فى ابن الاثير ج ٦ ص ١١٩ ط أولى سنة ١٣٠١ و ج ٦ ص ٢٠٤ ليدن وعيون التواريخ ج ٧ حوادث سنة ٢١٨ ترجمة المأمون والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٦ ط دار الكتب سنة ١٩٣٠ والأغانى ج ٧ ص ١٦٦ والفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧٤ .

بعد أن غمرتنى ، وإحسان شكرته فأنطقنى وسيد فقدته فأقلقنى فإن عاقبت فبحقك وإن عفوت فبفضلك[١] » .

ويذكر الحسين فى رثائه أن المأمون قد غدر ونقض العهد المعقود مع أخيه أيام الرشيد ، ويجعل من ذلك حجة ضده وخطأ لا يغتفر فيقول[٢] :

لاهيبوا صحفا مشرفـــــة　　للغادرين تحتها الحـــــدف
أفبعد عهد الله تقتلــــه　　واقتل بعد أمانة ســـرف

وكأن الحسين قد نسى أن الأمين هو الذى بدأ بنقض العهد حين هم بخلع المأمون من ولاية العهد وتولية ابنه مكانه . ولعل لوعة الشاعر هى التى دفعته إلى هذه المغالطة وإلى اختلاق الأخطاء للمأمون . وقد عرفنا أنه زاد فى رثائه حتى تجاوز الحد وعرض بالمأمون وهجاه متمنيا له التشريد والتلف وبألا يفرح بالملك بعد الأمين .

وكان بعد المأمون عن بغداد وإقامته بخراسان زهاء سنة سنوات بعد مقتل الأمين عاملا هاما فى رثاء الحسين للأمين ، إذ وجد الحرية فى أن يطلق لسانه بما شاء من القول دون رقيب يحاسبه أو زاجر يمنعه .

وفى مرثية أخرى يبدو أنه قالها بعد مقتله بمدة وجيزة لأنه يذكر فيها منازل الأمين وأماكن لهوه وأيام عزه وما تثيره نفسه من شجون وأحزان فيقول[٣] :

إذا ذكر الأمين نعى الأمينـــا　　وإن رقـد الخلى حمى الجفونا
ومابرحت منازل بين «بصرى»　　«وكلوا ذى» تهيج لى شجونـــا

---

(١) علق بن شاكر الكتبى على هذا الشعر والحوار بقوله له أهميته وهو « والذى ذكره الخليع هو الصحيح وأى هتيكة أعظم من خروج زبيدة أم المؤمنين حاسرة مكشوفة الرأس ناشر شعرها ومعها بنات الخلفاء عليهن المسوح يلطمن فى شوارع بغداد ويحثين على رؤوسهن الرماد حتى ثنا عليهن كل صديق وكل عدو . وإنما الخليع خاف من المأمون فاعتذر بما ذكره (أنظر عيون التواريخ جـ ٧ حوادث سنة ٢١٨) .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ٩٤١ وابن الأثير جـ ٦ ص ٢٠٤ ط ليدن .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ٩٤٢ .

عراص الملك خاوية تهـادى ... بها الأرواح تنسجها فنونـا
تخون عـز ساكنها زمـان ... تلقب بالقرون الأولينـا
فشتت شملهم بعـد اجتماع ... وكنت بحسن ألفتهم ضنينـا
فلم أر بعدهم حسنـا سـواهم ... ولم ترهم عيـون الناظرينـا
فوا أسفـا وإن شمت الأعادى ... وآه على أمـير المؤمنينـا

فنى هذه الأبيات نحس صدق العاطفة وتدفق المعانى عن طبع قوى ، وأن وقع المصيبة ما زال شديدا على نفسه ، يهيج أشجانها ويثير كوامن ذكرياتها .

وينعى أيام السعادة الجميلة وما صارت اليه بعده من ضلال عن عرفه الحسن ، وترك لطريقته المثلى فى البذل والكرم ، حتى أن مطايا الراغبين وقصاد بيت الخلافة قد أصبحت فى راحة وترف لأنها لم تعد تركب ، ولم تعد تحمل أصحابها إلى مكان العز والجاه الذى خلا بموته فيقول[1] :

أضل العرفَ بعـدك مُتبَعوه ... ورفّـه عن مطايا الراغبينـا
وكن إلى جنـابك كل يوم ... يرحن على السعود ويغتدينا

ومع ما عرف عن الأمين من حب اللهو والترف وحياة المجون ومجالس الشراب والغناء فان الحسين يتناسى كل ذلك ، وينسى أنه كان من المقربين إليه لخلاعته وظرفه ومجونه ، فلا يشير من قريب أو بعيد إلى شىء من ذلك ، وإنما يصفه بعكسه تماما ، فهو حامى حمى الدين الذى صار بعده مطروحا مهينا ، وهو الذى روع الصالحون بمقتله ونجعوا فيه ، بل إن الدنيا لتندب بعده الدين المصون ، الذى مات بموته ، أو لم يعد مصونا كما كان فى أيامه ، وبموته ذل المسلمون بينما عز شعب كسرى وعزت ملتهم ، وكأنه يعنى بذلك أن الفرس الذين نصروا المأمون ليسوا بمسلمين ، وأنهم بذلك يعيدون مجد كسرى وملته . كل هذه المغالطات يجمعها الحسين فى قوله[2] :

هو الجبل الذى هوت المعـالى ... لهـدته وريع الصالحونا

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ٩٤٢ . (٢) نفس المصدر والصفحة .

ستندب بعدك الدنيــا جوارا ... وتندب بعدك الدين المصونا
فقد ذهبت بشاشة كل شىء ... وعاد الدين مطروحا مهينــا
تعقد عـــزُّ متصلٍ بكسرى ... وملتــــه وذل المسلمونا

ولعل الحسين فى قوله هذا يأخذ بالمبدأ الذى عرف من قديم فى الشعر العربى وهو قولهم « أعذب الشعر أكذبه » ولكننا لا ننظر إلى صدق الحقائق فى تقويم الشعر ، وإنما ننظر إلى صدق المشاعر ؛ فالحسين هنا وإن كان كاذبا لم يذكر الحقيقة فإنه صادق فى عاطفته ، صادق فى حزنه وفجيعته ، ولذلك يرى صاحبه أفضل الناس ويصوره لهم أحسن صورة تمليها مبادئهم ودينهم ، وهو فى سبيل ذلك ينسى أصله الفارسى ، ويندد بما فعله أنصار المأمون من الفرس ويتهمهم بالخروج على الدين وإعادة دين كسرى وإذلال المسلمين ، وما دفعه إلى كل ذلك إلا حبه للأمين وحزنه لفقده بلا تكلف أو افتعال .

ولا نجد للحسين شعرا فى الرثاء غير رثائه للأمين إلا بيتين فى رثاء أبى نواس يعبران عما كان بينهما من صحبة أكثر مما يعبران عن حزن . ولا نحس فيهما صدق العاطفة كما فى رثاء الأمين وهما قوله[1] :

كابرنيـــك الـزمان ياحسن ... فخاب سهمى وأفلح الـزمن
ليتك إذ لم تكن بقيت لنـــا ... لم تبق روح يحوطهـــا بدن

أما ما نسب إليه من رثاء للمتوكل فهو لا يعدو أن يكون تقريرا لما حدث وهو أقرب إلى الموعظة والعبرة منه إلى الرثاء ، كما أن نسبته إليه مشكوك فيها كما سبق أن ذكرنا .

وعلى العموم فإن الرثاء فى شعر الحسين لا يقل جودة عن بقية شعره ، وقد وصف أبو الفرج وغيره مراثيه للأمين بأنها « كثيرة جياد[2] » ومما عرضناه منها نستطيع أن نرى مدى جودتها . فهى تجمع إلى قوة الطبع صدق

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٣ . (٢) نفسه ج ٧ ص ١٥٠ .

العاطفة وتوقد الشعور ، وهذا كفيل بأن يضعها فى مرتبة أجود شعر قيل فى الرثاء . أما كثرتها فلم تتحقق لنا لأن ما وصل إلينا منها قليل ، شأن الأغراض الأخرى فى شعره ، ولكن هذا القليل تتمثل فيه عناصر القوة والجودة التى تقنع الدارس وتغنيه عن الكثير .

(٣) الهجــاء :

والهجاء فى شعر الحسين لا يمثل جانبا هاما ، فليس له فيه إلا مقطوعات وأبيات قليلة ولكنها لا تقل عن مستوى شعره فى الأغراض الأخرى قوة وجودة ، ولعل قلة هجائه راجعة إلى أنه لم يكن ميالا إلى السخرية المقذعة أو لأنه كان فى شغل عن الهجاء بمنادمة الخلفاء وبشعر الخمر والمجون .

وأكثر ما قاله فيه إما بدافع المزاح والظرف وإما بدافع المجاملة للآخرين .

فمما قاله على سبيل المزاح والظرف بيتان فى مغنية كان قد عبث بها مرة فصاحت عليه واستخفت به ، فأراد أن يضحك الجالسين عليها ، ويجعلها موضع سخريتهم فقال[1] :

لهـــا فى وجههـــا عكن وثلثـــا وجههـــا ذقن
وأســـنان كريش البـــط بين أصـــولها عفـــن

وبكت الجارية لذلك بكاء مرا وشاع البيتان فكسدت من أجلهما ، وكانت إذا حضرت فى موضع أنشدوا البيتين فتجن ، ثم هربت فما عرف لها بعد ذلك خبر . والواقع أن فى البيتين هجاء مقذعا ، وخاصة أنها جارية مغنية جل عملها فى مجتمعات الرجال ومجالسهم .

ومن ذلك أيضا ثلاثة أبيات قالها فى هجاء جراح مخنث اسمه نصير وهى[2] :

نصير ليس المـــرد من شـــأنه نصـــير طَبّ بالنكاريش

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٢٤ . (٢) نفسه جـ ٧ ص ٢١٤ .

يقـــول للنكريش فى خلـــوة مقـال ذى لطف وتجميش
هل لك أن نلعب فى فرشـــنا تقلب الطـــــير المراعيش

واشتهرت الأبيات فكان الصبيان بعد ذلك يصيحون به إذا رأوه « يا نصير ، نلعب تقلب الطير المراعيش » فيشتمهم ويرميهم بالحجارة ؛ والذى يجعل الأبيات لاذعة أن الحسين يقصد نقطة الضعف أو مركب النقص فيصب عليه سخريته ،ولشهرة الأبيات وصياح الصبيان بعد ذلك أن يذكياها ويجعلاها شديدة اللذع على نفس المهجو .

وبيتان قالهما فى شخص اسمه « سابور » يصف وجهه بالقبح الشديد كما يرميه بالخسة وكثرة العيوب . فيقول[1]

ســــابور ويحــك ما أخسك بل أخصــــك بالعيـــوب
وجــــــه قبيح فى التبســـم كيف يحسن فى القطـــوب

أما الهجاء الذى يقوله مجاملة لآخرين فمنه هذه الأبيات التى قالها فى غلام أمرد حسن الوجه ، كان ينافس صديقا له فى حب جارية مغنية ، وقد مالت الجارية اليه لشبابه ومروءته ، فذهب هذا الصديق إلى الحسين يشكو ، وسأله أن يقول فى الغلام شعرا . وهنا يختار الحسين الجانب الذى يصب عليه هجاءه ؛ وهو أن الغلام كان ينتف الشعر الذى يخرج من لحيته ، فقال فى ذلك[2] .

خل الذى عنك لاتستطيع تدفعه يامن يصارع من لاشك يصرعه
جاءت طرائق شعر أنت ناتفها فكيف تصنع لو قد جاء أجمعه
الله أكبر لا أنفاك من عجـــب أأنت تحصد ماذو العرش يزرعه
تبا لسعيك بل تبا لأمك . . إذ ترعى حمى خالق الأحياء يمنعــه

فهو لم يزد على أن قال له : تبــا لأمك ولمــا تفعله من نتف شعيرات ذقنك ، وأنك لن تستطيع منع خروج الشعر إذا زادت غزارته ، وهكذا

---

(١) شرح المقامات جـ ٢ ص ١٤٠ ط سنة ١٢٨٤ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٦

يخاطبه بلهجة خفيفة لا تكاد تبلغ درجة الهجاء . ويزيد من شدتها فى أبيات أخرى فيقول[١] :

ثكلتك أمك يابن يوسـ	ـف حتام ويحك أنت تنتف
لو قد أتى الصيف الـذى	فيه رءوس القوم تكشف
فكشفت عن خديك لى	لكشفت عن مثل المقوّف
أو مثـل زرع ناله الـ	يرقان أو نكباء حرجف
فغدا عليه الزارعو	ن ليحصدوه وقد تقصف
فظللت تأسف كالأولى	أسفوا ولم يغن التأسف

فهنا يشبه خديه بالبرد المخطط من أثر نتفهما ، أو بالزرع الذى أكلته الآفات أو أفسدته الرياح الباردة ، فلما جاء الزارعون ليحصدوه وجدوه متقصفا لا نفع فيه ، وبذلك يعطينا صورة لوجهه مشوهة المعالم قبيحة الشكل نتيجة نتفه الشعر منه .

وفى هجائه للعباس بن المأمون نجده لا يزيد على أن يكون مجاملة للمعتصم أو أنه اضطر إلى قوله ، لأنه كان قد أشيع عنه أنه مدح العباس وتمنى له الخلافة فغضب منه المعتصم ، ثم عفا عنه بعد أن اعتذر وشفع له الواثق فقال هذه الأبيات يهجو العباس إرضاء للمعتصم ، وإبعاداً للتهمة عن نفسه . وفيها يصفه بالجهل وقلة المروءة والأدب لحسده المعتصم على مكانه الذى اختاره له أبوه المأمون ، وبأنه لم يرع دينا ولا قرابة فى فعله ، فعليه اللعنة والعار ، يقول[٢] :

خـل اللعين وما اكتسب	لا زال منقطع السبب
يا عـرة الثقلين لا	دينـاً رعيت ولا حسب
حسـد الإمام مكانـه	جهـلا حذاك على العطب
وأبوك قـدمه لمـا	لما تخير وانتخب

(١ ، ٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٦ . (٣) نفسه جـ ٧ ص ١٦٨ .

ما تستطيع سوى التنفـ ـس والتجـرع للكـرب
ما زلت عنـد أبيك منـ ـتقص المـروءة والأدب

ولم يكن الحسين ليستطيع أن يقول ذلك فى أمير عباسى لولا أن العباس تآمر على المعتصم وأراد خلعه من الخلافة ، وهو لذلك يسبه ويسفل فعله ويحقر شأنه ويفضح جهله ، ومع ذلك لا يصل به الأمر إلى درجة الإقذاع التى نجدها فى شعر الهجائين .

(٤) الاعتذار :

كانت طبيعة حياة المنادمة التى عاشها الحسين تفرض عليه أن يكون دائما موضع رضا من ينادمهم وأن يحافظ على مكانته فى نفوسهم ، وأن يلتزم الحدود المرسومة لاحترامهم ، فإذا حدث منه ما يسبب غضب أحدهم عليه ، وجب أن يعتذر ويعمل على إصلاح ما أفسده حمقه أو خطؤه، وبقدر لباقته فى الاعتذار، وحسن معالجته للخطأ ، ووقوع كلامه من نفوسهم موقعا طيبا، يكون نجاحه فى مهمته ، ورضاهم عنه . ومن الطبيعى أن تتكرر ظاهرة الخطأ والاعتذار فى حياة الحسين لظروفها التى عرفناها . ومن ثم يكون الاعتذار فى شعره غرضا بارزا من الأغراض التقليدية ، وأن يعمد فيه إلى الإجادة ليبلغ به مراده . ومع أن ما وصل إلينا من القصائد والمقطوعات فى هذا الغرض قليل ، فإنه يمكننا أن نرى فيها مدى إجادته ومقدار براعته فى هذا اللون من الشعر .

وباستقراء الأسباب التى دفعت الحسين إلى الإعتذار نجدها ثلاثة :

أولها : يتصل بمجالس الشراب والمنادمة وما يجرى فيها من حماقات وخروج على حدود الوقار والاحترام .

ثانيها : يتصل بالسياسة وما يوقعه فيه هواه من أقوال لا تعجب الخلفاء .

ثالثها : يتصل بكبر سنه وعدم قدرته على مواصلة منادمته للخلفاء وتلبية رغباتهم :

أما بالنسبة للسبب الأول ، فيندرج تحته بعض الحوادث التي جاءت في ترجمته تحكي ما كان يجرى في مجالس شرابهم ولهوهم ، وما تسببه الخمر من سكر يجعلهم يأتون بأفعال وأقوال بعيدة عن التعقل والوقار . ويقع الحسين نتيجة لذلك في الخطأ فيسب جليسه أو يرد عليه ردا يغضبه ، فيهاجره ويمنعه من حضور مجالسه بعد ذلك ، فيلجأ الحسين إلى إرضائه بالاعتذار إليه . ومن ذلك ما يقوله الحسين : « كنت يوما عند صالح بن الرشيد فجرى بيننا كلام على النبيذ وقد أخذ مني الشراب مأخذا قويا ، فرددت عليه ردا أنكره وتأوله على غير ما أردت فهاجرني ، فكتبت إليه :

يابن الإمام تركتني همــــلا	أبكي الحيـاة وأندب الأمـلا
ما بال عينك حــسين تلحظني	ما إن تقـل جفونهـا ثقـلا
لو كان لي ذنب لبحت بـــه	كي لا يقال هجـرتني مللا
إن كنت أعرف زلة سلفت	فرأيت ميتـة واحدى عجلا

قال : فكتب إلي « قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه في وقت سكرك ، وقد رضيت عنك رضا صحيحا ، فصر إلي على أتم نشاطك ، وأكمل بساطك . فعدت إلى خدمته فما سكرت عنده بعدها »[1] .

ونلاحظ في اعتذاره أنه يندب خيبة أمله ، ويبكي تعاسة حياته ، نتيجة إهمال صالح له وانصرافه عنه . وبهذا الأسلوب اللين يرضى غروره ويشعره بأن غضبه عليه فيه ضياعه وفساد حياته ، وأنه لا يستطيع أن يتحمل هذا الإهمال منه ، وفي سبيل إرضائه يضحى بولده الوحيد وما أعزه على نفسه . كما نلاحظ أن الحسين يحافظ على مكانته كنديم ، ويحرص على ألا تتغير الفكرة المأخوذة عن ظرفه ولطف معشرة ، فيخشى أن يقال عنه : إن صالحا هجره بعد أن مل مجالسته وضاق بسخفه وسوء أدبه ، فهذا كفيل بأن يشوه سمعته ، ويقطع عليه سبيل الحياة الناعمة اللاهية في هذه الأوساط الراقية .

(١) أغاني في الدار ج ٧ ص ١٦٤ .

وفى حادثة أخرى له مع الأمين إذ أمر أن يسقى ثلاثة أرطال من الخمر ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف ، فأمر بحمله إلى منزله فحمل : فلما أفاق كتب إليه أبياتا يعتذر فيها عما بدر منه . وهنا يتبع طريقة أخرى فى اعتذاره ، يعتمد فيها على إظهار ظرفه فيسب نفسه ويصفها باللؤم والنذالة ، وبأنها لم تعرف قدر الأمين العظيم فأخطأت وأتت بما لا يليق فى حضرته . وأنه لم يقدر ارتفاع درجة من ينادمهم الآن عن درجة مناديمه السابقين من طبقته الدنيا حيث كان يشرب الكثير ، ويسهر الليل الطويل دون أن يهتم بما يأتيه من سيء الفعال . ومثل هذا لا ينبغى أن يصدر منه فى مجلس الأمين الذى أكرمه القدر بأن يكون من ندامائه ، فيقول :[1]

إذا كنت فى عصبة	من المعشر الأخيب
ولم يك لى مسعد	نديم سوى جعدب
فأشرب من رملة	وأسهر من قطرب
ولما حبانى الزما	ن من حيث لم أحسب
ونادمت بدر السما	ء فى فلك الكوكب
أبت لى غضوضيتى	ولؤم من المنصب
فأسكرنى مسرعا	قوى من المشرب
كذا النذل يذوبه	منادمة المنجب

وبهذا الأسلوب الظريف استطاع الحسين أن ينفذ إلى قلب الأمين وينسيه خطأه ويشغله بظرفه وخفة روحه ، وبذلك يبلغ مراده فيرده الأمين إلى منادمته ويحسن جائزته وصلته .

وأما بالنسبة للسبب الثانى الذى يتصل بالسياسة ، فإن سيرة الحسين تعرفنا أن ميوله السياسية قد أوقعته فى الخطأ وعرضته للعقاب مرتين ؛ فى المرة الأولى بعد مقتل الأمين الذى عرض فى رثائه بالمأمون وهجاه ، فعاقبه بحرمانه من خدمته ، وإذ ذاك حاول الحسين إرضاءه بالاعتذار والمديح مرات لم

---

(١) نفسه ج ٧ ص ٢١٢ — ٢١٣ .

تحفظ لنا المصادر من شعره فيها إلا القليل : فقصيدته المشهورة فى مدح المأمون نجده يخلط فيها بين المديح والاعتذار فيجعل مديحه عنصرا من عناصر اعتذاره ، وعاملا مدعما لموقفه لأن الموقف يقتضى ذلك فيبدؤها مستعطفا بطلب منه أن يجيره وينقذه مما هو فيه من ضياع فيقول : [1]

أجرنى فإنى قد ظمئت إلى الوعد ... متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد ترى ... تقطع أنفاسى عليك من الوجد

ويستشفع لديه بما يبديه من حب له وميل إليه ورغبة عارمة فى وده حين يقول :

أيبخل فرد الحسن عنى بنائل ... قليل وقد أفردته بهوى فرد
فمالى شفيع عند حسنك غيره ... ولا سبب إلا التمسك بالود

ويظهر ما فى نفسه من الآلام الشديدة ، التى تكاد تحرقها حرقا نتيجة عقاب المأمون بإبعاده حين يطلب من عمرو بن مسعده أن يشفع له عنده وأن يحمل اعتذاره إليه فى كلام حسن طيب حين يقول : [2]

قم إلى سيد البرية عنى ... قومة تستجر حسن خطاب
فلعل الإله يطفىء عنى ... بك نارا على ذات التهاب

والمرة الثانية هى التى غضب فيها المعتصم عليه لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة ، فكتب اليه أبياتا يعتذر فيها بقوله : [3]

غضب الإمام أشد من أدبه ... وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معتصما بمعتصم ... أثنى الإله عليه فى كتبه
لا والذى لم يبق لى سببا ... أرجو النجاة به سوى سببه
مالى شفيع عند حرمته ... ولكل من أشفى على عطبه

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٥ . (٢) نفسه جـ ٧ ص ١٦٧ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٦٧ .

فهو يعتذر إليه بطريقة حكيمة تقع من نفسه أحسن موقع ، وكأنه ينظم الحكمة القائلة « أحق الناس بشفاعتك من لم يستشفع إليك بغيرك » وكان ما توقعه الحسين فعلا ، فقد أعجب المعتصم بحكمته وتأثر من قوله ، وهذا واضح من قوله للواثق « بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ، ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه ، فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه »[1] فرضى عنه وأمر بإحضاره .

ومع ما قيل من أن سبب هذا الاعتذار لم يكن سياسيا ، وأن غضب المعتصم كان فى شيء جرى على النبيذ ، فإننا نذكره هنا على علاقة ، وإن كنا قد أبدينا شكنا من قبل فى حدوث سببها السياسى الذى ذكرناه . واحتمال حدوثه — وإن كان ضعيفا — يسمح لنا بوضعه فى هذا الجانب السياسى من جوانب الاعتذار .

وعلى العموم فإن اعتذار الحسين عن أخطائه السياسية يبدو فيه اهتمامه وتتضح آلامه النفسية وترق درجة استعطافه إلى حد أكثر بعدا وعمقا مما نراه فى اعتذاره لأخطاء جرت فى مجالس الشراب والمنادمة .

وأما بالنسبة للسبب الثالث الذى يتصل بكبر سنه وعدم قدرته على تلبية رغبة المتوكل فى منادمته ، فإن المصادر قد حفظت لنا من ذلك قصيدة من ثلاثة عشر بيتا ومقطوعة من ستة أبيات ، يعتذر فيهما للمتوكل عن ضعفه وقعوده عن خدمته ومنادمته ؟ فقد تجاوز الثمانين من عمره وأشرف على التسعين ، وفى ذلك عذر كاف يؤيده ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم: « إذا بلغ العبد ثمانين سنة فإنه أسير الله فى الأرض ، تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات »[2] هذا الحديث يقتبس الحسين معناه محتجا به أو معتمدا عليه فى اعتذاره فيقول :[3]

أما فى ثمـــــانين وفيتها عذير وإن أنا لم اعتـــــذر

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢ ، ٣) أنظر معجم الأدباء جـ ١٠ ص ١٣ — ١٤ والأغانى جـ ٧ ص ٢١١ .

فكيف وقـــد جزتها صاعدا مع الصاعدين بتسع أخـــر
وقـــد رفع الله أقلامـــه عن ابن ثمـــانين دون البشر
وإنى لمـــن أســـراء الإله فى الأرض نصب حروف القدر

ويرجو المتوكل ألا يلومه على هذا الكبر الذى هد قواه ولا ذنب له فيه :[1]

فلا تلح فى كـــبر هـــدنى فلا ذنب لى أن بلغت الكبر

ولا يفوته أن يشيد بنعمة المتوكل عليه وخيره الذى يرفل فيه :[2]

وإنى لـــفى كنف مغـــدق وعـــز بنصر أبى المنتصـــر
يبـــارى الرياح بفضل السما ح حتى تبـــلد أو تنحسر

ويحذره من قول الوشاة الحاسدين الذين ذكروا له أن الحسين « يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك ؟ »[3] فيقول :

وما للحســـود وأشياعه ومن كذب الحق إلا الحجر

وفى المقطوعة الثانية يذكره بأنه خدم أسلافه ونادمهم زمنا طويلا يزيد على ستين عاما ويكرر اعتذاره بضعفه وكبره فيقول :[4]

أسلفت أســـلافك فيما مضى من خدمتى إحـــدى وستينا
كنت ابن عشرين وخمس فقد وفيت بضعـــا وثمـــانينـــا
إنى لمعروف بضعف القـــوى وإن تجـــلدت أحايينـــا

وهكذا نرى الاعتذار فى شعر الحسين يتناسب مع السبب الذى قيل من أجله ، ويعالجه بالأسلوب الذى يلائم الظرف ويقنع المعتذر إليه وينفذ إلى قلبه ونفسه .

(١ ، ٢ ، ٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١١ — ٢١٢ .

(٤) الديارات ص ٣٦ .

ومع أنه غرض تقليدى فإن شعره فيه يعطينا صورة حية وترجمة صادقة لظروفه ومناسباته ، ويشرح لنا موقف الحسين وانفعالاته فى كل مناسبة شرحا دقيقا :

(٥) الاستمناح :

ومن الأغراض التقليدية التى تناولها الشعراء من قديم نتيجة اتصالهم بالخلفاء ووجهاء القوم كان الاستمناح ، وهو قرين المديح لأنه نشأ فى نفس الظروف التى نشأ فيها ، فالشاعر يمدح طلبا للعطاء والنوال ، وإن كان لا يظهر رغبته تلك بصورة مباشرة ، فإذا أبداها بصورة واضحة ، وطلب ما يريد بلا مواربة أو رمز سمى شعره فى ذلك استمناحا . ومن الطبيعى أن يكثر الشعر فى هذا الغرض عند الشعراء المتصلين بالخلفاء وأعيان الناس اتصالا مستمرا مثل الحسين ، ولكننا لا نظفر بهذه الكثرة فيما وصل إلينا من شعره باعتبار ما ضاع منه ، فلا نجد سوى قصيدة من عشرة أبيات ومقطوعة من ستة أبيات وثلاثة أبيات فى حوار جرى بينه وبين موسى بن عمران . أما القصيدة فهو يخاطب بها المتوكل ويطلب منه أن يجرى أرزاق ابنه محمد على زوجه وأولاده لأنها قطعت عنهم بعد وفاته . ونراه يعرض قضيته عرضا طيبا مقنعا ، يستكمل فيه العناصر التى تحقق نجاح مسعاه وتبلغه مراده . فيبدؤها مستشفعا لديه بابنه وولى عهده المعتز بالله فيقول :[1]

إنى أتيتـــك شافعـــــا بولى عهـــــد المسلمينـا
وشبيهـــــك المعـــتز أو جه شافـــع فى العالمينـــا

ثم يوجه الخطاب إليه فلا ينسى أن يذكر مكانه العظيم وشرفه المجيد وكرم محتدة فيقول :[2]

يابن الخـــلائف الأوليـــ ن ويا أبا المتأخريـــــن

(١ ، ٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٢٣ .

وبعد ذلك يعرض شكواه ، فيبين ما أصاب أحفاده وأمهم من بلاء بعد وفاة عائلهم ، وما زاد شدة بلائهم بقطع أرزاقهم التى كانت تصرف لأبيهم فى حياته ، دون مبالاة بما يصيبهم من جوع وعرى وفاقة ، إن حالتهم هذه لتثير الشفقة عليهم والرحمة بهم ، وليس من الإنسانية فى شىء أن يعاملوا هذه المعاملة الظالمة القاسية ، وما من رقيب يحاسب ظالمهم ، أو منصف يرد حقوقهم وينقذهم من شر البلاء سوى المتوكل . وفى هذا يقول الحسين : [1]

إن ابن عبدك مات والـ	أيام تخترم القرينا
ومضى وخلف صبية	بعراصة متبلدينا
ومهيرةً عبرى خلا	ف أقارب مستعبرينا
أصبحن فى ريب الحوا	دث يحسنون بك الظنونا
قطع الولاة جراية	كانوا بها مستمسكينا
فامنن برد جميع ما	قطعوه غير مراقبينا
أعطاك أفضل ما تؤمـ	ـل أفضل المتفضلينا

ونلاحظ أنه لا يلح فى طلبه ولا يتجاوز فيه الحد المعقول ، ولعل ذلك لشعوره بقوة موقفه وبأن العناصر الإنسانية مستكملة فى قضيته ، وهى وحدها كفيلة بالنفاذ إلى قلب الخليفة وإثارة مشاعر العدل والإنصاف فى نفسه ، أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به الحسين نفسه من مكانة طيبة عند المتوكل تجعله واثقا من تحقيق مطالبه بلا كثير جهد أو عناء .

وبمثل هذه الروح الواثقة والبساطة فى عرض طلبه ، يطلب من المعتصم أن يقطعه مساحة من الأرض فى مدينته الجديدة « سر من رأى » ليبنى عليها دارا له ، وكان المعتصم قد أقطع الناس الدور بها وأعطاهم النفقات لبنائها

---

(١) نفس المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ولم يقطع الحسين ، فدخل عليه وأنشده أبياتا بين له فيها حاجته إلى دار جديدة فى مدينته الجديدة ليكون بقربه دائما كما هى عادته ، ولأن داره القديمة المظلمة لم تعد تصلح لسكناه وهو الشيخ الكبير ، فهو أحق بأن يمنحه ما منح أصحابه وأن يعدله بهم ، فيقول[1] :

يا أمين الله لا خطـــة لى	ولقد أفردت صحبى بخطط
أنا فى دهيـاء من مظلمـــة	تحمل الشيخ على كل غلط
صعبة المسلك يرتـــاع لهـا	كل من أصعد فيها وهبط
بونى منك كما بوأتهـــــم	عرصة تبسط طرفى ما انبسط
أبتنى فيها لنفسى موطنـــا	ولعقبى فـرطا بعـد فرط
لم يزل منـــك قريبا مسكنى	فأعد لى عادة القرب فقـط

فهو فى استمناحه لاينزل إلى درجة السائل الذليل ، ولا يلح إلحاح القاصد الثقيل ، وإنما يعبر عن حاجته فى بساطة وكياسة ، ويرسل القول بلا تصنع أو تهويل ، وبلا حشو أو تطويل ، فلا يزيد على تبيان ما يريد ، ولا يخرج عن موضوعه إلى أشياء أخرى قد يستدعيها الموقف من قريب أو بعيد .

٤ — الأغراض التجديدية :

١ — الخمر :

ونذكر شعر الخمر على أنه من الأغراض التجديدية ، لا لأنه جديد على الشعر العربى فى ذلك العصر ، ولكن لما أحدثه الشعراء من تطور فيه ، وما أدخلوه من تجديد عليه ، وكان الحسين من هؤلاء الشعراء ، وأسهم بنصيب وافر فى ذلك ، وكان له كما يقول أبو الفرج : « معان فى صفتها أبدع فيها وسبق إليها[2] ».

---

(١) نفس المصدر السابق جـ ٧ ص ٢١٠ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٦ .

وقبل أن ندخل فى هذا الموضوع من شعره ينبغى أن نشير إلى أن الشعراء منذ العصر الجاهلى قد عرضوا لذكر الخمر فى شعرهم ذكرا موجزا، ووصفوها بصفاتها العامة المعروفة فى بساطة، فتحدثوا عن قدمها وتعتيقها وصفائها وطيب رائحتها ، ولذة طعمها ، وما تحدثه فى النفوس من نشوة وانبساط ، كما تحدثوا عن مجلسها وساقيها وآنيتها . كل هذه المعانى تناولوها فى شعرهم، ولكن دون تفصيل فى القول أو توسع فى الخيال ، فلم يكن يزيد قولهم فيها على أبيات قليلة ، إذا استثنينا الأعشى الذى تميز شعره فيها على غيره ، فأبدع القول فيها وفصل المعنى ووسع الخيال ، وأظهر ولعه بها وتهالكه عليها ، ونسج القصص الذى يدور حولها . وبلغت قصائده فيها العشرين بيتا[1] .

وجاء عصر صدر الإسلام ثم العصر الأموى فلم يزد الشعراء كثيرا على ما قاله الجاهليون ؛ وإن كان الأخطل قد أبدع القول فيها، وعرف بولعه وإدمانه لها ، ولكنه مع ذلك لم يتجاوز درجة الأعشى ، بل يراه أشعر منه كما تذكر بعض الروايات . على أننا نذكر ظهور بعض الشعراء المجيدين فى الخمر فى أواخر العصر الأموى كالوليد بن يزيد وأبى الهندى والاقيشر ، ممن نرى فى شعرهم بعض التطوير فى تعبيرهم عن الإحساس النفسى ، وبعدهم عن تلك الصور البدوية والتقليدية التى شاعت فى شعر السابقين[2]. ولسنا بصدد تفصيل القول فى ذلك تجنبا للإطالة ، وإنما نكتفى بهذا الإجمال الموجز لنرى الخطوط التى سار عليها شعراء الخمر قبل الحسين .

فإذا تناولنا بالبحث شعر الخمر عند الحسين وجدنا مظاهر التطور والتجديد واضحة فيه كل الوضوح ، ووجدنا قدرة فائقة على الإبداع وتفصيل القول وتفتيق المعانى لم يسبق أن وجدناها عند غيره . ويكفى شاهدا على ذلك قصيدته الطويلة التى تبلغ أربعين بيتا كلها فى الخمر ومطلعها[3] :

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء .

---

(١) انظر تطور الخمريات فى الشعر العربى ص ٥٦ . (٢) نفسه ص ١٦٦ .

(٣) القصيدة كلها كاملة فى مقدمة ديوان أبى نواس تحقيق فاغنر ص ٢٦ وما بعدها وطبعة آصاف ص ١٩ وما بعدها وفى مختارات البارودى ج ٤ ص ٨٢ — ٨٣ .

ففى الأبيات الثلاثة الأولى يذكر البادية وما فيها من أقذاء ، فالحياة فيها جافة ليس فيها من الطيبات ما فى الحاضرة ، ليست فيها زهور طيبة الرائحة كالورد،ولكن فيها نبات الآء الذى لا تطيب رائحته . ولا يشربون فيها صبوح الخمر ، وإنما يشربون لبن الإبل والشاء . ولا تجد فيها إلا شوب أقذاء . ويطلب من صاحبه ألا يهتم حتى بخيولها الكريمة الأصيلة التى لا يربيها ويركبها إلا أعراب أجلاف ،يتلفعون الأطمار والثياب البالية،فيقول بعد المطلع[١] :

ما بين بطن ثبير إن حللت به   إلى الفراديس إلا شوبُ أقذاء

فعدِّ همك عن طِرْف يمارسه   جلفٌ تلفَّع طِمْراً بين أحناء

وهو يزرى بحياة البادية الجافة المقفرة ليمدح حياة الحاضرة الناعمة الطيبة كحياة الجنان ، ثم يحصر هذا النعيم فى خمرها الطيبة اللذيذة . ويفصل القول فى ذلك تفضيلا بديعا ، فيتناول نشأة الخمر الأولى منذ غرس شجرتها فى الأرض ويتتبع نموها إذ يرويها ماء الفرات ، وتهطل عليها الأنواء ، فتورق أغصانها وتخرج ثمارها كعقود الجمان ، ثم تنضج ويحين قطفها وتجمع فى دلاء واسعة ، لتجرى عليها عملية التخمير . هذه المرحلة من غرس الكرمة حتى جنى ثمارها يقول فيها[٢] :

فـفى غد لك من زهراءَ مونقـةٍ   بطيزناباذَ ماءٍ ليس كالمـاء

ممـا تخـيَّر أُولاها وأودعـها   ربَّ الخـورنق فى جوفاءَ ميثاء

راح الفرات عليها فى جداولـه   وباكرتهـا سحابـات بأنـواء

فاستنفضَ القطرُ ماوشَّى المصيف لها   واستبدلت جددا من بعد أنضاء

تنشى فواصلَ كالآذان مُنشـأةً   مثل الجمان عقودا أىَّ إنشـاء

حتى إذا حكَت الحبشان شائـلةً   دُهم العناقيد فى لفّـاءَ خضـراء

راحت لهـا عصبٌ شعثٌ ملوحـةٌ   دُكْن التبـابـين من كُوثَى وسوراء

تجـنى على العين ما آنت مقاطفُـه   حتى إذا حيـل فى كلفاء جوفاء

(١ ، ٢) انظر القصيدة فى المصادر المذكور فى الهامش السابق .

فهذه المعانى جديدة على شعر الخمر كل الجدة ، ولم يسبق لشاعر أن طرقها قبل الحسين .

بعد ذلك يشرح عملية تخميرها ، وما يجرى عليها من تسخين وتبريد لاستخلاص عصارة الكرم الطيبة ، فإذا أنضجت بعد هذه المعركة الحامية وضعت فى بيت صانعها الذى اختاره يهوديا حنكته التجارب ، واكتسب خبرة طويلة فى إجادة صنعها ،فيصونها فى مخزن بعيد عن الشمس ويهملها إهمالا كأنه مستخف بشأنها ، أو كأنه نسيها ، وما هو بناسيها وإن طال عليها الزمن ، ولا يعرضها للبيع ،بل يزرى بها ليصوغ عنها المساومين فى شرائها ، ويطرى غيرها ويحسنها فى عيونهم ليشتروها ويتركوا الأولى،التى يبالغ فى تعتيقها ويعقد الآمال على ما سيجنيه من ورائها من ثراء،لأن تعتيقها سيرفع من قيمتها،فيبيعها بغالى الثمن . وتظل مخترنة هكذا زمنا طويلا حتى تتغير تماما ولا يبقى فيها ما يشير إلى أصول حياتها الأولى إلا شىء قليل وكأنها فقدت حياتها فلم يبق الدهر منها إلا جزءا من سلالتها . وتتعاقب الأحداث على صاحبها حتى تأتيه المنية ،فيموت وقلبه معلق بها مشغول بحظوتها . فحزنه عليها أكثر من حزنه على الحياة نفسها ، فقد قضت علته على أمله الكبير الذى علقه عليها . ولم يفز بها إلا جماعة من أصحابه الذين كانوا يرتادون حانته فاشتروها من ورثته ، وما أعظم ما ورثهم أبوهم وما أشبهه بميراث سبأ العظيم،هذه المرحلة الهامة فى تصنيع الخمر وتعتيقها ، يتناولها الحسين بهذا التفصيل الدقيق البديع فيقول[1] :

واستُخلص العفُو من ذوبٍ مسلسلةٍ	من قبـل جائلة فيهـا بإبطـاء
صارت إلى وطن أرسى بمعترك	ما بـين عُقبة إبرادٍ ورمضاء
حتى إذا أنضج الوسْمِىُّ صفحتـه	قطرا وأعقبـه قُـرًّا بأنداء
صِينت عن الشمس فى قيطونِ محتنكٍ	من اليهـود لأمّ الـراح غـذّاء
ما زال يهملهـا كالمستخفِّ بهـا	عصر الشباب كناسٍ غير نسّاء

(١) انظر القصيدة فى مصادرها المذكورة فى الهامش السابق .

يطوى سواها إذا سيمت مدافعة . عنها ويوسعها من كل إزراء
يسومها البيع أحيانا فيمنعه أن قد يؤملها يوما لإثراء
حتى إذا الدهر أبقى من سلالتها جزء الحياة وقد ألوى بأجزاء
دبت إليه من الأحداث باسلة أبكت عوابد من أحبار تيماء
فمات والقلب مشغول بحظوتها لم يشف من شجنيه علة الداء
وحاز صفوتها مرتاد صحبته بيع المزاود من ميراث سباء

هذه المعانى أيضا نجدها جديدة على شعر الخمر ، وقد وصفها الشعراء قبله بأنها معتقة وأنها اختزنت دهرا ، ولكن هذا الوصف كان مجملا مباشرا[1] يذكره الشاعر فى بيت أو فى شطر من بيت كقول الأعشى :

من قهوة صينت ببابل حقبة تدع الفتى ملكا أغر متوجا

ولم يحدث أن تناول شاعر قبل الحسين معنى تعتيق الخمر وتخزينها بهذه الصورة المفصلة ، فهو يروى قصة حياتها منذ بدء تخميرها إلى أن أحضرت للشرب فى أحد عشر بيتا ، ويوضح العوامل التى دفعت صانعها إلى إجادة صنعها وتعتيقها ، وما كان يعتمل فى نفسه من آمال وأفكار ، ولم يشأ الشاعر أن يحقق آماله بل يجعل الموت فاصلا يمنعه من تحقيقها ، وليس هدفه من ذلك إلا التركيز على معنى تعتيق الخمر بتعاقب الأجيال عليها ، ومرور السنين تلو السنين ، وهى قابعة فى مكانها المظلم ، حتى يخرجها ورثة صانعها ؛ فهو لا يقول لنا : إنها معتقة أو أنها صينت حقبة طويلة من الزمن ، كما يقول الشاعر القديم بطريقته الموجزة المباشرة ، ولكنه يسلسل هذا المعنى ويفتق جوانبه ، ويحكى قصته بطريقة جديدة فيها كثير من التفنن والإبداع .

بعد ذلك يعرض الحسين فى قصيدته لوصف الخمر فى ثمانية عشر بيتا . فيدخل فى طريق صعبة المسالك ، لا لأنها لم تجتز من قبل ، ولكن لأنها اجتيزت كثيرا ، وسار فيها كل شعراء الخمر قبله . وتزاحم الشعراء فى هذا الباب

(١) انظر تطور الخمريات فى الشعر العربى ص ٦١ والبيت فى ديوان الأعشى .

جعلهم يستهلكون معانيها ويكررونها بصورة مماثلة أو شبه مماثلة . وهذا من شأنه أن يضيق الخناق على الشعراء المحدثين من أمثال الحسين ، ويجعل تجديدهم فى وصفها أمرا عسيرا وشاقا يحتاج إلى كثير من البراعة والإبداع وتدفق الشاعرية . ولم يكن الحسين قليل الحظ من هذه المواهب فاستطاع أن يجدد فى وصفها ،وأن يأتى بالمعانى النادرة التى لم يسبقه بها شاعر قبله ، من ذلك قوله[1] :

حتى إذا أسندت للشرب واحتضرت عند الشروق ببسامين أكفاء
فضت خواتمها فى نعت واصفها عن مثل رقراقة فى جفن مرهاء

فهو يشبه الخمر فى صفائها بالدمعة التى تترقرق فى عين امرأة مرهاء لم تكتحل ،وقد اختار المرأة غير مكتحلة ،لأن الدمعة فى عينها تكون أكثر صفاء وتلألؤا .

ولهذا المعنى الجديد قصة طريفة ، نذكرها لنستدل بها على قيمته فى نظر شعراء عصره ، فيروى أبو الفرج « حج أبو نواس وحسين بن الضحاك فجمعهما الموسم فتناشدا قصيدتيهما : قول أبى نواس :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

وقصيدة الحسين :

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء

فتنازعا أيهما أشعر قصيدته ، فقال أبو نواس : هذا ابن مناذر حاضر الموسم وهو بينى وبينك ، فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؟ فقال بن مناذر ما أحسب أن أحدا يجئ بمثل هذه وهم بتفضيله ، فقال له الحسين : لا تعجل حتى تسمع ، فقال : هات فأنشده قوله :

بدلت من نفحات الورد : .حتى انتهى إلى قوله :

فضت خواتمها فى نعت واصفها عن مثل رقراقة فى جفن مرهاء

(١) انظر القصيدة فى مصادرها المذكورة سابقا .

فقال له ابن مناذر : حسبك قد استغنيت عن أن تزيد شيئا ، والله لو لم تقل فى دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك على سائر من وصف الخمر ، قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضل فحكم له وقام أبو نواس منكسرا[1].

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى بعد ذلك فى قوله[2] :

أتى بها قهوة كالمسك صافية ... كدمعة منحتها الخد مرهاء

ومع ذلك فعالجة الحسين له أفضل من معالجة أبى نواس ، لأن الأخير جعل الدمعة على الخد ، ولا يكون صفاؤها فى هذه الحالة كصفائها وهى تترقرق فى عين المرهاء .

وليس هذا المعنى فحسب هو الجديد فى قصيدة الحسين ، ولكنه يتناول فى وصفها معانى أخرى كثيرة معظمها جديد،وإذا عرض لمعنى قديم فإنه يعالجه بطريقة فيها محاولة تجديدية تكسبه رونقا وحسنا ، فقد سبقه شعراء بوصف صفاء الخمر ، ولكنهم لم يوفقوا إلى مثل تشبيهه السابق ، الذى لم يكتف به بل نراه يعود فيبالغ فى وصف صفائها مبالغة مقبولة ، إذ يجعل رؤيتها وهما ، وكأنك لا ترى منها شيئا أو كأن الشىء منها إذا تحققت منه وجدته لا شىء[3] :

لم يبق منشخصها إلا توهمه ... فالشىء منها إذا استثبت كاللاء

ويتدرج من ذلك إلى جعلها روحانية ، طبيعتها من طبيعة الروح ، إذ تمتزج بها فى أعماقها تمازجا تاما كتمازج النور بالنور . وهى لطبيعتها هذه لا يدرك الحس منها شيئا إلا أن يتنسم رائحتها الطيبة أو يشعر بلذعتها اللذيذة فى الأحشاء[4].

تمازج الروح فى أخفى مداخله ... كما تمازج أنوار بأضواء
لا يدرك الحس منها حين تبعثها ... إلا التنسم أو لذعا بأحشاء

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٣ . (٢) انظر ديوان أبى نواس .
(٣ ، ٤) انظر القصيدة فى مصادرها السابقة .

وحين يصف رائحتها الطيبة لا يشبهها بريح المسك ، أو يجعلها تستل الزكام كما يقول السابقون ، بل يحاول تجديد المعنى فيجعلها ريحانة النفس التي تهوى شمها وتستمتع به ، ويزيد هذا المعنى قوة بأن يجعله حقيقة مسلمة تتناقلها الأجيال والروايات ، فهي ميزة تميزت بها منذ القدم[1].

ريحانة النفس تهوى عند شمتها   جاءت بذاك روايات ابن دحاء

وما أشد سرور النفس بها وجيشان المزاج راقصا طربا ، إذ يراها وهي تفور عند مزجها بالماء ، فيبدو قعرها وكأن به رقما ، ويبدو الحبب المتصاعد منها مطوقا كأسها كأنه واوات كتبتها عسراء في غير انتظام[2] :

جاش المزاج لها رقصا على طرب   فاهتاج في قعرها رقم بشدراء

يحكي تطوقها بالكأس من ذهب   طوقا أطافت به واوات عسراء

وهذا المعنى أيضا نجده عند أبي نواس في قوله[3] :

كتب المزاج على مقدم تاجها   سطرين مثل كتابة العسراء

وقوله[4] :

خلته في جنبات الـ   ـكاس واوات صغارا

ويتمادى فيشبه الحبب بالدر الذى يكون لها عرشا على الماء ، قائما بلا عمد تسنده والزبد من فوقه يزيد لألادءة حسنا يجل عن الوصف[5] :

ثم استحال لها در فعرشه   حتى استقل لها عرش على الماء

عرش بلا طنب من فوقه زبد   فلجل عن صفة في حسن لألاء

وواضح من هذا الوصف أنه تجرأ على مقام الألوهية العظيم ، فجعل عرش الخمر كعرش الله مقتبسا معنى قوله تعالى « وكان عرشه على الماء »[6]

(١ ، ٢) انظر القصيدة في مصادرها السابقة .

(٣ ، ٤) انظر ديوان أبي نواس .

(٥) انظر قصيدة الحسين في مصادرها السابقة .

(٦) انظر سورة هود الآية رقم ٦ .

وهذه الجرأة على المقدسات الدينية أو المعانى التى تمس حرمة المقام الإلهى كانت نزعة شائعة عند شعراء الخمر والمجون فى ذلك العصر وعلى رأسهم أبو نواس .

ووصف الشعراء قبل ذلك بريق الخمر فشبهوها بشعاع الشمس وبالجذوة المتقدة، ولكن الحسين يتناول هذا المعنى بطريقة مبتكرة، فيذهب إلى أن النظر لا يستطيع أن يواجه سنا نورها إلا إذا كان فيه حول حتى لا يقع على ضوئها الباهر وقعا مباشرا، أولا يلتقى بسنا ضوئها فينبهر من شدة لمعانه وإشعاعه . هذه الصورة الجديدة واضحة فى قوله[1] :

لايستطيع سنا نورٍ لها نظــر ؛ حتى تعود له لحظاتُ حــولاء

ويصف حبب الخمر وصفا آخر فيشبهه بجلد الحية الذى تنزعه عنها لتستبدل به جلدا آخر ، ويكون جلدها المسلوخ أبيض فيه تقسيات تبدو وكأنها فقاقيع الحبب وفى هذا يقول[2] :

كأن تأليف ما حــاك المزاج لهــا سلــخ تجلَّلها عن ظهر رقشـــاء

وقد نقل أبو نواس عنه هذا المعنى أيضا فقال[3] :

كأن مازجها بالمــاء طوقها منزوع جلدة ثعبان وأفعـاء

ولا ينسى الحسين ذكر ساقى الخمر ، وهو من العناصر الهامة عند شعرائها ، وقد سبق فى بيت مما ذكرناه أن وصف سقاتها وصفا عاما بأنهم بسامون أكفاء ، ويعود فى بيت آخر فيقول فى الساقى[4] :

لا شيء أحســن منها فى تصرفهــا من كفِّ مُنتطق الأعطافِ وشّاء

ونلاحظ أن حديثه عن الساقى فى هذه القصيدة حديث خاطف لا يعيره كثيرا من الاهتمام ، ولعله أراد ألا يخرج عن الموضوع الأساسى فى القصيدة

(١ ، ٢) انظر الأبيات فى القصيدة بمصادرها السابقة .

(٣) انظر ديوان أبى نواس .

(٤) انظرا لقصيدة فى مصادرها السابقة .

وهو الخمر ، فذكر الساقى بتوسع يدخل فى باب الغزل بالمذكر الذى سنتناوله بالبحث بعد قليل .

ويعود إلى وصف تأثيرها فى النفس فيشبهه بالأطناب المتلألئة تمتد فى جوانبها فتملؤها ابتهاجا وسرورا فيقول[1] :

إذا جرت لك تحت الليل سانحة ، مدت خلالك أطنابا بلألاء

ويشير إلى العلاقة الوثيقة التى تربطه بها ، إذ تسبب حبه لها وإدمانه عليها فى أن يلقبوه بالخليع . فهى عماد لهوه وصانعة مسراته[2] .

تلك التى وسمتنى غير محتشم وسم المجون وسمتنى بأسماء
لا أتبع اللهو فيها غير مترعة منها تفننُ لى فى كل سراء

ويختم قصيدته بمدح هذه الحياة الناعمة والعيش الرغد بين مجالس الخمر واللهو التى لا يكدر صفوها ويفرق صحبتها سوى الموت ، والتى هى فى نظاره أمتع من حياة الحب والهيام بالنساء وبكاء ديارهن كما هى العادة الشائعة بين شعراء العرب .

ما أطيب العيش لولا ذكرواحدة فيها مفارقة بين الأحباء
هذا النعيم ولا عيش تكون به هند برابية من بعد أسماء

من هذا العرض التحايلى لقصيدة الحسين فى الخمر نرى قدرته على الإبداع فى هذا الفن ، ونرى كثيرا من المعانى الجديدة التى تفتقت عنها شاعريته ، والتى سبق بها أبا نواس وغيره من شعراء الخمر .

وكما ذكرنا تفضيل ابن مناذر لهذه القصيدة على قصيدة أبى نواس نذكر خبرا آخر فيه حكم عكسى لأحمد بن خلاد ، إذ أنشده الحسين قصيدته هذه حتى أتى على آخرها وقال له : ماقال أحد من المحدثين مثلها ، فقال له ابن خلاد : أنت تحوم حول أبى نواس فى قوله : دع عنك لومى . . . وهى

(١ ، ٢) انظر القصيدة فى مصادرها السابقة .

أشعر من قصيدتك . فغضب الحسين وسب أبا نواس . . فقال له : هل في قصيدتك بيت نادر غير قولك .

فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رقراقة في عين مرهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء
فأرسلت من فم الإبريق صافية كأنما أخذها بالعقل إغفاء

والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه ، فقام وهو مغضب كالمقر[1] بقوله ، كما يتقول ، ولا أظن الحسين قد أقر بقوله كما قال ، لأنه واثق من أفضلية قصيدته ومن عدالة حكم ابن مناذر بذلك ، وهو شاعر مثلهما وعلى مذهبهما ، ولم يصدر حكمه إلا في حضرتهما وبعد سماع إنشادهما ، فحيدته لا شك فيها ، أما ابن خلاد فيبدو أنه لم يعجبه تفضيل الحسين لنفسه ، فأراد أن يحطم غروره وأن يهون من شأن قصيدته ، ويقلل من قيمتها الأدبية بالنسبة لقصيدة أبي نواس ، بل اتهمه بأنه يحوم حولها ، مع أن أبا نواس هو الذى حسد الحسين على قصيدته ، كما يوضح لنا الخبر الذى رواه أبو الفرج بثلاث روايات مختلفة الإسناد وفيه أن الحسين « أنشد أبا نواس قصيدته هذه حتى انتهى إلى قوله : فضت خواتمها » . فصعق صعقة أفزعته وقال : أحسنت والله يا أشقر ؟ فقال له : ويلك ياحسن ؟ إنك أفزعتني والله . . ؟ فقال : بل والله أفزعتني ورعتني . هذا معنى من المعاني التي كان فكري لابد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه ، واختلسته مني ، وسنعلم لمن يروى أي أم لك . . قال الحسين : فكان والله كما قال ، سمعت من لا يعلم يرويها له[2] » والذى يؤكد كلام الحسين أن الصولى ذكر قصيدته هذه من بين القصائد التي نحلت لأبي نواس ورويت ضمن شعره فعلا ونبه إلى ذلك في مقدمة ديوانه[3] :

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٢ . (٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٧ .

(٣) ديوان أبي نواس المخطوط رواية الصولى .

من ذلك تثبت لنا أصالة الحسين وعدم أخذه عن أبى نواس ، بل يثبت لنا أن أبا نواس هو الذى أخذ معانى الحسين كما ذكرنا فى مواضعها . فإذا أضفنا إلى ذلك أن قصيدة أبى نواس لا تزيد عن اثنى عشر بيتا ، بينما تبلغ قصيدة الحسين أربعين بيتا تبين لنا مدى إجحاف ابن خلاد بحق الحسين وتعمده الانتقاص من قدره لما ذكرناه .

ومن المعانى الجديدة التى أبدعها الحسين فى الخمر تشبيهه صورة الشارب المنعكسة على صفحة الخمر فى الكأس وسط الحبب المتصاعد منها بالقمر يكرع فى بعض نجوم السماء فى قوله :

كأنما نصب كأسه قمر　　　يكرع فى بعض أنجم الفلك

وهذا المعنى أيضا أخذه أبو نواس ، إذ أن الحسين لما أنشده قصيدته التى فيها هذا البيت لقيه أبو نواس بعد أيام فأنشده لنفسه :

إذا عب فيها شارب القوم خلته　　　يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقال له : يا أبا على هذه مصالته ، فقال له أبو نواس : أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيد وأنا حى[1].

ويذكر أبو الفرج تعليقا لإبراهيم بن المدبر على هذا الخبر يقول فيه : « إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى ، فإن كان سرقه منه فهو أحق به لأنه قد برز عليه ، وإن كان حسين قد سرقه منه فقد قصر عنه »[2] وهذا الحكم فيه كثير من الإجحاف بحق الحسين والغض من شاعريته ، مع أن الواضح أن الصورة الفنية فى بيت الحسين أكثر جمالا ووضوحا منها فى بيت أبى نواس ، لأن فيها تشبيهين جميلين يرسمان معا خطوطها فى براعة وإبداع ، فوجه الشارب المنعكس على الخمر كالقمر ، والحبب كالنجوم ، واختلاطهما فى الكأس كاختلاط القمر بنجوم السماء أو كأن القمر يكرع فى بعضها . وهذه صورة طبيعية جميلة زادها افتنان الشاعر جمالا

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٥ .　　(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٥٦ .

وروعة . أما أبو نواس فيشبه الشارب وهو يعب فى الكأس بمن يقبل كوكبا فى ليل داج ، ولا نستطيع أن نحدد ما الذى يشبهه بالكوكب ، هل يقصد الكأس بخمرها ؟ أم يقصد صورة الشارب المنعكسة فيها ؟ أم يقصد الحبب المتصاعد منها ؟ فصورته مبهمة غير واضحة المعالم ، وهذا نقص فنى كبير . وحتى إذا أمكننا تحديد الصورة باختيار أى مشبه من هذه المشبهات ، فانها لا تصل إلى درجة الصورة الأولى فى بيت الحسين فى جمالها وفنيتها .

ويعلق ابن رشيق على بيتيهما بما يؤيد وجهة نظرنا فيقول « وأنت ترى سيرورة بيت أبى نواس كيف نسى معها بيت الخليع على أن له فضل السبق ، وفيه زيادة ذكر القمر[1] فهو يرى أن بيت الحسين أجود وإن أوجز فى ذكر السبب الذى فصلناه تفصيلا كاملا. وإن كان لبيت أبى نواس سيرورته فهى ليست دليلا على جودته ، لأنها لم تأت إلا من شهرة أبى نواس نفسه .

ومن هذا الشاهد والشواهد الأخرى يتأكد لنا صدق ما سبق أن ذكرناه من أقوال أبى الفرج وياقوت والصولى وابن منظور ، من أن أبا نواس كان يأخذ معانيه فى الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له شعر نادر فى هذا المعنى نسبه الناس إلى أبى نواس .

ومن معانيه الجديدة التى اشتهرت للطفها ورقتها حتى نحلت لأبى نواس تشبيه الخمر بالتفاح الذائب وكذلك التفاح بالخمر المتجمد ، ومما يزيده جمالا عكس المشبه والمشبه فى التشبيهين : ثم طلبه أن يشرب هذا مع ذاك لتتم المتعة ، يقول[2] :

الراح تفاح جرى ذائبـــا   كذلك التفاح راح جمـــد
فاشرب على جامده ذوبـــه   ولا تـدع لذة يوم لغـــد

---

(١) انظر العمدة ج ٢ ص ١٨٣ تحقيق محى الدين عبد الحميد ط سنة ١٩٦٣ .

(٢) انظر معاهد التنصيص ج ١ ص ١٥٤ .

ومن المعانى التقليدية التى عالجها معالجة جديدة فأكسبها رونقا وجمالا تشبيه المـاء بالفضة يصب على خمر كالذهب فى قوله[1] :

إذا ما المـاء أمـكننى وصفو سلافة العنب
صببت الفضة البيضـا ء فوق قراضة الذهب

وكان أبو الفضل الرياشى وهو عالم ثقة يعجب جدا بهذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما[2].

ويعبر الحسين عن شدة شغفه بالخمر وإدمانه عليها ، فيجعل حياته كلها سكرا بعد سكر ويبيع عمره فى سبيل الخمر فيقول[3] :

أتبعت سـكرا بسـكر وابتعت خمـرا بعمر

وقد اعتبر هذا البيت أهتك بيت قالته العرب ، وذلك فى مناقشة دارت فى مجلس المكتفى بالله بين الصولى وابن المنجم حين سألهما عن أهتك بيت من الشعر وأفجر قائل ، فاختار ابن المنجم قول أبى نواس :

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

ولكن الصولى فضل عليه قول الحسين المذكور وأيده المكتفى فى رأيه فقال : هذا لعمرى أهتك من ذاك[4] والواقع أن بيت الحسين على بساطته يبين شدة إغراقه فى حياة السكر وإدمان الخمر إلى درجة لا مزيد عليها وهذا ماجعله أهتك من بيت أبى نواس :

(١ ، ٢) انظر أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٤ .

(٣ ، ٤) انظر ديوان المعانى ج١ ص٢٠٢ ط سنة ١٣٥٢ وفى محاضرات الأدباء ج١ ص ٤٢٠ ذكر الخبر محاورة بين المكتفى والصولى الذى اختار قول أبى نواس فرده المكتفى بتفضيل قول الحسين .

ويصف زقاق الخمر المعتقة فيشبهها بالفتيات المحجبات فى خدورهن ، إذ يخرجهن ويكشف حجابهن ويبيح حرقهن ، ويفضهن ليشرب من خمرهن الحمراء كالدماء فيقول :

وعواتق باشرت بين حدائق ... ففضضتهن وقد غنين صحاحا
أتبعت وخزة تلك وخزة هذه ... حتى شربت دماءهن جراحا
أبرزتهن من الخدور حواسراً ... وتركت صون حريمهن مباحا

ومن معانيه المبتكرة وصفه لأباريق الخمر وتشبيهها بالظباء ووصفه لحال السكارى ، وتمايلهم من شدة السكر وكأن رقابهم لاعظام فيها فيقول[1] .

كأن أباريق المدام لديهم ... ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم ... من اللين لم تخلق لهن عظام

ويصف حال نشوته وابتهاج نفسه فى سكره فيقول[2] .

مازلت أشربها والليل معتكر ... حتى تضاحك فى أعجازه القمر
ثم انثيت على كفى وقد أخذت ... منى مآخذ ما فى دونها وطر

ولايقف شعره فى الخمر عند هذا الحد ، إذ أنه لايفتأ يذكرها ويمتدحها فى شعره الماجن وفى شعره الذى قاله فى الديارات وأماكن اللهو ، على نحو ماسنرى فيما بعد .

من كل ذلك نرى أن الحسين كانت له اليد الطولى فى تجديد شعر الخمر والإبداع فى معانيها حتى وضع فى مصاف شعرائها البارزين ، قال الصولى « سمعت بعض العلماء بالشعر يقول : أول الشعراء المتقدمين فى صفة الخمر الأعشى ثم الأخطل ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ثم

---

(١) انظر عيون التواريخ (مخطوط) جـ ٧ ص ٧١١ حوادث سنة ٢٥٠ هـ

(٢) انظر أمالى القالى جـ ٢ ص ١٧٠ ط الدار سنة ١٩٢٦

ابن المعتز[1] ، وهذا الترتيب زمنى لايعنى تفضيل السابقين عليه ، وإذا كان أبو نواس قد نال شهرة ذائعة فى هذا اللون الشعرى ، فانه مما لاشك فيه أنها كانت على حساب الحسين وأضرا به من الشعراء الذين غلب على كثير من شعرهم ، وقد رأينا الشواهد الكثيرة على ذلك ، كما أن ضياع ديوان الحسين كان عاملا هاما فى انطلاق هذه الشهرة ، ولعلنا فى هذا البحث نكون قد استطعنا أن نرد إلى الحسين بعض حقه ، ونضعه فى المكانة التى تليق به بين شعراء الخمر والمجددين .

٢ — الغزل والمجون :

والغزل من الأغراض المقدمة فى شعر الحسين ، وهو كثير جيد كما قال أبو الفرج وياقوت وغيرهما ، بل هو أكثر ماوصل إلينا من شعره . وفيه كثير من المجون والخلاعة ، وفيه أيضا كثير بعيد عن المجون ، قريب من الغزل التقليدى فى تحفظه أو عفته .

والظاهرة الجديدة فى غزله الماجن هى الغزل بالمذكر ، إذ يعد الحسين من الشعراء الأوائل الذين نشروا هذا اللون من الشعر فى المجتمع الأدبى فى ذلك العصر . وكان عشق الغلمان عرفا شائعا بين الناس أوجدته الحضارة الجديدة ، وساعد على نشره اختلاط العرب بالفرس والروم الذين شاع بينهم ذلك من قديم ، كما ساعدت عليه حياة الترف واللهو التى انغمس فيها الخلفاء والأمراء وسراة القوم ، بل أصاب من ترفها ونعيمها أفراد الطبقة المتوسطة من الشعب الذين غمرهم ثراء الدولة وتدفق خيراتها .

وقد عرفنا فى سيرة الحسين أنه اشتهر بعشق غلام اسمه (يسر) كان من غلمان أبى عيسى بن الرشيد . وله فيه شعر كثير يتغزل فيه

(١) اشعار أولاد الخلفاء ص ١١٤ ط سنة ١٩٣٦ .

ويحكى ماجرى بينهما من ود وخصام وهجر ووصال ، فمن غزله فيه[1] :

أيا من طرفـــه سحر ومــن ريقته خمـــر
تجاسرت فـــكاشفت ـــك لما غلب الصـــبر
وما أحسن فى مثلـــ ـــك أن ينهتك الســتر
وإن لامنى النـــاس ففى وجهك لى عـــذر

فهو يتحدث عن جمال وجهه وسحر عينيه وطيب ريقته كأنه يتغزل فى أمرأة ، ولكنه لا يقف عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى ذكر رغبته فيه واشتهائه له. ويطلب منه أن يتيسر له كاسمه وألا يتمسك بما فى الرجال من نخوة وكبر فيقول[2] :

ولـــو شـــئتَ تيسرتَ كما سمـــيت يايُسر
وكن كاسمـــك لاتمنعـــك النخوة والكـــبر

ويذكر مايعانيه من صده ومايكابده من الصبر على فعله ، ومحاولته تأديبه بالهجر تارة وبالنصح والزجرتارة أخرى فيقول[3] :

أتانى عنـك ماليـــس على مكروهـــه صبر
فأغضيت عـــلى عمد وقـــد يغضى الفتى الحر
وأدبتك بالهجـــــر فما أدباك الهجــــــر
ولا ردك عمـــــاكا ن منك النصح والزجـــر

ولما لم تنفع معه كل هذه الوسائل؛ واشتد المكروه على الحسين لم يجد بدا من اتباع الشدة معه وتنفيذ رغبته بالقوة فيقول[4] :

فلما اضطرنى المكروه واشتد بى الأمــــــ

(١ ، ٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١٧ — ٧ - ١٨٩ .
(٣) معجم الأدباء لياقوت جـ ١٠ ص ٢٢ ط وزارة المعارف .
(٤) نفس المصدر السابق والصفحة .

تناولتك من ضرى بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل لما مسك الضر
إذا لم يصلح الخير امرءاً أصلحه الشر

ومثل هذه المعانى لانجدها فى الغزل بالنساء ، لأنها لاتتفق مع طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة ومايبنغى أن يكون عليه من لطف ورقة .

ويبدو أن المعاملة الجافية كانت متبادلة بينه وبين غلامه، الذى ضاق بعربدته ومجونه فاستل خنجره وهدده به ، وفى ذلك يقول[1] :

جمشت يسراً على تسكره وقد دهانى بحسن منظره
فهم بالفتك بى فناشده فىَّ كريم من خير معشره
يا من رأى مثل شادن خَنِث يصول فى خدره بـزُوره
أخاف من كبره بوادره أدانَنى الله من تكبره
ويلى على شادن توعدنى بسلَّ سكينه وخنجره
أما كفاه ماحزَّ فى كبدى بسحر أجفانه ومحجره

ولكنه يحكى ماحدث بينه وبين يسر من ود ووصال، وماقضاه معه من ليالى المجون والخلاعة فى قصيدة طويلة تبلغ ستةوعشرين بيتا، نذكر منها هذه الأبيات التى تدل على مجونه وتهتكه[2] :

وليلة القُفْص إن سألت بها كانت شفاء لعلة السقم
بات أنيسى صريع خمرته وتلك إحدى مصارع الكرم
وبت عن موعد سبقت به ألثم دراً مفلَّجاً بفم
وابأبى من بدا بروعة لا وعاد من بعدها إلى نعم
أباحنى نفسه ووسدنى يمنى يديه وبات ملتزمى

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩١ .
(٢) نفسه جـ ٧ ص ٢١٩

ويختم قصيدته بالتماس العذر لنفسه فيما فعل ، فإذا عذرته كان بها ، وإذا لمته فلا قيمة للومك عنده ولك أن تلوم كما تشاء[1] :

فراجع العذر إن بدا لك فى الـ   عذر وإن عدت لائما فلم

وللحسين غزل فى غلمان كثيرين غير يسير لسنا بصدد تعدادهم ، وهو يصف جمال الغلام وزينته ، فلا يرى من العيب أن يكون بوجهه كلف لأن البدر كذلك ، أو أن يكون مخطفا منطوى الحشا خفيف اللحم ، ويعجب بتصفيف شعره وبشعراته التى تسدلها على صدغيه كالعقرب ، وقد حف أصداغه ونتف شعرها لتبدو ناعمة ملساء ، ثم تطيب بالمسك لتفوح منه رائحته الجميلة ، وفى ذلك يقول[2] :

لاتقولا نراه أكلف نضواً مخففـــــــا
نعم ريحانة النديم وإن كان مخطفـــا
إن يكن أكلفا فإنى أرى البـــدر أكلفـــا
بأبى ماجن السريرة يبـــدى تعففـــا
حف أصداغه وعقـــربهـــا ثم صففـــا
وحشا مـدرج القصاص بمسك ورصفـــا

ويصفه مرة أخرى بالبياض فى صفرة كالفضة ممزوجة بالذهب. وبأن جسمه بض لين يتثنى كالغصن على روادف ممتلئة ، وخده كالتفاحة الحمراء عليه كلف كأنه الطل المنثور ، فصفاته فاتنة كلها ينبئ بعضها عن بعض يقول: [3] .

وا بأبى أبيض فى صفرة   كأنه تـــبر على فضـــه
جرده الحمـــام عن درة   تلوح فيهـــا عكن بضـــه
غصن تبدى يتثنى عـــلى   مـــأكمة مثقلة النهضـــه
كأنمـــا الرش عـــلى خده   طل عـــلى تفاحـــة غضه
صفاتـــه فاتنـــة كلهـــا   فبعضه يـــذكرنى بعضـــه
ياليتنى زودنى قبلـــة   أولا فمن وجنتـــه عضه

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١٩ .

(٢) ، (٣) نفسه جـ ٧ ص ١٨٠ .

وهكذا يبدى شغفه وافتنانه بالغلام فى مجون عابث وغزل حسى صارخ ، ولكنه لايتمادى فى مجونه إلى درجة الفحش والابتذال والتهتك المكشوف ، فمع ذكره ماحدث بينه وبين غلامه من دعابة وعبث وخلاعة ومجون ، يبتعد جهده عن الألفاظ الفاحشة المنكرة التى تمجها الأذواق وإذا وصل إلى ذكر مايفعله من منكر وإثم اكتفى بأن يقول أن معشوقه أباحه نفسه وبات ملتزمه ويكتم ذكر التفصيلات الآثمة فيقول[1] :

فما زلت أبسطه مازحـــا وأفــرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفســـه بشىء ولكنــــــه مكتتم

وإذا عاتبه معشوقه على ذكره فى الشعر . ولامه على إعلان ماحدث بينهما أخذ من هذا العتاب مادة لغزله ، والتمس لنفسه العذر عنده محتجا بما يحمله قلبه من صبابة وحنين لا يستطيع الصبر عليهما لكبره ، وفى هذا يقول[2] :

فديت من قال لى على خفره وغضّ من جفنه على حوره
سمع بى شعرك المليح فما ينفك شادبه عـــلى وتره
حسبك بعض الذى أذعت ولا حسبَ لصب لم يقض من وطره
فقلت يا مستعير سالفة الخشـــــف وحسن الفتور مــن نظره
لاتنكرنَّ الحنين من طَـــرب عاود فيك الصبا عــلى كبره

وكثيراً ماكان يطالب من الحسين أن يتغزل فى الغلام الذى يسقيه وهو فى مجلس المنادمة ، ويغنى بغزله المغنون ويشرب عليه الندمان فتتم بهجة المجلس ، من ذلك ماقاله فى مجلس لصالح بن الرشيد وكان يهوى غلاما له فغاضبه فتنحى عنه ، وكان جالسا فى صحن حوله نرجس فى قمر طالع حسن ، فطلب من الحسين أن يقول فى ذلك أبياتا يغنى فيها عمرو بن بانه فقال[3] :

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى لمـــا أراه أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغضـــــــــ ـــــس توهمته نسيم شذاكـــــا

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٢ .
(٢) نفسه جـ ٧ ص ٢١٣ . (٣) نفسه جـ ٧ ص ١٦٩ .

وإخال الـذى لثمت أنيسى ... وجليسى مابا شرته يـد اكا

فإذا ما لثمت ثمك فيـه ... فكأنى بذاك قبلت فاكـا

خدع للمنى تعللنى فيـ ... ـك بإشراق ذا وبهجة ذاكـا

لأدومن ياحبيبى على العهد لهـ ... ـذا وذاك إذ حكياكـا

ويتغزل فى غلام المتوكل الذى أوعز إليه مولاه أن يعابثه ليرى مابقى من صبوته بعد أن كبر وضعف ، فيثبت أن شاعريته مازالت متوقدة وأن معانى الغزل مازالت حية فى نفسه فيقول[1] :

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر ... وكالورد يسعى فى قرا طق كالورد

له عبثات عند كل تحيـة ... بعينيه تستدعى الخلى إلى الوجد

تمنيت أن أسقى بكفيه شربة ... تذكرنى ماقد نسيت من العهد

سقى الله عيشا لم أبت فيه ليلة ... من الدهر إلا من حبيب على وعد

ويتغزل بساقى الخمر فيربط بين متعته بجمال محاسنه ومتعته بسقيه وبما يسقيه فيقول[2] :

حث صبوحى فكاهة اللاهى ... وطاب يومى بقرب أشباهى

فاستثر اللهو من مكامنـه ... من قبل يوم منغص ناهى

بابنة كرم من كف منتطق ... مؤتزر بالمجون تيـاه

يسقيك من طرفه ومن يده ... سقى لـطيف مجرب داهى

كأسا فكأسا كأن شاربهـا ... حيران بين الذكور والساهى

ويظهر مجونه بصورة أوضح حين يتغزل فى غلام الواثق فيقول[3] :

يحث كئوسهم مخطـف ... تجاذب أردافـه أمرا

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٠ ، ٢١٦ . (٢) نفسه جـ ٧ ص ١٧١ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٩١ .

ترجـــل بالبـان حتى إذا … أدار غدائره وفـــرا
وفضض فى الجلنار البهـــا … ر والآبنوسة والعبهـــرا
فلما تمازج ماشـــذرت … مقاريض أطرافه شـــذرا
فكل ينافس فى بـــره … ليفعل فى ذاتـــه المنكرا

ولا يقتصر غزله الماجن على الغلمان فقط ، بل يمتد مجونه كذلك إلى غزله فى المرأة ، ومن ذلك مايقوله فى مغنية كانت تألفه اسمها فتن[1] :

لاتلمنى عـــلى فـــتن … إنها كاسمها فـــتن
طيب نشر إذا نمـــت … وغنج ومحتضـــن
زال عشراً مـــن الصبوح … عـــلى وجههـــا الحسن
زعلى لفظها المنـــو … ن اللام بالغـــنن
لست أنسى من الغريـــ … ـرة إذ همت بالشـــجن
قولها إذ سلبتهـــا … عن كئيب وعن عـــكن
ليس يرضيك يافـــتى … من هوى دون أن تهـــن
فامتزجنـــا معاً ممـــا … زجة الروح للبـــدن

فهو يحكى ماحدث له معها فى جلستهما الغرامية ومادار من حديث الهوى معبراً عن شغفه بلفظها العذب حين تنطق باللام فى غنة جميلة ، وهو مع ذلك لايتبذل فى ذكر المنكر وإنما يكتفى بالتعبير عنه تعبيراً أدبياً ، فيشبه امتزاجه معها بامتزاج الروح والبدن ، وبذلك يشغلنا بالصورة الفنية عن فعله الآثم .

وهو لايفضل الغلمان على النساء كأبى نواس ، ومع كثرة غزله فيهم وتولهه بهم فإنه يفضل النساء عليهم ، ويعبر عن ذلك فى قصيدة يحكى فيها ليلة غرام مع امرأة فيقول[2] .

سقيا لهـــا لالأخى شـــعرة … شعرته كالشعرة الوافـــرة
وفى غد تتبعها لحيـــة … تلحقه بالكرة الخاســـرة

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٦ . (٢) نفسه جـ ٧ ص ٢٢١

ويتغزل فى جارية كانت لأم جعفر، وقد أحبها حباً شديداً، وأعيته الحيل فى الوصول إليها، ووسط عاصما الغسانى فى استيهابها فلم يمكنه ذلك، فقال يصف جمالها ويعبر عما يعانيه من اللوعة والعذاب[1] :

رمتك غداة السبت شمس من الخلد ... بسهم الهوى عمداً وموتك فى العمد

موزرةُ السِّربال مهضومةُ الحشـا ... غلاميةُ التقطيع شاطرة القـــد

محنـأةُ الأطراف رؤدٌ شبابهــا ... معقوبة الصدغين كاذبة الوعـد

أقول ونفسى بين شوق وزفـرة ... وقد شخصت عينى ودمعى على الخد

أجيرى على من قد تركت فؤاده ... بلحظته بين التأسف والجهـــد

فقالت عذاب فى الهوى مع قربكم ... وموت إذا أقرحت قلبك البعد

لقد فطنت للجو رفطنة عاصم ... لصنع الأيادى الغر فى طلب الحمد

ونلاحظ أنه يصف جمال تقطيعها بأنه غلامى، ومعنى ذلك أن جمال الغلمان أو وسامة ملامحهم كانت عندهم مثلا رفيعا، وأنهم كانوا يعجبون بها ويفتتنون بجمالها حتى ليشبهون بها ملامح النساء، كما نلاحظ تكرار بعض الصفات التى يقولها فى الغلمان كقوله « معقربة الصدغين . . ومن الصفات المولدة الجديدة أن يصف رشاقة قوامها بقوله شاطرة القد، وكان اسم الشاطر يطلق فى ذلك العصر على كل من هو من أهل البطالة والفساد، ولعل فئة الشطار هذه اشتهرت برشاقة القدود، فأخذ الشاعر هذه الصفة وعبر بها . أما الصفات الأخرى فهى مما عرف فى الغزل التقليدى كقوله « موزرة السربال » ومهضومة الحشا ومحنأة الأطراف .

وغزله فى المرأة قليل بالنسبة لغزله فى الغلمان، ويبدو أن طبيعة المجتمع فى ذلك العصر كانت أكثر ميلا لهذا اللون الجديد . كما أن مجالس الشراب والمنادمة كانت تقوم على خدمة هؤلاء الغلمان، وفيهم يتغزل الشاعر

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٣ — ٢٠٩ .

ليغنى المغنون بقوله ، وأصبحت هذه العادة شائعة بين هذه الأوساط التى ينادمها الحسين ، ويقدم لها كثيراً من هذا الغزل لينال الحظوة لديهم ، كل هذه العوامل دفعته إلى الاكثار منه حتى صار يمثل جانباً كبيراً فى شعره .

وإذا تركنا جانب الغزل الماجن ، لننظر فى الجانب الآخر البعيد عن المجون والخلاعة ، وجدنا للحسين فيه تفوقا وإبداعا شهد له به شعراء ونقاد لهم مكانتهم فى الأدب العربى فهذا أبو نواس يلتقى بالحسين فيقول له : « أنت أشعر أهل زمانك فى الغزل ، قال : وفى أى ذلك ؟ قال : ألا تعلم ياحسين ؟ قال : لا ، قال فى قولك :

وا بأبى مُقْحَمَ لغرَّتـــــه	قلت له إذ خلوت مكتتما
تحب بالله من يخصك بالـود	فما قال لا ولا نعمـــــــا
ثم تولى بمقلتى خجـــــل	أراد رجع الجواب فاحتشما
فكنت كالمبتغى بحيلتــــه	برءاً من السقم فابتدا سقما[1]

فأبو نواس يشهد له بذلك لطرافة المعنى الذى تضمنته الأبيات ، إذ أراد الشاعر أن يسر لمعشوقه بحبه ليعرف منه مدى استجابته إليه ، فمنعه الخجل من الرد عليه ، بينما عبرت عيناه عن معان زادت من لوعة الحب فى نفس الشاعر . ولم تنفع حيلته فى الفوز بكلمة منه تشفى سقمه ، بل زادته سقماعلى سقم ، وأذكت نار الحب فى قلبه :

وهذا أبوالعباس ثعلب — وهوعالم كبيرمن علماء العربية — ينشد قول الحسين[2] .

لاوحبيك لا أصـــــــا	فح بالدمع مدمعـــــا
من بكى شجوه اســـترا	ح وإن كان موجعـــا

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٧٤ . (٢) نفسه ج ٧ ص ١٧٤ — ١٧٥ .

كبدى فى هواك أسـ ـمٌ من أن تقطعـا
لم تدع سورة الضـ ـنى فىّ للسقم موضعا

ثم يعلق عليه بقوله : مابقى من يحسن أن يقول مثل هذا[1] وإذا كان ثعلب لم يشرح سبب إعجابه بمعانى الأبيات فذلك لأن روعة الإبداع فيها واضحة كل الوضوح .

فالشاعر فى البيتين الأولين يثبت حقيقة نفسية هامة أقرها علماء النفس فى العصر الحديث ، وهى أن البكاء يخفف كثيراً من شدة الكبت النفسى الناتج عن الأحزان والآلام الواقعة على النفس ، والشاعر لايريد أن يبكى كما يبكى العاشقون حتى لايزيح عن نفسه هموم الحب أويريحها من أوجاعه ، وهذا معنى جديد لم يصل إليه شعراء الغزل قبله . أما معنى البيتين الأخيرين ففيه أيضا تجديد طريف ، إذ لا يقول أن كبده قطعتها آلام العشق كما تعود أن يقول الشعراء ، بل يصل إلى أبعد من ذلك ، فيقول أن ماسببه لها العشق من سقم جعلها فى حالة من الإعياء والعلة لاتقاس بها آلام تقطيعها ، ثم يزيد المعنى قوة وروعة بأن يجعل تأثير الحب فى نفسه مضنيا إلى درجة شديدة حتى إنه لم يعد فيها مكان لعلة جديدة .

وابن الرومى كذلك يعجب بغزل الحسين فيقول « إنه أغزل الناس وأظرفهم حين يقول :

يا مستعير سوالف الخشف اسمع لحلفة صادق الحلف
إن لم أصح ليلى : ويا حربى من وجنتيك وفترة الطرف
فجحدت ربى فضل نعمته وعبدته أبدا على حرف[2] »

ولعل إعجاب ابن الرومى راجع إلى إحساسه بتجديد الشاعر فى معناه وفى طريقة تعبيره ، إذ يرى نفسه بالجحود واضطراب العقيدة والفكر بنعمة ربه التى تتمثل فى جمال محبوبه ، إذا لم يصح بأعلى صوته قائلا (وا حربى)

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٤ — ١٧٥ . (٢) نفسه جـ ٧ ص ١٧٥ .

لما يراه من جمال وجنتيه وفتور نظراته فهو يكاد يجن من أسر جماله ، ومع ذلك فصياحه المجنون هذا تعبير عن إيمانه بالله واعتراف بنعمته الجزيلة ؛ ولو لم يفعل ذلك لكان جاحدا ولكانت عبادته لله على حرف كعبادة المنافقين.

وكان الخليفة المتوكل شديد الإعجاب بشعر الحسين ويفضله على جميع شعراء زمانه ويتغنى بشعره فى الغزل ، قال على بن الجهم : « دخلت يوما على المتوكل وهو جالس فى صحن خلده وفى يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر :

بالشط لى سكن أفديه من سكن	أهدى من الآس لى غصنين فى غصن
فقلت إذ نظما إلفين والتبسا	سقيا ورعيا لفأل فيكما حسن
فالآس لا شك آس من تشوقنا	شاف وآس لنا يبقى على الزمن
أبشرتمانى بأسباب ستجمعنا	إن شاء ربى ومهما يقضه يكن

قال فلما فرغ من إنشادها قال لى وكدت أنشق حسدا : لمن هذا الشعر يا على ؟ فقلت : للحسين بن الضحاك يا سيدى . فقال لى : هو عندى أشعر زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطا . فقلت وقد زاد غيظى : فى الغزل يامولاى . قال : وفى غيره وإن رغم أنفك ومت حسدا . وكنت قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل ،وعلمت أنى لا أنتفع مع ماجرى بيننا بشىء لا به ولا بالقصيدة ، فأخرتها إلى وقت آخر[1] » .

ففى هذا الخبر تسليم تام بتفوقه فى الغزل من على بن الجهم ، الذى اعترف فى صراحة بأنه كاد ينشق حسدا لهذه المكانة التى بلغها الحسين عند المتوكل ، والتى كانت عائقا دون إنشاده القصيدة التى أعدها فى مدحه لشعوره بانشغاله عن كل ما حوله واستغراقه فى الإعجاب بأبيات الحسين التى يتمثل بها ، وتفضيله على كل من عداه من شعراء عصره فى الغزل وفى غيره . وإذا نظرنا

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٠

فى معانى هذه الأبيات وجدنا تجديدا طريفا وتفاؤلا مشرقا ، إذ يرى الشاعر فى هدية حبيبه إليه فألا حسنا وبشرى طيبة بأنهما سيلتقيان كما يلتقى غصنا الآس المتشابكين فى غصن واحد، بل يجعل الآس آسيا مشفقا عليهما لما يقاسيا من عذاب الشوق ، عاملا على جمعهما معا شافيا لقلبيهما من سقم البعد ، فما أجمل هذه الهدية من حبيبة ، وما أجمل المعانى التى توحى بها ، والآمال التى تبعثها .

ومن مظاهر التجديد فى غزل الحسين ما يراه أستاذنا الدكتور شوقى ضيف من وجود ضرب من الغزل المعنوى الواهم[1] على نمط ما نقرأ فى قوله[2] :

إن من لا أرى وليس يرانى	نصب عينى ممثّل بالأمانى
بأبى من ضميره وضميرى	أبدا بالمغيب ينتجيان
نحن شخصان إن نظرت ورو	حان إذا ما اختبرت يمتزجان
فإذا ما هممت بالأمر أو همّ	بشىء بدأته وبدانى
كان وفقا ما كان منه ومنى	فكأنى حكيته وحكانى
خطرات الجفون منا سواء	وسواء تحرك الأبدان

ويعلق أستاذنا على هذه الأبيات شارحا وجهة نظره بقوله: « فإنك تحس بتغير واضح فى طريقة التفكير ، إذ ينزع الشاعر إلى منزع جديد فى غزله ، فهو لا يعنى بالصورة الحسية كما نجد فى شعر الأعشى وامرىء القيس أو غزل بشار وأبى نواس ، وكأنى بالشاعر يتأثر بعناصر أفلاطونية فى تفكيره ، فقد مثلت القطعة روحا جديدة بل صياغة جديدة ، فقد ألف الناس أن يتحدثوا عن الصياغة الحسية الظاهرة ، ويتركوا الصياغة الذهنية الباطنة وهى أبعد غورا ومنالا ، ونقصد بها تنظيم الأفكار وطريقة صوغها وتصورها . ولسنا نشك فى أن هذا الشعر يمثل صياغة جديدة فى الفن العربى

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٠٥ ط ثالثة .

(٢) انظر الأبيات فى الأغانى جـ ٧ ص ١٨٧ .

أو هي من بعض الجوانب جديدة ففيه تجريد ووهم وفرض وبعد إغراق في الخيال[١] » .

ومن قبيل الغزل المعنوى الواهم أيضا قوله يناجى طيف معشوقه الذى زاره فى المنام فعاتبه على ما كان منه ، ورضى منه بالاعتذار مع أنه لا حقيقة له فى الواقع ، يقول[٢] :

سقيا لزور من طيف محتجب ... عاتبته فى المنـــام فاعتـــذرا
فزال حقد الضمير عن سكن ... يسخطنى رائحـــا ومبتكرا
رضيت من عذر من أقام على الذ ... نب بطيف ألم معتـــــــذرا

وفى غزل الحسين كثير من المعانى الطريفة التى تدل على رهافة حسه ورقة طبعه وروعة إبداعه ، فإذا فارق حبيبه ساعة أحس أنه غريب بين الناس ، وإذا أراد أن يسلو عنه هواه خانه ضميره ، وكأنما عليه رقيب فرضه هذا الهوى ، فلا يستطيع منه فكاكا ، وفى ذلك يقول[٣] :

كأنى إذا فارقت شخصك ساعة ... لفقدك بين العالمين غريـــب
وقد رمت أسباب السلو فخاننى ... ضمير عليه من هواك رقيب

وقلبه طائر صادته ألحاظ معشوقه ونقطة الخال التى نصبها له على خده ، يقول[٤] :

يا صائـــد الطير كم ذا ... باللحظ تضنـــى وتسبى
نصبت نقطـــة خـــال ... نصبات طير قلبى

ولا يغيب عنا أن ذكر الخال من المعانى الجديدة التى كان يولع بها الفرس ، والتى دخلت عن طريقهم إلى الشعر العربى وكثيرا ما ردده شعراؤهم فى أشعارهم .

---

(١) انظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٠٥ — ١٠٦ طبعة ثالثة .
(٢) انظر الزهرة ص ٢٦٣ .
(٣) نفسه ص ١٦٦ .
(٤) المستطرف جـ ٢ ص ٢٢ ط بولاق سنة ١٢٦٨ .

ويعبر الحسين عن تأثير ، الهجر عليه فى تقسيم حسن ،فيجعل بعضه محترقا بناره ، وبعضه الآخر غريقا فى دموعه . . ثم يبين ما سببه عذاب العشق له من إرهاف فى الحس وخفة فى الفكر ، حتى أصبح لا يسمع عاشقا يشكو من لوعة عشقه إلا ويظن أن معشوقه هو سبب كل شكوى ومعذب كل عاشق . وهذا فى قوله[1] :

بعضى بنار الهجر مات حريقا والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعتـه إلا ظننتك ذلك المعشـــوقا

وهكذا يتبين لنامدى الإبداع الذى حققه الحسين فى غزله ،ومدى التجديد الذى أضافه إليه ،وقد شهد له بذلك شعراء ونقاد لهم مكانتهم فى الأدب العربى قديما وحديثا . وأنه لم يقتصر فى تجديده على الغزل الماجن فى الغلمان أو فى النساء ، إنما حلق بشاعريته فى كل أجوائه حتى بلغ ذروة الإجادة والإبداع .

٣ — الديارات وأماكن اللهو :

كانت الديارات المسيحية منتشرة فى نواحى العراق وسوريا من زمن بعيد قبل الإسلام ، ولم يكن يأتى ذكرها فى شعر الشعراء إلا نادرا وبصورة خاطفة ، كذكرهم أسماء الأماكن فى ديارهم من توضح والمقراة ، وحومانة الدراج والمتثلم ، وما إلى ذلك من أسماء .

وظل الشعراء على هذه الحال إلى أواخر العصر الأموى ، إذ كان الدين الإسلامى ما يزال محتفظا بهيبته ووقاره ، وكان الناس يترفعون عن زيارة محلات العبادة الغريبة عن الإسلام ،ولا يقصدونها إلا إذا كانوا على سفر وأرادوا أن ينالوا قسطا من الراحة فى طريقهم ، ولم تكن قد طغت على المجتمع بعد هذه الموجة الجارفة من الترف والمجون وشرب الخمر والاستهتار بالدين. فلما جاء العصر العباسى كانت هذه الآفات قد تمكنت من نفوس الناس

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٣ .

ولا سيما الشعراء ، ونشأت منهم هذه الطائفة الماجنة من أمثال الحسين وأبى نواس ، وكثر ترددهم على هذه الديارات وأماكن اللهو ، حيث يجدون كل ما تهفو إليه نفوسهم من خمورها الجيدة المعتقة ، ويعقدون مجالس لهوهم ومجونهم فى حرية تامة واستهتار صريح ، ومن ثم لهجت ألسنتهم بذكرها ، وكثر شعرهم حول ما يقضونه من أوقات لهوهم ومتعتهم .

وقد حفظت لنا معاجم البلدان والكتب التى تخصصت فى الحديث عن هذه الديارات ككتاب الشابشتى ، كثيرا من شعر الحسين فى هذا الموضوع، فإذا قرأنا هذه الأشعار وجدناها تدور حول الخمر ومجالس الشراب والمجون والغزل بالمذكر ووصف الطبيعة وأحوال رهبان الدير . من ذلك قوله فى دير سرجس (١) :

أخوى حيَّ على الصبوح صباحا	هبا ولا تعدا الصباح رواحـــا
هذا الشميط (٢) كأنه متحيرٌ	فى الأفق شد طريقه فألاحـــا
ما تأمران بقهوة قرويـــــة	قرنت إلى درك النجاح نجاحـا
مهما أقام على الصبوح مساعد	وعلى الغبوق فلن أريد براحا
عودا لعادتنا صبيحة أمسنـــا	فالعود أحمد مغتدى ومراحـا
هل تعذران بدير سرجس صاحبا	بالصحو أو تريان ذاك جناحا
إنى أعيذكما بألفة بيننـــــــا	أن تأمرا بقرى الفرات قراحا
عجت قواقزنا (٣) وقدس قسنا	هزجا وأصخبنا الدجاج صياحا
للجاشرية (٤) فضلها فتعجـلا	إن كنتما تريان ذاك صلاحـــا

---

(١) انظر القصيدة فى الديارات ص ١٥١ وفى مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٨٥ ومعجم البلدان مادة دير سرجس . وكان هذا الدير بطيزناباد بين الكوفة والقادسية على وجه الأرض بينه وبين القادسية ميل . وكان محفوفا بالكروم والأشجار والحانات ، وقد خرب وبطل ولم يبق منه إلا خرابات على ظهر الطريق يسميها الناس قباب أبى نواس .

(٢) الشميط : الصبح .

(٣) القواقز : جمع قاقوزة وهى القدح .

(٤) الجاشرية : شرب يكون مع الصبح .

يارب ملتبس الجفون بنومـة نبهته بالراح حين أراحـا
فكأن ريا الكأس حين ندبتـه للكأس أنهض فى حشاه جناحا
فأجاب يعثر فى فضول ردائه عجلان يخلط بالعثار مراحـا
مازال يضحك بى ويضحكنى به ما يستفيق دعابة ومزاحـا
فهتكت ستر مجونه بتهتكى فى كل ملهية وبحت وبـاحا

فهو يدعو صاحبيه للشراب فى الصباح الباكر الذى وصفه بالحيرة، وكأنما سد الطريق أمامه فى الأفق فلاح نوره من خلف السد باهتا ضعيفا ، ثم يعود إلى الحديث عن الخمر التى يرى فيها نجاح حياتهم ،ويعبر عن شغفه الشديد بها بأنه لا يريد مبارحة هذا المجلس،ويود أن يظل على هذه الحال واصلا يومه بغده كما وصله بأمسه ، ويسأل صاحبيه : هل لأحد من الصحاب عذر فى أن يبقى صاحيا لا يشرب ولا يسكر مثلهم ، وهل يقبل منه هذا العذر أم يعتبر ذنبا لا يغتفر له ؟ وكأنه يريد بالسؤال إدانته بصحوه ومخالفته ما اجتمع عليه الصحاب . ويصور الصخب والضجيج فى الدير الذى اجتمعت عليه ثلاثة أسباب من قرع أقداح الخمر ، وصلاة القسيس متغنيا بآياته وصياح الدجاج مع إشراقة الفجر . ثم يعود فيطلب التعجيل بالشراب .

وينتقل من ذلك إلى الغزل بالمذكر ، إذ نبه غلامه من غفلته ، فاستيقظ من نومه على ريح الخمر وكأنها رفرفت فى أحشائه بجناحين ،وما زالا يضحكان ويلهوان حتى وصلا إلى درجة التهتك التى عبر عنها فى البيت الأخير وكأنه يفخر بمجونه وتهتكه . فمعظم القصيدة يدور على الخمر والمجون والغزل بالمذكر ، بينما لم يتعد ذكر الصباح وصلاة القس وصياح الدجاج بيتين اثنين .

ويتحدث عن صلوات الرهبان وغنائهم بصورة أوضح فى قصيدته عن عمر نصر[1] فيقول :

يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة هاجت بلابل صب بعد إقصار

(١) كان عمر نصر بسر من رأى وذكر البكرى أنه كان من متنزهات آل المنذر بالحيرة . انظر معجم ما استعجم ص ١٠٩٠ ط سنة ١٩٤٧ .

لله هاتفة هبت مرجِّعـــــــةً … زبور «داود» طورا بعد أطوار

بِحُنها دالقٌ بالقدس محتَنِـــكٌ … من الأساقف مزمورا بمزمار

عجَّت أساقفها فى بيت مذبحها … وعجَّ رهبانها فى عرصة الدار

ولكنه ينتقل من ذلك إلى الحديث عن الخمار ويتغزل فيه فيقول :

خمار حانتها إن زرت حانتـــه … أذكى مجامرها بالعود والغـــار

يهتز كالغصن فى سُلْبٍ مسودة … كأن دارسها جسم من القـــار

تلهيك ريقته عن طَيب خمرته … سقيا لذاك جنى من ريق خمار

أغرى القلوب به ألحاظ ساجية … مرهاء تطرف عن أجفان سحار

ويمزج بين الخمر ووصف والطبيعة فى قصيدته عن عمر مريونان فيقول [١] :

آذنك الناقوس بالفجـــــــر … وغرد الراهب فى العمـــــر

فحن مخمور إلى خمــــــــره … وجادك الغيث على قـــــدر

واطردت عيناك فى روضـــــة … تضحك عن صفر وعن حمـــر

فعاط ندمانك من خمـــــرة … مزاجها معترف الغــــــــدر

على خزاماها وحواناتهـــــا … ومشكل من حال الزهـــــر

فى مسرح ترقع أكتافـــــه … مشادن من بقر زهـــــــر

يا حبذا الصبحة فى العمـــــر … وحبذا نيسان من شهـــــر

وتهيج دواعى الشوق فى نفسه حين يذكر دير مديان [٢] القائم على نهر كرخايا قرب بغداد ، ويذكر أوقاته الجميلة التى قضاها به ، وهو حينئذ

---

(١) عمر مريونان أو دير مريونان كان يقع بالأنباء على الفرات وهو كبير وعليه سور محكم والجامع ملاصقه . انظر معجم البلدان .

(٢) دير مديان على نهر كرخايا ببغداد – وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير وكان الماء فيه جاريا ، ثم انطم وانقطعت جريته بالبثوق التى انفتحت فى الفرات ، وهو دير حسن نزه ، حوله بساتين وعمارة ، ويقصد للتنزه والشرب ، ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهة . انظر الديارات ص ٢١ .

مع المعتصم بالشام وقد حط ركبهم بدير مران هناك ، فلا تجود قريحته بشعر إلا فى ذكر الدير الذى تربطه بنفسه ذكريات تثير أشجانه ، فيقول :

حث المدام فإن الكأس مترعة ... بما يهيج دواعى الشوق أحيانا
إنى طربت لرهبان مجاوبـــة ... بالقدس بعد هدوّ الليل رهبانا
فاستنفرت شجنا منى ذكرت به ... كرخ العراق وأحزانا وأشجانا
فقلت والدمع من عينى منحدر ... والشوق يقدح فى الأحشاء نيرانا
يادير مديان لاعرّيتَ من سكن ... ما هجتَ من سقم يادير مديانا
هل عندقسك من علم فيخبرنى ... أن كيف يسعد وجه الصبر من بانا
سقياً ورعياً لكرخايا وساكنه ... بين الجنينة والروحاء من كانا

من كل هذه الشواهد نرى أن الديارات كان لها تأثيرها العميق فى نفس الحسين ، وأنها احتلت مكانا من شعره لا يهون شأنه ، وإن كان ارتباطها بالخمر والمجون قد جعل لهما الحظ الأكبر فى المعانى التى تدور حولها قصائده فيها .

أما أماكن اللهو من المتنزهات والحانات فلها أيضا مكانها فى شعر الحسين . وشعره فيها يدور كذلك حول الخمر والغزل ووصف الطبيعة . فهذه قصيدته التى قالها فى متنزه بباري[1] وكان قد شرب فيه مع صالح بن الرشيد . يقول :

أما ناجاك بالنظر الصحيـــح ... وأنّ إليك من قلب قريـــح
فليتك حين تهجره ضـــراراً ... مننت عليه بالقتل المريـــح
بحسنك كان أول حسن ظنى ... أما ينهاك حسنك عن قبيـــح
وما ينفك متهما لنصحـــى ... بنفسى نفس متهم نصيـــح
أحب النوء من نخلات بارى ... وجوّ سقها المشيّد بالصفيـــح

---

(١) بارى من أعمال كلواذى . وكان لصالح بها بستان حسن جليل وسوره باق إلى الآن وآثاره . انظر الديارات ص ٣٨ .

ويعجبنى تناوح أيكتيهـــا | إلى بريح حوذان[١] وشيـــح
ولن أنسى مصارع للسكارى | ونادبة الحمام على الطلــوح
وكأس فى يمين عقيد مـــلك | تزين صفاته غرر المديـــح
صريح مدامة هويت صريحا | وهل تزرى الصريحة بالصريح
ألا يا عمرو هل لك فى الصبوح | هلم إلى صفيـــة كل روح
فقام على تخاذل مقلتيـــه | وسلسلها كأوداج الذبيـــح
وأتبع سكرة سلفت بأخـــرى | وخلى الصحو للكز الشحيـــح

فهو يبدؤها بالغزل فى أربعة أبيات ثم يصف جمال المنظر حوله من نخيل باسق مثمر وزهور متفتحة جميلة وقصر منيف ، وحمام ينوح على الطلوح ، ثم مصارع السكارى وسط هذه الرياض وكأنها مكملة لجمال المنظر ثم يتحدث بعد ذلك عن الخمر وعن صالح والكأس فى يده وما أشبه الخمر به فى صراحتها وصفائها ، ويصفها بأنها صفية كل روح وبأنها حمراء كلدم الذبيح ،ويصف ساقيها وسكرهم بعد سكر فى هذا المجلس اللاهى العابث :

وفى قصيدة أخرى يذكر حانة الشط التى شرب فيها مع الخليفة الواثق وما قضوه فيها من أوقات السرور والمتعة والخلاعة التى احترز فجعلها فى غير فاحشة ، لكرامة الخليفة الذى وصفه بالمرح والدعابة . كما ذكر من ألوان المتعة عزف الموسيقى من ضرب على الطنبور ومن زمر «زنام» المشهور ، والساقى يدور بينهم بكئوس الخمر ، ثم وصف ما يحيط بهذه الحانة من طبيعة جميلة ورياض ناضرة ، يقول[٢] :

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا | عودى بيوم سرور كالذى كانا
لا تفقدينا دعابات الإمام ولا | طيب البطالة إسرارا وإعلانـــا
ولا تخالعنا فى غير فاحشـــة | إذا يطربنا الطنبور أحيانـــا

---

(١) الحوذان : نبت من نبات السهل يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء فى أصلها صفرة .
(٢) انظر القصيدة وخبرها بالأغانى جـ ٧ ص ٢٩٧ — ١٩٨ .

وهاج زمر زنام[1] بعد ذاك لنا　　شجوا فأهدى لنا روحا وريحانا

وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السـ　ـقيا فألحق أولانا بأخرانا

سقيا لشكلك من شكل خصصت بـه
دون الدساكر من لذات دنيانا

حفت رياضك جنات مجاورة　　فى كل مخترق نهرا وبستانا

لا زلت أهلة الأوطان عامرة　　بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

من ذلك يتبين لنا أن أماكن اللهو لها — كما كان للديارات — أثرها فى شعر الحسين، وأن شعره فيها كانت له مميزاته الخاصة التى تتفق مع طبيعتها ومع تجربته بها ، ولذلك اجتمعت فيه عدة عناصر من شعر الخمر والغزل والمجون ووصف الطبيعة وأحوال الرهبان والخمارين وما إلى ذلك مما يتصل بهذه الأماكن وطبيعة وجودها كما رأينا . وهذا لون من التجديد الذى شارك الحسين فى إضافته إلى تراث الشعر العربى .

---

(١) زنام : زمار حاذق خدم كلا من الرشيد والمعتصم والواثق ، وهو الذى أحدث الناى فى زمن المعتصم فيقال : ناى زنامى .

الفصل الثالث

خصائصه الفنية

١ — تجربة حية :

من أبرز الخصائص التى تميز بها شعر الحسين بن الضحاك أنه يعبر عن تجربة حية عاشها الشاعر ، ويترجم عن أحاسيسه ومشاعره التى جاشت بها نفسه فى معاناتها لتجربتها ترجمة صادقة ، نابضة بالحياة ، ناطقة بأحداثها وملابساتها ، فهو شاعر قد اكتملت طبيعته الفنية ، وهى تلك الطبيعة التى تجعل من الشاعر جزءا من حياته أيا كانت هذه الحياة من الكبر أو الصغر ومن الثروة أو الفاقة ، ومن الألفة أو الشذوذ ، وتمام هذه الطبيعة أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا لا ينفصل فيه الإنسان الحى عن الإنسان الناظم ، وأن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره ، وموضوع شعره هو موضوع حياته[1] .

وإذا أردنا أن نطابق بين حياة الحسين وشعره ، وجدنا الصورة متماثلة فى كليهما ،وكأنما ، هذا الشعر مرآة انعكست عليها صورة حياته بأحداثها ، وخلجات نفسه وهواجسها ، فنرى فيه أحداث مجونة وخلاعته ، وأخبار لهوه ومنادمته ، ومغامرات حبه وعشقه وانفعالات أحزانه وآلامه،وأحاسيس فرحه وسروره، وانطباعات خوفه وضعفه،وبسمات ظرفه ونادرته ، كل هذه التجارب نراها واضحة فى شعره تنبض بالحياة فى صدق بالغ ، وتنبىء عن صاحبها فى أمانة خالصة :

وقد عرفنا عن حياة الحسين وسيرته ما ييسر علينا مطابقتها مع شعره ، أو مطابقة شعره مطابقة فنية لا تلتزم بتفاصيل هذه السيرة التزاما تقريريا ،

---

(١) انظر ابن الرومى — حياته من شعره — ص ٤ الطبعة الثانية .

بل تستخلص منها التجارب البارزة التي كانت لها طاقة موحية، وقوة شعورية، يتفتق عنها الإبداع الفني عند الشاعر ، وتصهر تجربته في بوتقة شاعريته ليخرجها لنا فنا رفيعا وشعرا بديعا . عرفنا عن هذه الحياة ما اتسمت به من من المجون والخلاعة ، وقرأنا في شعر الحسين ترجمة لتجارب كثيرة من مجونه وخلاعته ، فصلاته بالغلمان والجواري بما فيها من عشق ووصال ومتعة وعبث ، ولهو ومداعبة ، وتهتك وعربدة ، وما فيها من هجر وخصام ، وبعد وعذاب ، وحرمان ولوعة ، وشوق ولهفة . كل هذه العناصر تحفل بها قصائده ومقطوعاته التي نظمها معبرا بها عن تجاربه مع معشوقيه هؤلاء، نذكر منها على سبيل المثال قصيدة يحكي فيها أحداث ليلة من لياليه الماجنة قضاها مع غلام الحسن بن سهل الذي كلفه بخدمته وسقيه ، وكان الحسن قد طلب منه المبيت عنده ، فلما أصبح سأله : كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك ؟ فقال له : أأصف ذلك نثرا أم نظما ؟ فقال : بل نظما فهو أحسن عندي ، فقال(١) :

تألفت ظبي غزال الحرم	فواصلني بعد ما قد صرم
وما زلت أقنع من نيله	بما تجتنيه بنان الحلم
بنفسي خيال على رقبة	ألم به الشوق فيما زعم
أتاني يجاذب أردافه	من البهر تحت كسوف الظلم
تمج سوالفه مسكة	وعنبرة ريقه والنسم
تضمخ من بعد تجميره	فطاب من القرن حتى القدم
بقول ونازعته ثوبه	على أن يقول لشيء نعم
فغض الجفون على خجلة	وأعرض إعراضة المحتشم
فشبكت كفي على كفه	وأصغيت ألثم درا بفم
فنهنهني دفع لا مؤيس	بجد ولا مطمع معتزم
إذا ما هممت فأدنيته	تثنى وقال لي الويل لم
فما زلت أبسطه مازحا	وأفرط في اللهو حتى ابتسم

(١) أغاني الدار جـ ٧ ص ١٨٢ .

وحكمني الريم في نفسه بشيء ولكنه مكتتم
فواها لذلك من طارق على أن ما كان أبقى سقم

فنراه في بداية القصيدة يحاول التستر على حقيقة ما حدث بادعائه أن طيف معشوقه زاره في الحلم ، ليوهم الحسن بأن كل هذا الذى قاله ما هو إلا أضغاث أحلام ، ولكن حيلته هذه لم تنطل عليه ، فقال له : « ياحسين يا فاسق . أظن ما أدعيته على الطيف في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه ، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن نرحض[٢] العار عن أنفسنا بهبة الغلام لك، فخذه لا بورك لك فيه[٣] » . فأخذه وانصرف . وهذا الفهم من الحسن يساعدنا على معرفة حقيقة التجربة، وأنها قد حدثت فعلا بتفصيلاتها التي ذكرها في القصيدة . وليست من نسج خياله أو من تأليفه وابتكاره ، فهي تجربة حية من واقع حياته ، نحس فيها صدق الحدث ، ونرى خلالها عبثه ومجونه ومداعبته للغلام وأخذه بكل وسيلة ، كما نرى إعراض الغلام عنه ، ودفعه له دفعا لينا لا يبعث في نفسه اليأس ، وخجله من الموقف ومن الفعل الشاذ ،وما زال به حتى أستطاع أن يصل إلى بغيته التي لايصرح بذكرها وما هو بحاجة إلى تصريح بعد ما قال .

ومثل هذه القصيدة قصائد أخرى ومقطوعات كثيرة تحكى كل واحدة منها تجربة حية من واقع مجونه أو من صميم علاقاته بالغلمان والجوارى ، كما رأينا في شعره عن الغلام « يسر » وعن الجارية « فتن » وغيرهما ، وكما رأينا في شعر الديارات وأماكن اللهو .

وهو في غزله لا يصطنع الحدث ولا يتكلف القول ، وإنما يصدر عن تجربة حية من واقع حياته . ويترجم عن معان ولدتها هذه التجربة وأبرزتها في مخيلته . من ذلك مثلا ما يحدث بينه وبين حبيبه حين يجمعهما المجلس مع شخص أو أشخاص آخرين يخشى من التصريح أمامهم أو إبداء أى تصرف يفهم منه وجود علاقة حب بينهما ، وهنا تتلاقى نظراتهما وفيها كل معانى

---

(٢) نرحض : نغسل .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٣ .

الهوى ، ولكنها نظرات خاطفة تخشى الرقيب فلا تتناجى ولا تطيل ، ومع ذلك فهى تعبر عما يقاسيه من أوعة الحب ، وتخبر عما بقلب حبيبه من وجد لا حيلة له فى إظهاره ، فهو يسترق اللحظ ناظرا إلى وجه الرقيب لخوفه منه ، متحينا فرصة غفلته لينظر إلى وجه حبيبه . هذه التجربة يترجم عنها الحسين فى قوله[1] :

ومسترق للحظ لم يظهر الهوى | يريد يناجينى فيمنعه الخجل
شكوت بطرفى ما أقاسى من الهوى | إليه فأوما بالسلام على وجل
تخبرنى عيناه عما بقلبه | وقد مات من وجد وليس له حيل
فعين إلى وجه الرقيب لخوفه | وعين إلى وجه الحبيب إذا غفل

وتحدث لمعشوقه « يسر » حادثة مع صالح بن الرشيد تغضب مولاه « أباعيسى » فيأمر بحجبه كما تحجب النساء ، ويمنعه من الاتصال بأحد ، ويأمره بألا يخرج إلا ومعه حافظ له موكل به ، ويضيق الحسين بهذا القرار ، ويعانى من البعد عن معشوقه ويتحرق شوقا إليه ، ويغتاظ من منع الأحراس له من لقائه ، فيعبر عن هذه التجربة بقوله[2] :

ظن من لا كان ظنا | بحبيبى فحماه
أرصد البـاب رقيبـ | ـين لـه فاكتنفاه
فإذا ما اشتاق قربى | ولقــائى منعاه
جعـل الله رقيبيـ | ـه من السوء فداه
والذى أقرح فى الشا | دن قلبى واواه
كل مشتاق إليـه | فمن السوء فداه
سيما من حالت الأحـ | ـراس من دون مناه

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٠٠ .
(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٢٠ .

وخوفه من هجر معشوقه له يحدث فى قلبه روعة واضطرابا ، وهو مجرد ظن لا حقيقة له ، ولكنه يخيفه ويؤرقه فيتمنى أن يكون ظنا كاذبا . هذه التجربة الشعورية الحية يترجم عنها فيقول ،

بحرمة السكر وما كانـــا	عزمت أن تقتل إنسانـــا
أخاف أن تهجرنى صاحيـــا	بعد سرورى بك سكرانـــا
إن بقلبى روعـــــة كلما	أضمر لى قلبك هجرانـــا
ياليت ظنى أبـــداً كاذب	فإنه يصدق أحيــــــانا

ونذكر تجربة أخرى من علاقاته بالغلمان ليس فيها مجون وخلاعة ، وإنما فيها هجر وخصام ومجافاة ، ذلك أنه عبث بيسر يوما على سكر ، فأخذ هذا قنينة فضرب بها رأسه فشجه شجة منكرة ، وشاع خبره ، وتوجع له إخوانه ، وتولج منها مدة ، فجفا يسراً وطرحه وأبغضه ولم يعرض له بعدها ، فرآه بعد ذلك فى مجلس مولاه فعبث به الغلام وغازله ، فلما أكثر ذلك قال له الحسين [1] :

عويتكم جهدى وزدت على الجهد	ولم أر فيكم من يقيم على العهـد
فإن أمس فيكم زاهداً بعد رغبـة	فبعد اختيار كان فى وصلكم زهدى
لعمرى لقد أغضيت فيكم على التى	تجرعنى المكروه من غصص الحقد
تأتيتكم بقيا الصديق لتقصـــدوا	وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد
تعزواً بيأس عن هواى فـــإننى	إذا انصرفت نفسى فهيهات من ردى
أبى القلب إلا نبوة عن جميعــكم	كنبوتكم عنى فى السحق والبعـد
أرى الغدر ضدا للوفاء وإنـــنى	لأعلم أن الضد ينبو عن الضــد
إذا خنتم بالغيب عهدى فمالـــكم	تدلو ن إدلال المقيم على العهـــد

---

(١) أبيات القصيدة متناثرة فى الموشى ص ١١٤ والأغانى جـ ٧ ص ١٨٤ والزهرة ص ١٥٤ وعيون التواريخ حوادث سنة ٢٥٠ ومسالك الابصار جـ ٩ .

صلوا وافعلوا فعل المدلّ بوصلـه   وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذى الصد
ولى منك بد فاجتنبنى مذمّـــا   وإن خلت أنى ليس لى منك من بد
فكم من نذير كان لى قبل فيــكم   وها أننا فيكم نذير لمن بعـــدى
فوا أسفاه من صبوة ضاع شكرها   مضت سلفا من غير أجر ولاحمد

فهو يعبر عن جفاء شديد وألم نفسى عميق ونبولا قرب بعده ، إذ جعلته هذه الحادثة زاهداً فى غلامه أشد الزهد ، بعد أن جهد فى هواه أعظم الجهد ، وبعد أن أغضى عن كثير من أخطائه وغدره ، وتجرع المكروه من غصص جوره ، ولم يكن هذا الصبر منه إلا حفاظاً على الود وإبقاء على الحب ، ولكن بعد هذه الفعلة الشنعاء لم يعد فى قلبه ذرة من قبول أو رغبة فى معاودة ، وقد انصرفت نفسه عن هذا الهوى انصرافاً تاما هيهات أن ترد بعده ؛ فكيف يجتمع ضدان متنافران من غدر غلامه ومن وفائه ؟ . فليعز الغلام نفسه باليأس فى هواه ، ولا داعى لهذا الدلال الذى يظهره ، وكأنه مبق على العهد ، فإنه جاد فى قطيعته وجفائه تمام الجد ، وإن ظن أنه لا يستطيع الاستغناء عنه . وان ما فعله يكفى نذيراً لكل من أراد وصاله ، ويختم قصيدته مبديا أسفه على هذه الصبوة التى ضاعت بلافائدة ، وانقضت بلاحمد . كل هذه الانفعالات العميقة النابعة من أغوار نفسه ومن صميم قلبه ، تدل دلالة واضحة على معاناته لهذه التجربة وتأثره بها إلى درجة بعيدة ، ولهذا جاء شعره فيها نابضاً بالحياة فى صدق وإبداع ، بعيداً عن التكلف والاصطناع .

وتتمثل التجربة الحية كذلك فى شعره الخمرى ، إذ أنه كان من شاربيها المدمنين . وقد عرفنا مدى إجادته وبراعته فى هذا اللون من الشعر ، وعرفناه شاعراً من شعراء الخمر المجددين المفلقين ، فشعره فيها نابع من

أعماق نفسه ومن صميم تجربته . وكثيراً مايدخل شعره فى الخمر كجزء من تجربة مجونه ، وعنصر من أهم عناصرها ، كما نرى فى قوله[1] :

وشاطرى اللسان مختلق التكـ ـريه شاب المجـون بالنسك
بات بغمى يرتاد صالية النـ ـار ويكنى عن أبنة الملك
دسست صفراء كالشعاع لـه من كف علج يدين بالافـك
يحلف فى طبخها بملتـــه ودين موسى ومنشئ الفـلك
كأنما نصب كأسه قمـــر يكرع فى بعض أنجم الفـلك
حتى إذا رنحته سورتهـا وأبدلته السكون بالحـرك
كشفت عن وزة مزعفـرة فى لين صينية من الفنـك
فكان ماكان لا أبوح بـه فى الناس من هاتك ومنتهك

فهو يتحدث عن معشوقه الذى جمعه به مجلس الخمر فى أحد أماكنها المشهورة ، حيث يستقيهما خمار يهودى لا يفتأ يحلف بدينه مؤكداً جودتها وتعتيقها ، فدسها لمعشوقه كأنها شعاع الشمس فى صفرتها ، وكأنما صورة وجهه فى الكأس بين حببها قمر يكرع فى نجوم السماء ، فظل يشرب منها حتى أسكرته وأفقدته وعيه ، وصار يترنح من تأثيرها عليه ، وأبدلته سكونا بعد حركة ، عند ذلك وجد فرصته سانحة لارتكاب إثمه الذى لا يبوح به ، ويكتفى بما أشار به إليه . وفى ذلك نرى ذكر الخمر ووصفها والحديث عن خمارها وعن تأثيرها فى شاربها ، كل ذلك داخل فى صميم تجربته الماجنة .

وحين يتحدث عن شربه ولهوه فى دير سابر يذكر الخمر فى أربعة أبيات ثم يذكر مجونه مع معشوقه فى أربعة أخرى فيقول[1] :

وعواتق باشرت بين حدائق ففضضهن وقد غنين صحاحـا

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٧٠ .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٥١٣ ط بيروت والديارات ص ٣٥ .

أتبعت وخزة تلك وخزة هذه — حتى شربت دماء هنّ جراحا
أبرزتهن من الخدور حواسراً — وتركت صونَ حريمهنّ مباحا
فى دير سابر والصباح يلوح لى — فجمعت بدراً والصباح وراحا
ومنعم نازعت فضــلَ وشاحه — وكسوته من ساعدىّ وشاحا
ترك الغيور يعض جلدةَ زَندهِ — وأمال أعطافا علىّ مــــلاحا
ففعلت ما فعل المشوق بليلــــة — عادت لذاذتهـــا علىّ صباحا
فاذهب بظنك كيف شئت وكله — مما اقترفتُ لذاذةً وجِمــاحا

فهو يعبر عن متعته بالشراب ، وفضه زقاق الخمر المعتقة ، وكأنه يستمتع بفتيات محجبات أخرجهن من خدورهن وأباح حريمهن ، ثم يعبر عن متعته مع الغلام الذى يشبهه بالبدر ويصفه بأنه منعم مرفه ، ولا يفصل القول فى تجربته معه ، وإنما يكتفى بالتعبير الموجز الذى يوحى إلينا بما لا يريد أن يفصح عنه من فحش . ويترك لنــا أن نظن ما نشاء وتتجلى مهارته فى أنه عبر عن تجربة مجونه دون حاجة إلى الصراحة المكشوفة ، فبلغ ببراعته وقوة إيحائه إلى درجة أنه أعطانا صورة صادقة حية ، لا تزيد عليها درجة التصريح بالفحش .

وإذا كانت التجربة الحية ميزة فنية لغزله ومجونه فى شبابه ، فإنه لم يفقد هذه الميزة كذلك فى مشيبه ، وإن كانت التجربة تختلف فى هذا عنها فى ذاك. ففى شبابه كان يعيشها بكل كيانه لاهيا مستمتعا أو ماجنا متهتكا . أما فى مشيبه فإنه يرى الغلام ويعجب بجماله ويشرب من يديه خمرا لذيذة ، ويلحظ الخلاعة فى نظراته ولكنه لا يستطيع الاستجابة إلى نداء المجون ، إذ تمنعه ضعف الشيخوخة ويستشعر خشية الله ، ولولا ذلك لكان أول عاشق له ، يلتمس لنفسه العذر على شغفه به وميله اليه ، مع أن سنه غير لائقة بنزواته.

الشباب ، وشكله لا يتلاءم مع ملاحة الصبا . هذه الأحاسيس هى التى تختلج بها نفسه فى تجربة الشيخوخة فيعبر عنها تعبيرا صادقا حيا فيقول : [١]

وأبيض فى حمـــر الثياب كأنه	إذا ما بدا نَسرينُه فى شقائق
سقـــانى بكفّيه رحيقا وسامنى	فسوقا بعينيـــه ولست بفاسق
وأقسم اولا خشية الله وحـده	ومن لا أسمى كنت أول عاشق
وإنى لمعـــذور على شـغفى به	وإن وسمتنى شيبة فى المفـارق
ولا عشق لى أو يحدث الدهر شرة	تعود بعادات الشباب المفارق
ولو كنت شكلا للصبا لاتبعته	ولكن سنى بالصبا غير لائق

وهو يعانى من هموم الشيخوخة أشد المعاناة ، ويستشعر مساوئها من ضعف وقبح فيبكى أيام شبابه ، وما كان يستمتع به من ألوان اللهو والمجون ، فإذا نظر إلى نفسه وتأمل شخصه وجد تغيرا شديدا ، لم تبق معه مسحة من ملاحة الصبا ونضارة الشباب ، وكأنه يتنكر للحسان فينفرن من شكله ، وقد أصبح يستحيي من تدهور حاله ، ويندب شبابه ، فيعبر عن معاناته لهذه التجربة القاسية ، ويترجم عن تلك الأحاسيس التى تنبض بها نفسه فيقول : [٢]

تذكر من عاداته ما تذكـــرا	وأعول أيام الشباب فأكـثرا
وما برحت عاداته مستقـــرة	ولـكن أجل الشيب عنها ووقرا
يهم ويستحيي تقارب خطوه	فيترك هم النفس فى الصدر مضمرا
ولم يبق فيه إذ تأمل شخصـــه	شفيع إلى الحسناء إلا تنكـــرا
ألا لا أرى فى العيش للمرء متعة	إذا ما شباب المرء ولى وأدبرا

والنتيجة التى يخرج بها من هذه التجربة والتى يضمنها البيت الأخير قد تبدو بسيطة فى فكرتها ، ولكن الحيوية المتدفقة فى معانى الأبيات والمشاعر النابعة من أعماق نفسه ، تضفى على تجربته سحرا ، وتلبس نتيجتها ثوب الصدق وتجعل لها قيمة فنية كبيرة ؟

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢٠٣

وتتمثل التجربة الحية فى مراثى الحسين كذلك أصدق تمثيل ، وأغلب مراثيه كما رأينا كانت فى الأمين الذى وجد الحسين فى منادمته ظلا ظليلا من نعيم الحياة ورغد العيش ، فاستقرت نفسه فى صحبته واطمأن قلبه بعد تعب الكفاح ، فكان قتله بالنسبة إليه بلاء شديدا وفاجعة مدمرة ، إذ تحطمت كل آماله ، وفقد ولى نعمته ، وسدت أمامه السبل . وكان وقع المصيبة على نفسه قاسيا ، حتى قيل أنه خولط فى عقله . هذه التجربة التى تعرض لها الحسين وعانى آلامها كأشد ما تكون المعاناة نجد تسجيلها فى مراثيه بصورة ناطقة بالصدق فى كل خلجاتها وانفعالاتها . معبرة عن حزن عميق بالغ الأثر ، كما فى قوله[1] :

الله يعلم أن لى كبـــــــــدا ... حرى عليك ومقلة تـــكف

ولئن شجيت بما رزيت به ... إنى لأضمر فوق ما أصـــف

قد كنت لى أملا غنيت بـــه ... فمضى وحــــل محاه الأسف

وكما فى قوله[2] :

إذا ذكر الأمين نعى الأمينـــا ... وإن رقد الخلى حمى الجفـــونا

وما برحت منازل بين بصرى ... وكلواذى تهيج لى شجونـــا

فوا أسفا وإن شمت الأعادى ... وآه على أمير المؤمنينـــــا

وتسرى نغمة الحزن فى كل بيت وفى كل كلمة من هذه المراثى فتجعلنا نشعر بشعوره ونتأثر لآلامه ، ونحس أننا أمام تجربة حية لحزن حقيقى لا تصنع فيه ولا رياء .

ولم يكن تعريضه بالمأمون وهجاؤه له فى هذه المراثى إلا نتيجة لهذه الثورة النفسية التى فجرتها أحزانه لمقتل الأمين . لذلك نراه يربط بين الأمرين من هجاء ورثاء كما فى قوله[3] :

أطل حزنا وابك الإمام محمدا ... بحزن وإن خفت الحسام المهندا

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٩٤١ . (٢) نفسه ج ٣ ص ٩٤٢ .

(٣) أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٠

فلا تمت الأشياء بعد محمـــد ولا زال شمل الملك فيها مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

فهذه الأشياء مع دلالتها على وفائه العظيم وشجاعته الحقة من الناحية الأخلاقية ، تدل كذلك على شعور صادق وتجربة حية من الناحية الفنية .

ولما اطرحه المأمون وجفاه ، وحرمه من حضور مجالسه عقوبة له على ما فرط منه كان ذلك بمثابة الحكم عليه بالموت الأدبى ، وأصبح يعانى آلام الحرمان ويعيش فى تجربة قاسية من الفاقة والهوان ، لا يجد من الناس يدا حانية أو قلبا شفوقا ، فكلهم يتجنبونه حرصا على أنفسهم . فشعر بوحدة قاتلة وأحس غربة ذليلة ، وعبر عن ذلك فى قوله [1] :

كم لك لما احتمل القطـــينُ من زَفرةٍ يتبعها الأنـــينُ
وعبرة تحـــدرها الشئون إنى ببغـــــداد لمستكين
حظ الغريب الشوق والشجون يا لائمى لكل يـــوم هُون
إليك عنى إننى مفتـــون الشعر بى كاسدٌ ودون
وحان من تحريكه تسكـــين قد ركبت أربابَها الديـــون
بضاعة أكسدها المأمـــون إمام عدل للتقى أميـــن

إنه يعبر عن تجربة حية عاشها بكل كيانه ، وعانى من آثارها معاناة شديدة ، فانعكست صورها وآثارها واضحة جلية فى قوله ، نحس فيها زفرات أنينه ، وآهات أشجانه ، وعبرات هوانه ، وذل استكانته ، ووحشة غربته ، وكساد بضاعته ، وعسر فاقته ، فكل عناصر الحيوية مكتملة فى التجربة ، مما يجعل لها قيمة فنية رفيعة .

ونحس وقع هذه الآلام وقسوتها على نفسه فى مطلع قصيدته التى قالها فى استرضاء المأمون ومدحه إذ يقول [2] :

أجرنى فإنى قد ظمئت إلى الوعد متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خاف الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد

---

(١) المحاسن والمساوئ جـ ٢ ص ٩١ . (٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٦ .

فهو ظامئ إلى وعد المأمون بأن يعفو عنه ، بل هو متعجل متلهف يريد إنجازه ، حتى يجيره مما هو فيه من إذلال ، وينقذه مما يعانيه من قسوة الوحدة ، وعذاب الحرمان والإبعاد ، ونرى تقطع أنفاسه جريا وراء هذا الأمل . فهو يعطينا فى تعبيره صورة صادقة للتجربة التى يعانيها .

ولا تقتصر التجربة الحية على شعره الذى يعبر فيه عن نفسه فحسب ، أو يذكر ما حدث له وما عاناه ، ولكنها تتمثل كذلك فى شعره الذى يعبر فيه عن غيره أو يصور الحوادث التى تجرى من حوله كحوادث بغداد وقت الحرب بين الأمين وجيوش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين . فيصور أهوال الحرب وما تسببه من خراب ودمار ، ويشجع الأمين بعد انتصار أتباعه فى إحدى هذه المعارك ويؤمله فى النصر والغلبة . ونذكر مثلا من ذلك قوله حين قطع خزيمة بن خازم جسر دجلة بعد أن أخذ الأمان للناس من طاهر ، فحفظ بذلك الأرواح من الموت والبيوت من الهدم وحمى أهل بغداد من بلاء الحرب . فقال الحسين فى ذلك [1] :

علينا جميعا من خزيمة مِنَّةٌ	بها أخمد الرحمن ثائرة الحرب
تولى أمور المسلمين بنفسه	فذبَّ وحامى عنهم أشرف الذب
ولولا أبو العباس ماانفك دهرنا	يبيت على عتب ويغدو على عتب
خزيمة لم ينكر له مثل هذه	إذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب
أناخ بجسرى دجلة القطع والقنا	شوارع والأرواح فى راحة العضب
وأمَّ المنايا بالمنايا مجيلةً	تفجع فى خطب وتضحك عن خطب
فكانت كنار باكرتها سحابة	فأطفأت اللهب الملفَّف باللهب
وما قتل نفس فى نفوس كثيرة؟	إذا صارت الدنيا إلى الأمن والخصب

فهو يعطينا صورة واضحة لتجربة حية من واقع الحوادث التى اضطربت بها بغداد فى هذه المحنة الشديدة ، إذ رأى فيما فعله خزيمة إنقاذا للناس من شرها وإخمادا لثائرة الحرب ، وهو عمل عظيم يستحق الشكر بل يستحق أن تسجل

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٩٠٥ .

فى الشعر وفى التاريخ . ولعل الذى دفع الحسين إلى تسجيلها هو مشاركته فيها وإحساسه بالواقع الذى كان يعيش فيه الناس ويعانون من أهواله وفظائعه فقد عاش التجربة مثلهم وترجم عنها كفرد منهم ، ومن هنا جاءت حيويتها واكتملت عناصرها .

وفى مدحه للمعتصم يعبر عن شدة لهفته إليه وشوقه إلى لقائه ومدحه بعد أن عانى كثيرا من الحرمان والخوف فى أيام المأمون . فهو يكاد يبكى من شدة فرحته لعودته إلى مكانه فى قصر الخليفة يمدحه وينادمه، وينعم فى ظله، هذه المشاعر والانفعالات النفسية تظهر بوضوح فى قوله :

هلا رحمت تلدد المشتـــاق ومننت قبل فراقـــه بتلاق
إن الرقيب ليستريب تنفسى الصـ ـعـدا إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة عبرى عليك سخينة الآمـــاق
نفسى الفداء لخائف متـــرقب جعل الوداع إشارة بعنـــاق
إذ لا جواب لمفحم متحيـــر إلا الدموع تصان بالإطراق

وينتقل إلى المدح فيهنئه بالخلافة التى وافته خالصة من كل شقاق أو خلاف كما حدث فى خلافة الأمين والمأمون ، فقد سكن الناس إليه وأسلموا أمرهم واثقين به مطيعين له :

خير الوفود مبشر بخلافـــة خصت ببهجتها أبا إسحـاق
وافته فى الشهر الحرام سليمـة من كل مشكلة وكل شقـاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعـة قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام إلى إمام سلامـــة عف الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونهـــا وأجار مملقها من الإملاق

فنراه يعبر عن تجربة حية فى مدحه . ونحس صدق مشاعره تجاه ممدوحه حتى أن المعتصم قال له بعد أن انتهى من إنشاده : أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادح فى دولتنا ، وأجازه على مدحه إجازة طيبة كما عرفنا .

وحين يمدح الواثق ويذكر صيده بالقاطول ومجلس الطرب والغناء الذى عقده بعد الصيد ، فإنما يترجم عن تجربة حية عاش فيها مع الواثق وحاشيته واستمتع معهم بالصيد واللهو ، وهذا واضح فى قوله[1] :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا ... وخص بسقياه مناكب قصركا
تحن للدراج فى جنباتـــه ... وللفر آجال قدرن بكفكـــا
حتوفا إذا وجهتهن قواضبـــا ... عجالا إذا أغريتهن بزجـــركا
أبحت حماما مصعدا ومصوبا ... وما رمت فى حاليك مجلس لهوكا
تصرف فيه بين ناى ومسمع ... ومشمولة من كف ظبي لسقيكا
قضيت لبانات وأنت مخـــيم ... مريح وإنشطت مسافة عزمكا
وما نال طيب العيش إلا مودع ... وما طاب عيش نال مجهود كدكا

واستطرد فى مدح الواثق حتى انتهى إلى قوله :

إذا كنت من جدواك فى كل نعمـــــــة
فلا كنت إن لم أفن عمـــرى بشكركـــــا

فهو فى وصف الصيد أو المدح يصدر عن شعوره صادق ، ويعبر عن الواقع الذى حدثت فيه تجربته ، ولهذا كان اشعره وقع حسن فى نفس الواثق فطرب له ، وضرب الأرض بمخصرة كانت فى يده وقال : لله درك يا حسن فى نفس الواثق فطرب له ، وضرب الأرض بمخصرة كانت فى يده وقال : « لله درك يا حسين ما أقرب قلبك من لسانك[2] » وهذه شهادة لها قيمتها من الناحية الفنية إذ تدل على صدقه الفنى الذى نبع من تجربة حية وجاء ترجمة لمشاعره وأحاسيسه فى قوة وإبداع .

وإذا راجعنا شعره فى الاعتذار أو الاستمناح وجدنا تجربته الحية متمثلة كذلك تمثلا قويا لا يقل عن تمثلها فى الأغراض الأخرى . ونكتفى بهذه الإشارة تجنبا للتكرار والإطالة . وفيما ذكرناه من شواهد دليل كاف على تميز شعره بهذه الخاصة الفنية التى ترفع من شأنه وتسمو بقيمته الأدبية بين أشعار الشعراء .

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٨ — ١٥٩ . (٢) نفس المصدر والصفحة .

٢ — وحدة القصيدة :

يختلف مفهوم الوحدة فى القصيدة العربية بين النقاد قديما وحديثا ، فالقدماء يجيزون تعدد الموضوعات فى القصيدة الواحدة ، ولا يشترطون لهذه الوحدة إلا حسن التنسيق والربط بين أجزاء القصيدة ، كما نرى عند ابن طباطبا العلوى إذ يقول: « فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه فى فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ومن الشكوى إلى الاستماحة، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافى والنوق ، ومن وصف الرعود والبروق إلى وصف الرياض والرواد ، ومن وصف الظلمان والأعيار إلى وصف الخيل والأسلحة ومن وصف المفاوز والفيافى إلى وصف الطرد والصيد . . بألطف تخلص وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به وممتزجا معه[1] »

ويقول فى موضع آخر مؤكداً رأيه: «وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما ينسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه ، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة فى اشتباه أولها بآخرها ، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان ، وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعانى خروجا لطيفا على ما شرطناه . . حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا لا تناقض فى معانيها ولا عى فى مبانيها ولا تكلف فى نسجها »[2].

وقريب من هذا الرأى ما يذكره الحصرى القيروانى عن الحاتمى إذ يقول: «مثل القصيدة مثل الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعفى

---

(١) عيار الشعر ص ٦ ط سنة ١٩٥٦ . (٢) نفسه ص ١٢٦ .

معالمه ، وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان ، حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال ، وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء . وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم واعتمادهم البديع وأفانينه وأشعاره وكأنه مذهب سهلوا حزنه ونهجوا دارسه»[1]

أما النقاد المحدثون فلا يرون تعدد الموضوعات فى القصيدة الواحدة ، بل يشترطون وحدة الموضوع أولا ثم تناسق الأبيات وترابطها ثانيا ، كما يقول العقاد : « إن القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته[2] » ويزيد أستاذنا الدكتور شوقى ضيف هذا الرأى توضيحا فيقول: « يقصد النقاد بالوحدة العضوية للقصيدة أن تكون بنية حية تامة الخلق والتكوين ، فليست القصيدة ضربا من المهارة فى صياغة أبيات من الشعر ،وإنما هى بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنى : إنها عمل تام ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتا ، ولكن كل بيت خاضع لما قبله ، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات فهو خيط فى النسيج ، يدخل فى تكوينه ، ويساعد على تشكيله . ليست القصيدة خواطر مبعثرة تتجمع فى إطار موسيقى ، إنما هى بنية نابضة بالحياة ، بنية تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته لتكون مزيجا لم يسبق إليه من الفكر والشعور . وهو مزيج مركب من حقائق كثيرة وجدانية وعقلية . ومهما تكن الحقائق التى تكونه ، فإنها لا تتباين ، بل تتآلف وتتحد فى تيار مغناطيسى يجذبها بعضها إلى بعض . إن القصيدة ـ

---

(١) زهر الآداب جـ ٣ ص ١٦ . (٢) الديوان فى النقد والأدب ص ٤٦ .

مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة، تصوغها بصيرة الشاعر، لتصور خبرته ومعرفته إزاء حدث نفسي أو كوني أو يومي، حدث لا تزال نفسه تنفعل به، وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة، حتى تتدفق عليه الإحساسات وقد أخذ بعضها برقاب بعض، إحساسات تصور صلة الشاعر بالحدث في حقيقته الجزئية، وصلته به من خلال حقائق الكون الشاملة وبذلك تصبح القصيدة عملا شعريا تاما »[1] .

بعد هذا الشرح الواضح لمفهوم الوحدة في القصيدة العربية بين القديم والحديث وما بينهما من خلاف في ناحية الموضوع كما رأينا، نحاول تطبيق هذا المفهوم بصورته الحديثة على شعر الحسين، وإن كان ذلك سيجعلنا نتخلى عن بعض قصائده في المديح لاتفاقها مع المفهوم القديم. أما شعره في غير ذلك فتظهر فيه الوحدة الفنية بقوة، وتماسك أبيات القصيدة الواحدة تماسكا تاما لا يدخله خلل أو اضطراب، والشواهد على ذلك كثيرة نكتفي بذكر بعضها لإثبات هذه الحقيقة أو هذه الميزة الفنية لشعر الحسين. فمن ذلك قصيدته في الغزل[2] :

أي ديباجة حـــــسن   هيجت لوعة حـــــزني
إذ رماني القمر الـــــزا   هـــر من فترة جفـــــن
بأبي شمس نهـــــار   برزت في يوم دجـــــن
قـــربتني بالمـــنى حـــتى   إذا مـــا أخلفتـــــني
مـــا أرى لي من الصـــ   ـــوة إلا حسن ظـــــني
تركتني بين ميعـــــا   د وخلف وتجـــــني
إنمـــا دامت على الغـــد   ر لمـــا تعرف مـــني
أستعيذ الله من إعـــــ   راض من أعـرض عـــني

---

(١) في النقد الأدبي ص ١٥٣ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٢ .

فأبيات هذه القصيدة مترابطة ترابطا قويا ، منسقة تنسيقا بديعا ، تتآلف فيها المعانى والأحاسيس ويسلم البيت الأول إلى الثانى ، والثانى إلى الثالث ، وهكذا ، بحيث لا نستطيع أن نبدل بيتا ببيت آخر ، أو نغاير فى ترتيبها فنضع هذا مكان ذاك ، فأى محاولة من هذا النوع تخل بوحدة القصيدة ،وتذهب بجمال تنسيقها ونظامها ،فالشاعر يبدؤها شاكيا من لوعة الحزن التى سببها له الجمال الباهر والحسن الرائع ، وكأنه يريد أن يشد إنتباهنا ويستثير عواطفنا لمعاناته من تأثير الجمال ولا يتركنا فى حيرة وتساؤل ، بل يفصل لنا عناصر تجربته ، فقد رأى فاتنته التى تشبه القمر الزاهر ،فسبته عيونها ورماه فتور نظراتها بسهم الهوى ، بل إنها تشبه الشمس المنيرة حين تبرز فى يوم دجن كثير المطر مطبق الغيوم فتكون أكثر جمالا وأقرب إلى نفوس الناس ، إذ يشتد شغفهم بنورها ويزداد إحساسهم بجمالها ، وبعد أن يصف جمال محبوبته بهذه المعانى فى بيتين يتدرج إلى ترجمة تجربته النفسية معها ، إنها قربته بالمنى وجعلته يتعلق بالأمل فى وصالها ، ثم أخلفت ظنه وبددت أمله وتركته حائرا بين انتظار ميعادها وبين إخلافها وعدها وتجنيها عليه . ثم يستنتج من ذلك أنه لم ينل شيئا من هذا الهوى إلا ما بقى عالقا فى قلبه من ميل إليها وحسن ظن بها . وأنها لم تداوم على غدرها به إلا لما تعرفه من غرامه الشديد بها ، وتلهفه البالغ عليها . ثم ينهى قصيدته باستعاذته من إعراضها عنه . وهكذا نرى تداعى المعانى وتتابعها فى نسق جميل ، وتداخل المشاعر والأحاسيس بعضها مع بعض فى تآلف وترابط ، فلا تنافر بينها ولا خلخلة فى نظامها ، تجمعها تجربة واحدة وموضوع واحد ، وبهذا اكتملت لها كل عناصر الوحدة الفنية .

ولا نقول إن الوحدة الفنية تتمثل فى قصائده القصيرة كتلك القصيدة التى عرضناها أو فى مقطوعاته ، إذ تكون قلة عدد أبياتها عاملا مساعدا على تحقيق هذه الوحدة ، ولكننا نرى هذه الوحدة متمثلة فى قصائده الطويلة كذلك ، وبصورة لا تقل دقة وحسن تنسيق عنها فى القصيدة . ومن أقوى الشواهد على ذلك قصيدته الهمزية فى الخمر التى سبق أن عرضناها بالتفصيل والتحليل ، فأبياتها أربعون تدور حول موضوع واحد وهو الخمر ، وتتتابع فى نظام

بديع وتناسق جميل ، إذ يتناول حياة الخمر من بدئها بغرس كرمتها وتعهدها بالعناية حتى تنمو وتزهر وتثمر عنبها ، ثم يجمع فى دلاله الكبيرة وتجرى عليه عملية التخمير ، ثم يؤخذ الخمر الناتج فيخزن بعيدا عن الشمس مدة طويلة ليتم تعتيقها — وبعد ذلك تقدم لشاربها وقد اكتملت لها كل صفات الجودة التى يعددها ويبدع فى تنسيقها ، وينتهى بذكر حبه لها وإدمانه عليها وتفضيله للحياة اللاهية فى ظلها . وهكذا تتسلسل المعانى والصور وكأنه يحكى قصة طريفة ، وهو فى الواقع يحكى قصة حياة الخمر ، فعناصر الوحدة الفنية مكتملة فى تلك القصيدة[1] ويمكن التحقق من ذلك بمراجعتها فى الفصل السابق ، إذ لا مجال لإعادة كتابتها تجنبا للتكرار والإطالة .

ونذكر قصيدة أخرى من قصائده الطويلة للتأكد من وجود الوحدة الفنية وتمثلها فى شعره . وهى قصيدة يضمنها ذكرياته مع « يسر » ذلك الغلام الذى كان يتعشقه ، كما يذكر أياما مضت له بالبصرة حسبما يقول راويها ، وفيها يقول[2] :

تيسّرى للمام من أَمَـــــم	ولا تُراعى حمـــامة الحـــرم
قد غاب — لاآب — من يراقبنا	ونام — لاقام — سامر الخدم
فاستصحبى مُسعداً يفاوضنا	إذا خاونا فى كل مكتـــتم
تبذّلى بذلة تقرّ بهــــا الـــ	ــعين ولا تحصَرى وتحتشمى
ليت نجوم السماء راكـــدةٌ	على دجى ليلنا فلم تَـــرِمُ
ما لسرورى بالشك ممتزجـاً	حتى كأنى أراه فى حلم
فرحت حتى استخفنى فرحى	وشِبْتُ عين اليقين بالتهـــم
أمسح عينى مستثبتا نظـــرى	إخالنى نائما ولم أنـــــم

---

(١) انظر القصيدة فى مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصفهانى ص ١٩ ط أصاف ومختارات البارودى ج ٤ ص ٨٢ .

(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

سقيا لليل أفنيت مدتـــه   ببارد الريق طيب النسم
أبيض مرتجة روادفـــه   ما عيب من قرنه إلى القدم
إذ قصبات العريش تجمعنـا   حتى تجلت أواخـر الظلم
وليلة بتها محســـدة   محفوفـة بالظنون والتهم
أبث عبراته على غصـص   يرد أنفاســه إلى الكظـم
سقيا لقيطونها ومخدعهـا   كم من به لمام ومن لمـم
لا أكفر السيلحين أزمنـة   مطيعة بالنعيم والنعـم
وليلة القفص إن سألت بهـا   كانت شفاء لعلة السقـم
بات أنيسى صريع خمرتـه   وتلك إحدى مصارع الكـرم
وبت عن موعد سبقت بـه   ألثم درا مفلجـا بفـم
وا بأبى من بدا بروعـة « لا »   وعاد من بعدها إلى « نعـم »
أباحنى نفسه ووســدنى   يمنى يديه وبات ملتزمـى
حتى إذا اهتاجت النواقس فى   سحرة أحوى أحم كالحمم
وقلت هيا يا صاحبى ونبـ   ـهت أبانا فهب كالزلـم
فاستنها كالشهاب ضاحكة   عن بارق فى الإناء مبتسم
صفراء زينية موشحـة   بأرجـوان ملمع ضـرم
أخذت ريحانة أراح لهـا   دب سرورى بها دبيب دمى
فراجع العذر إن بدا لك فى العذر وإن عدت لائمـا فلم

فالقصيدة مع جمعها لذكريات متباعدة وتجارب عديدة لم تفقد وحدتها لأن هذه الذكريات والتجارب من لون واحد هو المجون ، فمعانيها متجانسة وخواطرها متآلفة يبدؤها بمخاطبة معشوقه الذى يرمز إليه بحمامة الحرم ، فيطمئنه ويذهب الروع عن نفسه ويشجعه على الإكثار من زيارته ، ما دام الأمان والكتمان موفورين، فالرقيب غائب والخدم نائمون وقد خلا المكان لهما

تماما فلا مانع من أن يتبذل معشوقه كما يحاوله ، وأن يجتنب الاحتشام والحياء ؛ وينتقل من ذلك إلى التعبير عن فرحه وسروره ، فيتمنى أن يقف الزمن عند هذه اللحظات الممتعة ، وألا تبرح نجوم السماء مكانها ، وهو لشدة سروره لا يكاد يصدق أنه فى حقيقة واقعة ، بل يشك فى أمره نفسه ويحسب أنه فى حلم جميل لا يقين معه ، ويدلل على هذا الشك بأنه أخذ يمسح عينيه ليتحقق مما يراه ، وليتأكد أنه صاح وليس نائما ، وينتقل من ذلك إلى مدح ليله الجميل هذا الذى أفناه فى متعة مع معشوقه ، الذى يصفه بأنه بارد الريق طيب النسم ، وأنه أبيض اللون ممتلىء الأرداف لا عيب فيه من رأسه إلى قدمه ، وقد ظل معه حتى آخر الليل لاهيا مستمتعا ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن ذكرى ليلة أخرى يقول إنها كانت محفوفة بالظنون والتهم لما كان فيها من مجون ولهو ، بل يصفها بأنها كانت محسدة لما استمتع به فيها من تلك الملهيات ، وأن معشوقه كان فى غيظ وحنق شديد منه ، حتى أنه ليبكى وتتلاحق أنفاسه مما يعانيه ؛ ويمدح البيت والمخدع الذى تمت به المتعة وارتكب فيه الإثم ، وإنه ليذكر بالحسرة تلك الأوقات الممتعة التى قضاها فى السيلحين قرب الحيرة والتى نعم فيها بكل ما أمكنه من ألوان النعيم . ثم ينتقل إلى ذكرى ليلة أخرى من لياليه الماجنة كذلك هى ليلة القفص ، التى يصفها بأنها كانت شفاء له مما يعانيه من سقم الهوى والحرمان ، إذ بات فيها مع أنيسه ومعشوقه الذى أسكرته الخمر سكرا شديدا وهذا من حسناتها التى يحمدها لها ، لأنها تسهل له أن ينال من معشوقه ما يريد وتجعله يلين له ويستجيب لرغباته بعد أن كان متمنعا عليه ، وظل فى متعته ولهوه حتى جاء وقت السحر ودقت النواقيس كأنها محمومة ، فنادى صاحبيه ليقوما من نومهما ونبه ساقيه « أبانا » فهب من نومه كالسهم ، وصب له كئوسا من الخمر التى بدت فى إنائها لامعة مضيئة كالشهاب ، بل إنها لتبدو فى نظره ضاحكة مبتسمة ، وهى صفراء فى لون الزيت توشحها حمرة كالأرجوان ، فشرب منها مستمتعا بلذتها ، وشعر بسروره يدب فى نفسه ، ويسرى فى جسده كسريان دمه . وأخيرا ينهى قصيدته طالبا أن نلتمس له العذر فيما فعل إذا كان للعذر مكان :

وإذا لم يقبل له عذر فليوجه إليه اللوم ، فإنه لا يهتم لذلك وليلم من أراد أن يلوم .

من ذلك نرى أن القصيدة مترابطة المعانى يجمعها موضوع واحد ، فهى تدور حول ذكريات لياليه الماجنة وتجاربه فيها ، وفى انتقال الشاعر من تجربة إلى أخرى نكاد نحس ببعض الخلل فى وحدة القصيدة ، ولكن هذا الإحساس يزول حين نجد فى التجربة التالية من المعانى والخواطر مايشابه تلك التى قرأناها فى السابقة ، ونشعر بالتجانس والتآلف بينها جميعا ويشتد الترابط بين الأبيات فى كل تجربة ، إذ تتوالى معانيها وأحداثها فى تناسق وترتيب يزيد من قوة الوحدة الفنية فيها ويحفظ سلامة بنائها من الخلل .

وهذه القصيدة هى أطول ما وصل إلينا من قصائد الحسين فى المجون ، وقد عرفنا أن سبب طولها هو أنه ضمنها ذكرياته أو بعض ذكرياته الماجنة ، والغالب على قصائده فى المجون والغزل والخمر أن تكون قصيرة ، فلا يتعدى عدد أبياتها أربعة عشر أو خمسة عشر بيتا على الأكثر ، وهو فى كل قصيدة منها يترجم عن إحدى تجاربه ، كما رأينا فى قصيدته الغزلية التى عرضناها أولا وأبياتها ثمانية ، ولكى نؤكد هذه الحقيقة نعرض قصيدة أخرى تزيد أبياتها على هذه الأولى بخمسة أبيات وفيها يعاتب معشوقه يسرا على صده له ، ويذكر بأيام الوصال الجميلة فيقول[1] :

أيها النفاث فى العقـــــــد	أنا مطوى على الكمـــــد
إنما زخرفت لى خُدعـــــاً	قدحت فى الروح والجسـد
هات يا خدّاع واحـــــدةً	من كثير قلته وقـــــــدى
ليت شعرى بعد حلفك لى	بوفاء العهد بعـــد غــد
ما الذى بالله صـــــيّره	بعد قرب فى مدى الأبـد
ما لأُنسٍ كان مبتـــــذلا	منك لى بالأمس لم يعـــد
إيهٍ قل لى غير محتشـــــم	هل دهانى فيك من أحـد ؟

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩١ — ١٩٢ .

حبذا — والكأس دائــــرة — لهــونا والصيــد بالطرد
وحديث فى القـــلوب لــه أَخَــذٌ يصــدعن فى الكبــد
يوم تعطينى وتأخــــــذها دون ندمانى يـــداً بيــد
فإذا ألويت هيجــــنى تلــع من ظبيـــة البلــد
وإذا أصغيــت ذكرنـــى نشرُ كافـــور على برد
ذاك يوم كان حاســـدنا فيــه معذورا على الحسـد

فهو يقارن بين حاليه مع معشوقه حال الصد والجفاء الذى يعانيه منه ، وحال الأنس والوصال الذى استمتع به معه من قبل ، ويتعجب من تحول معشوقه عن حاله الأولى بأنسها إلى حاله الثانية بجفائها،وهو يبدأ بوصف ما يعانيه من عذاب وكمد، وما يسببه له خداعه من الآن تفوح نارها فى روحه وجسده،ويتمنى لو أن معشوقه يصدقه مرة واحدة من هذه المرات التى يخدعه فيها،أو أن يوفى بعهده وبحلفه له على لقائه.هذه الانفعالات والخواطر يعبر عنها فى الأبيات الأربعة، ثم ينتقل إلى التعبير عن عجبه ودهشته للتغيير الذى طرأ على معشوقه فى الأبيات الثلاثة التالية،ويتساءل عن السبب الذى جعله يتباعد عنه بعد أن كان قريبا منه . وعن أنسه الذى كان مبتذلا منه بالأمس ، لماذا قطعه عنه ؟ فهل يا ترى هناك أحد دخل بينهما بالوشاية والوقيعة حتى جعله هكذا مخادعا متجافيا ؟ بعد ذلك ينتقل إلى استعادة ذكرى أيام الوصال الجميلة ، فيترجم عنها فى ستة أبيات محاولا إغراءه بالعودة إلى مثل هذه الأيام التى تمتعا فيها باللهو والصيد والشراب والمؤانسة والأحاديث الحلوة التى تأخذ بالقلوب وتفتن الألباب،وتعاطيهما كئوس الخمر فى المجلس وفى ود وألفة دون غيرهما من الندمان ، اذ يميل عليه معشوقه كالظبى فى رشاقته ويفوح منه عبير طيب الرائحة،فيثيره ويجذبه إليه . وإن الحسود لمعذور على حسده لهما وهما فى هذه الحال من السرور والاستمتاع .

ونرى أن الشاعر يوازن بين عناصر القصيدة موازنة عادلة فيعطى كل عنصر ما يناسبه من قوة الانفعال والدفع الشعورى فلا يطغى اهتمامه أو إحساسه

بعنصر على الآخر ، كما يربط بينها ربطا قويا محكما وينسق معانيه وخواطره وأحاسيسه تنسيقا بديعا لا خلل فيه ، فلا نستطيع تقديم عنصر على آخر ولا أن نضع بيتا مكان غيره ، وإلا اضطربت وحدة القصيدة واختل ترتيبها وفقدت ميزتها الفنية الأساسية ، أو على أقل تقدير إننا لو حاولنا إجراء بعض التبديل بين الأبيات، فلن نصل إلى مثل ما وصل إليه الشاعر من حسن التنسيق وجمال العرض وقوة الربط .

وقصائد الحسين التى عرضناها كشواهد على الوحدة الفنية ، هى من شعره فى الغزل والمجون والخمر ، ولعل ذلك لأن معظم شعره الذى وصل إلينا يمثل هذه الأغراض ، كما أن الوحدة الفنية تتمثل فى هـذا الجانب من شعره بصورة أقوى وأوضح من تمثلها فى الجوانب الأخرى . وليس معنى ذلك أن شعره فى الأغراض الأخرى يفتقر إلى الوحدة الفنية أو يفتقدها ، لأننا نجد هذه الوحدة متمثلة كذلك فى شعره فى الرثاء والاعتذار والاستمناح والهجاء . وإن كنا لا نجدها بمفهومها الحديث فى شعره فى المديح ، لأن قصيدة المديح سارت على تقليدها القديم المعروف فى الشعر العربى ، والذى اعتبره النقاد القدامى غير مخل بوحدة القصيدة ما دام الشاعر يحسن الربط والانتقال بين أغراضها المتعددة كما رأينا . فإذا أخذنا بالمفهوم القديم بالنسبة لشعر المديح أمكننا أن نعتبر قصائده فيه ذات وحدة تربط بين أجزائها ، وتجمع أبياتها فى ترتيب منسق .

ولطبيعة الموضوع أو التجربة التى تدور حولها القصيدة أثرها فى وحدتها ، فقصائده فى الرثاء تختلف طبيعة الوحدة فيها عنها فى المجون ، لأنه فى المجون يعمد كثيرا إلى ذكر الحدث أو رواية التجربة التى مر بها وتتبع تفصيلاتها ، وهذا من شأنه أن يجعل توالى الأبيات وتداعى المعانى مسايرا لتفصيلات الحدث مطابقا لمنطق التجربة ، فيأتى تنسيقها حسنا بديعا ، ويكون ترتيب أبياتها منتظما دقيقا ، بحيث يصعب تقديم بيت أو تأخيره عن مكانه الذى

وضع فيه . وبذلك تكون وحدتها الفنية مكتملة العناصر تامة التكوين على أفضل صورة يمكن تحقيقها. أما فى الرثاء فالشاعر يعمد إلى تسجيل خواطره الحزينة وآلامه النفسية ، وانفعالاته المتأججة التى أثارها فى نفسه موت من يرثيه ، ومع وجود الحدث الذى يثير فى النفس كل هذه المشاعر ، فإن الشاعر لا يجعل منه أساسا يبنى عليه قصيدته ، وإن كان يذكره فيها ذكرا مجملا ، فاهتمامه الأول هو فى الآثار التى سببها الحدث فى نفسه وفى نفوس الآخرين ، هذا هو ما نجده فى مراثى الحسين للأمين . ومن شأن هذه الانفعالات الحزينة أن تتشابه معانيها وتتقارب إرهاصاتها ، وتتداخل صورها. وذلك يجعل ترتيب أبياتها غير نهائى أو جازم ، فيمكن تغييرها أو تبديلها دون أن تخل بوحدة القصيدة ، من ذلك مثلا أنه يمكن تغيير مكان البيت الخامس عشر فى قصيدته الفائية . والذى يقول فيه[1] :

هيهات بعدك أن يدوم لنـــا   عز وأن يبقى لنـــا شرف

هذا البيت يمكن وضعه بعد البيت الرابع الذى يقول فيه[2] :

هلا بقيت لســـد فاقتنـــا   أبدا وكان لغيرك التلـف

وكذلك البيت العشرون الذى يقول فيه[3] :

قد كنت لى أملا غنيت به   فمضى وحل محلـه الأسف

يمكن وضعه قبل البيت الرابع الذى ذكرناه ، ودون أن يحدث أى تغيير من ذلك شيئا من الخلل أو الاضطراب فى ترتيب أبياتها أن وليس معنى ذلك أن الوحدة مفقودة فى القصيدة ، بل إنها موجودة ومكتملة العناصر ومتجانسة الأفكار والمشاعر ، ولكن طبيعة الموضوع هى التى تسمح بالتغيير ولا تحول دونه ، ويؤيد هذا الرأى مايقوله الدكتور غنيمى هلال وإن القصيدة يمكن أن تتغير مواضع الأبيات فيها مكان الأخرى ، فلو فعلنا ذلك لم تختل وحدة القصيدة ، ولأحدثت القصيدة نفس الأثر ، وهذا ما يسلم .

(١ ، ٢ ، ٣) انظر القصيدة فى تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٩٤١ .

به دعاة الوحدة أنفسهم[1] » وهو يطبق قوله هذا على قصيدة للعقاد الذى يعتبر من دعاة الوحدة البارزين .

ولا حاجة بنا إلى ذكر شواهد أخرى من قصائده فى الرثاء أو غيره من الأغراض لإثبات الوحدة فيها ، فيكفى مراجعتها إذا أردنا أن نتحقق من ذلك . والذى لا شك فيه أن وحدة القصيدة من المميزات الفنية الهامة التى تميز بها شعر الحسين كما رأينا ، وأنها تمثلت فى معظم شعره تمثلا يتفق مع مفهومها الحديث .

٣ — التعمق فى المعانى والأخيلة :

كان للثقافة الأجنبية التى تثقف بها شعراء العصر العباسى من يونانية وفارسية وهندية أثرها الواضح فى عقولهم وأذهانهم ، وكانت الثقافة اليونانية أقواها تأثيرا ، لأنها اقتصرت على فلسفتهم دون غيرها من علومهم وآدابهم ، وكانت نتيجة هذا التأثر أن صبغت عقلية الفنانين من الأدباء والشعراء بأصباغ خاصة من العمق والدقة والتحليل وطرافة التقسيم والبعد فى التفكير والخيال ، وظهرت هذه الصفات الجديدة فى شعر الحسين كما ظهرت فى أشعار غيره ، حتى إنها لتعد من المميزات الفنية الهامة التى تميز بها شعره .

وإذا تناولنا شعره بالبحث والتحليل وجدنا هذه الظاهرة أو هذه الميزة تنبئ عن نفسها فى كثير من قصائده ومقطوعاته ، ونذكر منها الشواهد والأمثلة التى تكفى لإثباتها وتدل عليها : من ذلك قوله فى الغزل[2] :

صل بخدى خديك تلق عجيبا   من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض   وبخدى للدموع غدير

فتراه يرسم صورة رائعة وينسق خطوطها فى براعة ودقة ، تجمع بين عمق المعنى وبعد الخيال وحسن التقسيم ، إذ يقابل بين صورتين فنيتين ،

---

(١) انظر المدخل إلى النقد الأدبى ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٢) انظر شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٤ ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٣ .

إحداهما صورة خدمعشوقه،الذى يرى فى جماله ونضارته جمال الربيع برياضه المزهرة وأزهاره المتفتحة ، وما إلى ذلك من ألوان الجمال التى تتضافر فى خيالنا ، والتى توحى بها عبارته المطلقة دون تحديد ، فهو يحس بشاعريته المرهفة ما يوحيه إطلاقها من رؤية جميلة ، وصورة رائعة يطبعها الربيع على صفحة الكون . أما الصورة الثانية فهى صورة خده الذى تغمره دموعه فكأنه غدير ماء ، وهى دموع بكائه من قسوة هذا الحبيب بطبيعة الحال . وصورة الغدير هى فى الواقع مكملة لصورة الرياض ،ترسم معها منظرا جميلا من مناظر الربيع ، ولكن تآلف الصورتين لا يعكس الصلة الحقيقية بين الحبيبين ، فما بينهما هو الجفاء والهجر الذى يبكيه ، وهذا هو ما يحيره ويثير عجبه . وهنا يتضح لنا عمق المعنى الذى يقصده ، ودقة الفكرة التى تفتق عنها ذهنه، وبعد خياله فى تصوير معناه .

ويظهر أثر المنطق فى دقة الفكرة وفى المقابلة بين معنين متضادين ، كما نرى فى البيتين المذكورين ، ويتضح هذا الأثر فى كثير من معانيه ، كما نرى فى قوله[1] :

لشتان إشفاقى عليك وقسوة　　　أطلت بها شجو الفؤاد على العمد

وماحلت للهجران عن حال صبوة　　　إليك ولكن حال جسمى عن العهد

فهو فى البيت الأول يقابل بين إشفاقه على حبيبه ،وبين قسوة هذا الحبيب التى تعذب فؤاده . وفى البيت الثانى أيضا يقابل بين بقائه على صبوته وحفظه لعهد حبه ، الذى لم يتغير ولم يتحول نتيجة لهجرانه وقسوته ، وبين تحول جسمه عن طبيعته ، إذ أضناه الهجران وأسقمته القسوة فصار ضعيفا هزيلا . إنه يجمع بين هذه المقابلات ويربطها ربطا قويا دقيقا فيكسبها طرافة وعمقا ، ومع ذلك لا يشعرنا بجفاف المنطق ، لأنه يصبغها بصبغة فنية شاعرة ، ويترجم عن معاناته النفسية .

---

(١) الزهرة ص ٣٥٧ .

ومن ذلك أيضا أن يعكس بين المشبه والمشبه به فى تشبيهين، كما فى قوله[١].

لراح تفاح جرى ذائبـــا   كذلك التفاح راح جمـــد
فاشرب على جامده ذوبـــه   ولا تدع لذة يوم لغـــد

فهو يشبه الخمر بالتفاح المذاب ، ثم يعكس الصورة فيشبه التفاح بالخمر المتجمد،وشرب هذا مع ذاك على أية صورة يختارها الشارب من هاتين الصورتين فيه لذه ومتعة . إن هذا التلاعب بالمعنى نكسبه طرافة فنية ويضفى عليه رونقا جميلا ، مع ما فيه من دقة وعمق .

ويجمع فى تشبيهه بين صفتين لشخصين متباعدين،أو عدوين معروفين لنا فى القرآن الكريم ، ليصف بهما شخص معشوقه فيقول[٢] :

يوسف الجمال وفـــر   عـــون فى تعديـــه

فيأخذ من يوسف صفة الجمال،ومن فرعون صفة التعدى،ليجعلهما من صفات معشوقه، كأنه يريد أن يثير دهشتنا لهذا الذى يجمع بين صفتين لمتناقضين أو بين صفتين متناقضتين . كما يقابل فى بيت آخر بين رغبته فى هذا المعشوق وبين زهد هذا فيه ، فيقول :

تائـــه تزهـــده   فى رغبـــتى فيـــه

ونراه يربط بين المعنيين فيجعل رغبته سببا فى زهد معشوقه ، وبهذه اللمسة البسيطة يضيف إلى المعنى جمالا وطرافة فيرفع من قيمته الفنية .

ومن مقابلاته بين المعانى المتنافرة فى تقسيم منطقى حسن ما نراه فى قوله[٣] :

هويتكم جهدى وزدت على الجهد   ولم أر فيكم من يقيم على العهـــد
فإن أمس فيكم زاهدا بعد رغبـــة   فبعد اختيار كان فى وصلكم زهدى

---

(١) انظر معاهد التنصيص جـ ١ ص ١٥٤ وحلبة الكميت ص ١١٢ .
(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٥ .
(٣) انظر الموشى ص ١١٤ .

تأنيتكم بُقيـا الصديق لتقصـدوا — وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد

أرى الغـدر ضـدًا للوفاء وإننى — لأعلم أن الضـد يأبو عن الضـد

إذا خنتم بالغيب عهدى فما لكم — تدلون إدلال المقيم على العهـد

صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله — وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذى الصد

فنرى فى كل بيت من هذه الأبيات مقابلة طريفة بين معنيين لا توافق بينهما ، فى البيت الأول يقابل بين وفائه لعهد الهوى وما بذله من جهد فى سبيل الإبقاء عليه ، وبين غدر معشوقه ونقضه لهذا العهد . وفى البيت الثانى يشرح تحول رغبته وميله لمعشوقه إلى زهد فيه وجفاء له ، ليقول إن زهده لم يجئ إلا بمحض اختياره وباقتناعه الشخصى بعد ما لاقاه من عنت وبلاء . والمقابلة واضحة بين الزهد والرغبة . وفى البيت الثالث يقابل بين تأنيه وصبره على فعل معشوقه إبقاء منه على صلة المحبة ، وحثا للمعشوق على تعديل مسلكه وتحسين معاملته . وبين جور هذا المعشوق عن كل قصد وإصراره على الإساءة اليه . وفى البيت الرابع يقرر هذا التنافر الواضح والتضاد الشديد بين الغدر والوفاء تقريرا منطقيا حادا . وفى البيت الخامس يناقش معشوقه فيما يصدر عنه من أفعال متناقضة تدعو إلى العجب من أمره ، إذ يدل عليه إدلال المقيم على عهد المحبة الحافظ لصلة الوداد ، بينما هو الخائن لهذا العهد الغادر به فعلا ويقينا ، ويكمل مناقشته للقضية فى البيت السادس فيطلب منه أن يختار بين سبيلين ، سبيل الوصال والمودة ليكون دلاله مقبولا ، وليفعل ما يشاء مدلا بوصله ، أو سبيل الصد والجفاء وما يترتب عليه من خصام وتباعد ، فلا يبدى هذا الإدلال الممقوت الذى لا يتلاءم مع طبيعة العلاقة بينهما . وهكذا تسرى روح المنطق فى الأبيات ، فتغلف المعانى بثوب من التقسيم الدقيق وتنسقها تنسيقا بديعا فيه عمق وبراعة .

ومما يعطى المعانى عمقا ودقة فى شعر الحسن براعته فى تحليلها كما نرى فى وصفه للخمر إذ يحلل صفة تعتيقها تحليلا مفصلا فيقول[1] :

صينت عن الشمس فى قيطون مختنك	من اليهـــود لأم الراح غـذّاء
ما زال يهملهـا كالمستخف بهـا	عصر الشباب كناس غير نسـاء
يطرى سواها إذا سيمت مدافعة	عنها ويوسعهـا من كل إزراء
يسومهـا البيع أحيانا فيمنعـه	أن قـد يؤملها يوما لإ ثـراء
حتى إذا الدهر أبقى من سلالتهـا	جزء الحياة وقد ألوى بأجـزاء
دبت إليـه من الأحداث باسـلة	أبكت عوابد من أحبـار تيمـاء
فـات والقلب مشغول بحظوتهـا	لم يشف من شجنيه علة الـداء

فهو لا يقول إنها معتقة أو اختزنت زمنا طويلا، كما تعود الشعراء أن يقولوا ذلك فى بيت أو بيتين ، وإنما يحلل هذا المعنى ويدور حوله مفصلا ظروف اختزانها، والدوافع النفسية والمادية التى جعلت صاحبها أو صانعها يقوم بذلك ، والآمال التى يعقدها على تعتيقها ، وتراجعه عن المساومة فى بيعها إلى إهمالها وتناسيها ، وإلى إطراء غيرها ليصرف المشترى عنها ؛ والتغيير الذى أحدثه فيها الزمن ، وليزيد صفة التعتيق قوة أو قدما لا يجعل صاحبها الذى اختزنها يحقق أمنيته ، بل يقول إن الموت يقضى عليه قبل أن يبيعها ، ويأتى ورثته من بعده فيبيعونها لبعض رواد حانته ، ويحظى هؤلاء بها ويستمتعون بمـا اكتسبته من تعتيق وجودة . هكذا يحلق الشاعر بخياله ليولد المعانى ويفتق الأفكار ، فيصل إلى ما يشبه أن يكون قصة اختزانها . ويأتى بمـا لم يكن يخطر على بال شاعر قبله من شعراء الخمر .

---

(١) انظر القصيدة فى مقدمة ديوان أبى نواس ط أصاف ص ١٩ وتحقيق فاغنر ص ٢٦ ومختارات البارودى جـ ٤ ص ٨٢ .

ونرى تعمقه فى معانيه وإغراقه فى تخيله حين يعمد إلى الوهم والتجريد أحيانا ، ويفترض صورا معنوية بعيدة عن الحس المادى كما فى قوله [١] :

إن من لا أرى وليس يـــرانى   نصب عينى ممثـــل بالأمانى
يأبى من ضمـــيره وضميرى   أبدا بالمغيـــب ينتجيـــان
نحن شخصـــان إن نظرت ورو   حـان إذا ما اختبرت يمتزجـــان
فإذا ما هممت بالأمـــر أو هـــم   بشىء بدأتـــه وبـــدانى
كان وفقـا ما كان منـــه ومنى   فكأنى حكيتـــه وحـكانى
خطرات الجفون منـــا سـواء   وســـواء تحـرك الأبـــدان

فهو يتخيل معشوقه من خلال أمانيه ، دون أن يكون أمامه فيراه . وهو لا يتغزل فى جماله وأوصافه الحسية كما يفعل شاعر الغزل ، بل يتصور ضميره يناجى ضمير حبيبه ، وروحه تمـازج روحه ، فيحدث نتيجة لهذا الامتزاج والوفاق أن تصدر منهما أفعال واحدة وحركات متشابهة ، وكأن أحدهما يحاكى الآخر مع ما بينهما من بعد المكان . هذا الخيال البعيد والوهم العميق « وكأنى بالشاعر يتأثر بعناصر أفلاطونية فى تفكيره[٢] » كما يقول أستاذنا الدكتور شوقى ضيف .

ويبدع الشاعر فى تخيله فيرسم صورا فنية غريبة ، ولكن غرابتها لا تصل بها إلى درجة الغموض ، بل تظل واضحة المعنى قريبة إلى الأذهان ، كما نرى فى قوله[٣] :

أدر الـــكأس علينـــا   أيهـــا الســاقى لنطرب
ما ترى الليـــل تـــولى   وضيـــاء الشمس يقرب
والـــثريا شـــبه كأس   حين تبـــدو ثم تغـــرب
وكأن الشـــرق يسـقى   وكأن الغـــرب يشرب

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٧ .
(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٠٦ ط ثالثة .
(٣) نثار الأزهار ص ١١٢ .

فهو يرى ضوء الشمس حين يلوح فى الأفق قبل شروقها، فيه ذهبى تشوبه حمرة خفيفة، فيستدعى ذلك فى ذهنه لون الخمر التى يشربها والتى كثيرا ما يشبهونها بالضياء والنور ، ويرى الثريا فى السماء وقد مالت نحو الغرب فيشبهها بكأس الخمر، وتكتمل فى ذهنه عناصر الصورة كلها إذ يرى الشرق يصب من خمر ضيائه فى كأس الثريا ليشرب منها الغرب الذى تتجه إليه بمسيرتها . وبراعة الشاعر تتمثل فى مزجه بين الصورة الطبيعية للشروق والثريا وبين الصورة الخيالية التى يختلقها للشراب والكأس ليخرج لنا صورة فنية جميلة دون أن يقع فى غياهب الغموض والإبهام .

ومن ذلك أيضا صورة الشارب حين تنعكس على خمر الكأس بين الحبب المتصاعد منها، إذ يشبهها بالقمر يكرع فى نجوم السماء، وقد عرضناها بالتفصيل فى بحث شعره الخمرى ، وهى صورة فنية تمثل تعمقه فى تخيله ولا مانع من أن نعيد النظر اليها فى قوله[1] :

كأنما نصب كأسه قمر ... يكرع فى بعض أنجم الفلك

ومنه تشبيه ممازجة الخمر لروح شاربها بممازجة الأنوار والأضواء فى قوله[2] :

تمازج الروح فى أخفى مداخله ... كما تمازج أنوار بأضواء

ومن مظاهر عمق المعنى عند الشاعر أن يعمد إلى توليده بكل وسيلة تتاح له ، أو يأخذ بالقرينة ليخرج ويبتكر فيه كما نرى فى قوله[3] :

ويلى على شادن توعدنى ... يسل سكينه وخنجره
أما كفاه ما حز فى كبدى ... بسحر أجفانه ومحجره

---

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٥ .

(٢) ديوان أبى نواس ص ٢٢ ط أصاف .

(٣) أغانى الدار ج ٧ ص ١٩١ .

فهو يعتمد على قرينة من الواقع هى أن معشوقه هدده بخنجره ، ليولد معنى جديدا يعبر فيه عن آلام نفسه ، ويأخذ حز السكين من المعنى الأول فيضيفه إلى سحر الأجفان ،ليقول إنها حزت فى كبده وآلمته ، فلا داعى لأن يسل معشوقه سكينه عليه وكفاه ما حدث له وبهذا يعطى المعنى طرافة فنية ؛

ويأخذ اسم معشوقه فيولد منه المعنى المناسب فى تغزله به ، واسمه « يسر » وهو يريده أن يكون سهلا معه وألا يتمنع عليه ، إذن فالعلاقة بين معنى اسمه وبين ما يريده منه قريبة ، وتوليد المعنى من هذا الاسم فيه طرافة وذكاء وهو ما يسميه البلاغيون بالجناس الاشتقاقى ، فيقول[1] :

ولـــو شـــئت تيســرت كما سميـــــــت يايسر
وكن كاسمـــــــك لا تمنعـــــك النخـــوة والكـــبر

ويأخذ اسم الخليفة المعتصم فيولد منه معنى اعتصامه به ولجوئه اليه فيقول[2] :

أصبحـــت معتصما بمعتصم أثنى الإله عليـــه فى كتبـــه

وكذلك اسم الخليفة الواثق ، يأخذ منه معنى الثقة ليمدحه قائلا[3] :

وثقت بمن سماك بالغيب واثقا وثبت بالتأكيد أركان ملككا

وفى تأملات الحسين نجد الفكرة الدقيقة التى تدل على خبرة بالحياة وسبر لأغوارها ، فالمشتاق مثلا يمر بحالات مختلفة من السعادة والشقاء ، ولكل حالة دواعيها ، فترقبه زيارة شائقه أو محبوبه يجعله فى أسعد حالاته وأكثرها سرورا ، هذا المعنى يتأمله فيعبر عنه فى قوله[4] .

وجدت ألذ العيش فيما بلوتــه ترقب مشتاق زيارة شـــائق

وقد ذكر القاضى الجرجانى أن المتنبى لاحظ معنى هذا البيت حين ذكر معنى قريبا منه فى قوله[5] :

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ر. ى الهجر فهو الدهرَ يرجو ويتّ

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٠ . (٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٧ .
(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٩ .
(٤ ، ٥) انظر الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٣٩٤ .

ويفسر هذا التقارب بأن المشتاق فى بيت الحسين يرجو ويتقى ويخاف ويأمل ، أى أنه فى شك من الوصل والهجر كصاحب الهوى فى بيت المتنبى .

وفى معنى آخر يرى المشتاق معذبا بهواه ، يقضى ليله فى سهد وأرق ، لأنه يكتم هواه فى نفسه ولا يبوح به فيخفف عن نفسه بعض آلامه ، وهذه حقيقة يؤكدها علماء النفس فى أبحاثهم ، ويتأملها الحسين فى قوله[1] :

إن من أطول ليـــل أمـــدا   ليل مشتاق تصـــابى فكـــتم

رب فظ القلب لا لـــين لـــه   لو رأى ما بك منـــــه لرحم

ويرى ما للمال من أثر فى نفوس الناس فيجعله مقياسا لكشف أخلاقهم ومعرفة حقيقةجودهم أو بخلهم، دون اعتبار لحسبهم أو شهرة أجدادهم فى الكرم فيقول[2] :

إذا شئت أن تلقى خليلا معبسا   وجداه فى الماضين كعب وحاتم

فحاوله عما فى يديه فإنمـــــا   تكشف أخلاق الرجال الدراهم

ويثير قضية فكرية عميقة حول معنى من المعانى التى يقولها فى ممدوحه ، نراها فى قوله[3] :

أغنيت من هوسائل لك ثم قد   أصبحت تسأل أين من لم يسأل

ان قيل مات هواه لم يجمل به   أو قيل مات من الهوى لم يجمل

فهو يمدح صاحبه بأنه قد أغنى سائليه بعطائه الكثير وجوده العميم ، وبعد ذلك أصبح يسأل عن الذين لم يسألوه العطاء ليعطيهم ، فكأن الكرم هواية عنده متمكنة فى نفسه لا يستطيع أن يعيش بدون ممـارستها ، وشأنه فى ذلك شأن المحب الذى يعيش مخلصا لهواه متحملا كل آلامه ، فلا يجمل به أن يقال عنه إن هواه مات ، أو أنه مات من الهوى ، لأن فى القول الأول معنى عدم الإخلاص وفى القول الثانى معنى عدم القدرة ، وكلاهما يدل على

---

(١) الزهرة ص ٤٠ .   (٢) المؤتلف والمختلف ص ١١٣ .

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبى ص ٢١٦ ط سنة ١٩٦١ .

نقص فى الإنسانية وفى كرم الخلال، كذلك الكريم لا يموت كرمه ولا يميته كرمه ، لأنه أصيل فى نفسه ولأن نفسه تقوى على البذل والانفاق دون أن يصيبها فقر أو كلالة . من هذا نرى عمق المعنى وتشابك عناصر القضية ، وبعد الفكرة التى يتناولها .

وقد لاحظ أبو سعيد العميدى أن المتنبى أخذ هذا المعنى فى قوله[1] :

إذا سألوا شكرتهم عليـــــه   وإن سكتوا سألتهم السـؤالا

ولكن المعنى الذى عبر عنه الحسين يبدو أكثر عمقا وأدق فكرة من معنى المتنبى برغم تأخره عنه وأخذه منه :

وهكذا نرى هذه الظاهرة الفنية متمثلة فى شعر الحسين تمثلا واضحا ، وينبغى أن ننبه إلى ملاحظة هامة قبل أن ننتهى من بحثها ، وهى أن تعمقه فى معانيه وأخيلته لم يكن يصل إلى درجة بعيدة حتى يتسم بالغموض والإبهام كشأن الشعراء الذين يجعلون جل همهم فى الغوص على المعانى إظهارا لقدرتهم وبراعتهم . ولكنه تعمق الشاعر المطبوع الذى تأتيه المعانى طائعة مختارة غير مكرهة ولا متكلفة ، تنبع من وجدانه وتتبلور فى ذهنه ، فيخرجها لنا صافية رائقة جامعة بين العمق والشاعرية ، فلا يتحكم عقله فيها تحكما يجعلها أفكارا جافة عويصة ، وإنما تتضافر قدراته الفنية فى بلورتها ، وتضعها فى صورة غنية بديعة :

٤ — رصانة اللفظ ونصاعته

كانت الحياة فى ذلك العصر قد وصلت إلى درجة رفيعة من الترف والأبهة ، وعاش الناس عيشة مدنية زاخرة بألوان الزخرف والزينةوالبذخ ، نجد أوصافها متصلة فى كتب التاريخ والحضارة ، وما نريده من ذكر هذه الحقيقة الهامة هو تأثير هذه الحياة فى الشعراء وانعكاس مظاهرها على شعرهم ،

---

(١) الإبانة عن سرقات المتنبى ص ٢١٦ .

ويرى أستاذنا الدكتور شوقى ضيف أن « هذا الذوق ذوق التصنيع والزخرف قد انتقل من الحياة العباسية العامة إلى الحياة الفنية الخاصة ، فاعتمدت على الأناقة فى تعبيرها الفنى كما اعتمدت الحياة العامة عليها فى تعبيرها الاجتماعى ، وقد ساعد على ذلك أن الشعراء عاشوا فى ترف ونعيم ، فقد أغدق الملوك والأمراء والوزراء عليهم أموالا وعطايا جزيلة[1] .

وكان شاعرنا الحسين بن الضحاك من هؤلاء الشعراء الذين نالوا قسطا كبيرا من ترف الحياة ونعيمها ، بحكم اتصاله الوثيق بهذه الطبقة الاستقراطية فى الدولة ، فكان كما يقول أستاذنا الدكتور طه حسين « مضطراً إلى أن يصطنع هذه اللغة المختارة النقية التى تصلح للأرستقراطية ، فقل الفحش جدا فى شعره ، وغلبت المتانة والرصانة على ألفاظه وأساليبه[2] » ويقول عنه أبو الفرج إنه « مطبوع حسن التصرف فى الشعر حاو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف[3] » ، بل إن ابن المعتز ليفضله على أبى نواس إذ يصفه بأنه « أنقى شعرا وأقل تخليطا منه[4] » .

هناك إذن إجماع من النقاد والدارسين على تميز أسلوبه الشعرى بالرصانة والنصاعة ، والنقاء والرونق الصافى ، فلم يكن يميل إلى التكلف والتعقيد ، أو لم يكن من أصحاب مذهب التصنيع ، الذين عمدوا إلى تزيين أشعارهم بألوان البديع والمحسنات اللفظية ، وبلغوا فى ذلك درجة كبيرة من الحذق والمهارة من أمثال ابن هرمة ومسلم وأبى تمام ، وإنما يمكن أن نعده من أتباع مذهب « الصنعة والصانعين » الذى يعد امتدادا للمذهب القديم . « وهم الذين كانوا يفهمون حرفتهم فى الحدود التى رسمها زهير ، فهم يعنون بألفاظهم وأساليبهم وصورهم البيانية فى الدائرة التى كان يتصورها زهير لهذه العناية ، ولا يحتاجون إلى جهد فنى واسع فى صناعة الأساليب وما ينطوى فيها من

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١١٠ ط ثالثة .

(٢) حديث الأربعاء .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٤٦ . (٤) طبقات الشعراء ص ٢٧١ .

صور وبيان وبديع[1] » . ومثله فى ذلك مثل أبى نواس « يستخدم وسائل التصنيع من حين إلى حين ولكنه استخدام طبيعى وفى حدود أقرب إلى البساطة[2] » كما يذكر أستاذنا الدكتور شوقى ، إذ أنه كان « من المطبوعين الذين تخاو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف »[3] على قول أبى الفرج ، أو « الذين أغناهم عفو قرائحهم عن التكلف[4] » على قول ياقوت .

روى ابن رشيق أن أبا نواس وأبا العتاهية والحسين بن الضحاك اجتمعوا يوما فقال أبو نواس : لينشد كل واحد قصيدة لنفسه فى مراده من غير مدح ولا هجاء فأنشد أبو العتاهية :

يا إخوتى إن الهــــوى قاتلى فيسروا الأكفـــان على عاجل
ولا تلوموا فى اتبـــاع الهوى فإننى فى شغـــــل شاغــــل
عينى على عتبـــــة منهلـــة بدمعهـا المنسكب السائل

فسلم له أبو نواس والحسين بن الضحاك وقالا له : « أما مع سهولة هذه الألفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الإشارات فلا ننشد شيئا[5] » وهذا الخبر يدل على أنهم كانوا يؤثرون السهولة والوضوح ونصاعة البيان ، ولا يميلون إلى التكلف والتصنع والإغراب .

وفى شعر الحسين يتبين لنا بوضوح رصانة ألفاظه ونصاعتها . ويمكننا التثبت من هذه الخاصة الفنية فى النماذج الكثيرة التى سبق أن عرضناها ، والتى سنعرضها زيادة فى التأكيد والتوضيح من ذلك قوله مخاطبا معشوقه[6] :

سقيا ليوم سرورى إذ تنازعــنى صفو المدامة بين الأنس والخفــر
وفضــل كأسك يأتينى فأشربــه جهرا وتشرب كأسى غير مستتر
وكيف أشمـله لثمى وألزمـــــه نحرى وترفعـه كفى إلى بصرى

---

(١) الفن ومذاهبه ص ١١١ — ١١٢ . (٢) نفسه ص ١١٣ .
(٣) أغانى الدار ج ٧ ص ١٤٦ . (٤) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٥ .
(٥) العمدة ج ١ ص ١٠٦ .
(٦) أغانى الدار ج ٧ ص ١٨٨ .

فرصانة ألفاظه ومتانة نسجها ، وإشراق ديباجتها ونصاعتها ، وجمال تنسيقها وروعة موسيقاها واضحة كل الوضوح . ونرى ذروة البراعة الفنية فى البيت الثالث إذ تتوالى منه ثلاث جمل على نسق واحد تقريبا ؛ فيها ثلاثة أفعال يتصل بكل فعل منها ضمير الغائب (الهاء) وثلاثة أسماء يتصل بكل منها ضمير المتكلم (الياء) فنحس لها وقعا موسيقيا رائعا ، وتهزنا وحدة النغم التى تربط بينها . ويزيد من روعتها أننا لا نجد فيها لفظة جافية أو غريبة[1] .

ومن ذلك أيضا قوله فى الغزل :

غزال ما اجتلاه الطرف إلا تحيرنى ملاحة وجنتيه

خذوا بدمى محاسنه وخصوا مقبله وبرد ثنيتيه

وقوله[2] :

يا مدير الكأس حيت على الكأس مديا

سأقول الدهر أحسنت وإن كنت مسيا

لست أستعفيك من حيفك فى السق عليا

قد حلبت الدهر طورين خليا وشجيا

فأرى من عدم الصبوة والكأس شقيا

وقوله[3] :

من لصب لا يرعى لملام نضو كأسين من هوى ومدام

عاد من لوعة الصبابة بالكأ س وخلى الملام للوام

يا نديمىّ لا تناما عن الرا ح ولا ترقبا سفور الظلام

---

(١) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) أدب النديم ص ٣٨ .

(٣) عيون التواريخ (مخطوط (حوادث سنة ٢٥٠ ص ٧١٢ .

هاجني للصبوح نقر النواقيـ ـسيس ونجوى حمامة وحمام
فاصبحاني قبل الصباح مداما قهوة مزة بماء غمام
وألما على المنازل بالقفـ ـص فنوحا نياحه المستهام

فى هذه النماذج يتبين لنا ما تتميز به ألفاظه من قوة ورصانة مع الوضوح والنصاعة ، فلا تكاد تشعر بكلمة غريبة أو لفظ حوشى فى سياق شعره ، وإنما نراها تنساب فى سهولة ويسر كانسياب الماء فى جداوله . فلا تعقيد فى الأسلوب ولا تكلف فى صنع المحسنات البديعية ، بل إننا لا نكاد نحس بوجودها لأنها قليلة ، ولأنها تأتى بطبيعتها غير مصطنعة ولا منحوتة . فليس فى هذه الأبيات كلها إلا استعارة فى قوله « قد حلبت الدهر » واستعارة أخرى فى قوله « نضو كأسين من هوى ومدام » غير تشبيه للمعشوق بالغزال ، ومع ذلك فإنها قد بلغت درجة رفيعة من الجودة الفنية فى أسلوبها .

وهذه الميزة الفنية لا تقتصر على شعره فى الغزل أو فى الخمر فحسب بل يتميز بها شعره فى غير ذلك من الموضوعات كذلك . فهذا قوله فى مدح الواثق[1] :

يضيق الفضاء به إن غـدا بطودى أعاريبـه والعجـم
ترى النصر يقـدم راياتـه إذا ما خفقن أمـام العلم
وفى الله دوخ أعـداءه وجرد فيهم سيوف النقـم
وفى الله يكظم من غيظـه وفى الله يصفح عمن جـرم
رأى شيم الجود محمـودة ومـا شيم الجـود إلا قسم
فراح على « نعم » واغتـدى كأن ليس يحسن إلا « نعم »

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٦ ومعجم الأدباء جـ ١٠ ص ٨ .

أو قوله فى عمرو بن مسعدة[1] :

أنت طودى من بين هذى الهضاب وشهابى من دون كل شهاب
أنت يا عمرو قوتى وحياتى ولسانى وأنت ظفرى ونابى
أترانى أنسى أياديك البيـ ـض إذا اسود نائل الأصحاب

ونراه يعمد أحيانا إلى الألفاظ الجزلة القوية وخاصة فى المديح ، ولعل اهتمامه بأن يبلغ فى مدحه أعلى درجة ممكنة من الإبداع والبراعة الفنية هو الذى يدفعه إلى إعداد قصيدته إعدادا كافيا ، وترصيعها ببعض الألفاظ الرصينة الجزلة ليثبت قدرته الفائقة على النظم ، وتمكنه القوى من اللغة . فهذه الاعتبارات لها أهميتها عند الممدوح وعند جلسائه من العلماء والأدباء ، ولها أثرها فى تقدير الشاعر وتقييم شعره . هذه الجزالة والفخامة اللفظية تظهر فى مدحه للمعتصم حين يقول : [2]

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفين تعسف المراق
إنى أحذركم بوادر ضيغم درب بحطم موائل الأعناق
متأهب لا يستفز جنانه زجل الرعود ولامع الإبراق
لم يبق من متعرمين توثبوا بالشام غير جماجم أفلاق
من بين منجدل تمج عروقه علق الأخادع أو أسير وثاق

فنلاحظ استخدامه لعدد من الألفاظ الجزلة القوية التى تعطى شعره قوة فى السبك ومتانة فى النسج ، ولكنه مع ذلك لا يصل إلى درجة الإغراب أو الغوص على الألفاظ الحوشية ، إذ أن سهولة طبعه تغلب عليه وتحول دون وقوعه فى غموض الألفاظ الغريبة وصعوبة مأتاها . ومع ما فى ألفاظه من جزالة وقوة نراها تتسم بالنصاعة والوضوح .

ونستطيع أن نقول إن شعره فى الغزل والمجون أقرب إلى الرقة والسلاسة من شعره فى المديح والرثاء ، فاختلاف الموضوعات له أثره فى اختيار

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٦٦ .
(٢) نفسه جـ ٧ ص ١٩٥ .

الألفاظ ، ولكل موضوع ما يناسبه من ألفاظ . وقدرة الشاعر ومهارته إنما تظهر فى توفيقه فى الملاءمة بينهما ؛ وقد وفق الحسين إلى درجة كبيرة فى هذه الناحية ؛

وتظهر براعة الشاعر فى ترجمته لما يدور بينه وبين معشوقه من حديث ؛ فيسجل ألفاظه الجارية دون أن تضعف نسج البيت أو يهبط بمستوى لغته وقيمته الفنية ، من ذلك قوله[1]

فتأبى وتثنى خجلا ... وذر الدمع فنونا ونشج
لج فى «لولا» وفى «سوف ترى» ... وكذا كفكف عنى وخلج
بنفسى نفس من قال وقد ... كان ما كان : حرام وحرج

وقوله[2] :

وابأبى من بدا بروعة «لا» ... وعاد من بعدها إلى «نعم»

وقوله[3] :

فديت من قال لى على خفره ... وغض من جفنه على حوره
سمع بى شعرك المليح فما ... ينفك شاد به على وتره
حسبك بعض الذى أذعت ولا ... حسب لصب لم يقض من وطره
فقلت يا مستعير سالفة الخشف ... وحسن الفتور من نظره
لا تنكرن الحنين من طرب ... عاود فيك الصبا على كبره

فهو يجمع بين حرصه على رصانة ألفاظه ومتانتها ، وبين حرصه على أن يعطينا صورة واقعية لما يدور من حديث ، وغالبا ما يكون فى الأحاديث الجارية ركاكة وضعف ، فلا تكون فى مستوى لغة الشعر ، ولا يغيب عن ذهننا ما دخل العربية فى ذلك العصر من اللحن والعجمة بحكم اختلاط

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٨١ .

(٢) أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٩ . (٣) أغانى الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

العرب بغيرهم من الأمم الأخرى . ولكن الحسين يلبس لغة الحديث هذه ثوبا فصيحا رصينا ، ويدخلها فى الإطار الفنى الشاعرى على النحو الذى رأيناه .

أما وسائل التصنيع التى عرفنا أنها كانت شائعة بين شعراء ذلك المذهب (مذهب التصنيع) والتى كان الحسين لا يستخدمها مثلهم كما ذكرنا ، وإنما كان يستخدمها من حين إلى حين ، وفى حدود أقرب إلى البساطة شأن صاحبه أبى نواس ، فإننا نذكر منها بعض النماذج لنستبين مذهبه فيها على حقيقته . من ذلك قوله[1] :

فالآس لا شك آس من تشوفنـــا   شاف وآس لنا يبقى عـلى الزمن

ففيه هذه التورية اللطيفة بين لفظى «آس» وهى تورية واضحة لا غموض فيها ولا إبهام ، فسرعان ما يكشفها القارئ دون أدنى جهد .

ومما ذكره النقاد للحسين فى حسن الترديد «وهو أن يأتى الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر فى البيت نفسه أو فى قسيم منه» قوله[2] :

لقد ملأت عينى بحسن محاسن   مـلأن فؤادى لوعة وهموما

فقد استعمل فيه لفظ «ملأ» مرتين ، وفى كل منهما نراه متعلقا بمعنى يختلف عن الآخر أولها أن محبوبته ملأت عينه بحسن محاسنها ، وثانيهما أن هذه المحاسن ملأن فؤاده باللوعة والهموم التى نتجت عن تعلقه بها وعشقه لها .

ومنه أيضا قوله[3] :

بحسنك كـــان أول حسن ظنى   أما ينهاك حسنك عـــن قبيح

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٧٠

(٢) العمدة جـ ١ ص ٣٣٣ — ٣٣٤ وشرح المقامات جـ ١ ص ٤١٩ .

(٣) الديارات ص ٣٨ .

ففى الشطر الأول نراه استعمل لفظ « حسن » مرتين ، فى الأولى يتعلق معناه بمعشوقه وهو معنى حسى ، وفى الثانية يتعلق بظنه وهومعنوى، والاختلاف بين الاستعمالين واضح ،وفى الشطر الثانى نراه يطابق بين الحسن والقبيح. وبرغم استعمال لفظ الحسن ثلاث مرات فى البيت لانشعر بضعف فى نسجه أو ركاكة . وبرغم وجود نوعين من البديع فيه لانحس بأنه متكلف فى صنعهما ، بل يبدو لنا وكأنهما جاءا طواعية وفى بساطة طبيعية . ولهذا نجد المعنى واضحاً لاغموض فيه فنصاعة الألفاظ مع متانة نسجها مع نوعين من البديع اليسير ، كلها عناصر متآلفة فى جودة البناء الفنى للبيت .

ويبدو لنا أنه لا يستعمل البديع لذاته أو لإظهار براعته فى صياغة محسناته ، وإنما يستعمله ليضفى على شعره لوناًمن التنغيم الموسيقى الجميل ، وهذا واضح فى قوله[1] :

قدغاب لا آب مــــن يراقبنا ونام لا قام سامـــر الخدم

فقد زاوج فى الشطر الأول بين غاب وآب، كما زاوج فى الشطرالثانى بين نام وقام . وكأنه ينسق النغم الموسيقى بين شطرى البيت. هذا النغم الذى يحدثه الجناس بين كل لفظين بالاضافة الى ما بينهما من طباق ، ثم هذه الوحدة الموسيقية بين الأفعال الأربعة التى اختارها على وزن ثلاثى واحد معتل الوسط بالألف؛ومع كل ذلك نحس سلاسة الألفاظ ونصاعتها وقد بداعليها الرونق الحلو الصافى ، فيطغى إعجابنا بحلاوة موسيقاها وتآلف نغماتها على ما فيها من بديع . ونرى الشاعر وقد ذلل هذا البديع وجعل منه وسيلة لبلوغ هذه المرتبة الفنية الرفيعة . ولم يجعل منه غاية يتغياها كشأن الآخرين من أصحاب مذهب التصنيع .

ولعل هذه الميزة الموسيقية التى تميزت بها ألفاظه قد اكتسبها بكثرة المران والممارسة ، إذ أن مجـالس اللهو والشراب والغنـاء التى كانت

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ٢١٨ .

تجمعه بمن ينادمهم من علية القوم ، والتى كان يطلب منه فيها أن يصنع المقطعات ليغنى بها المغنون فى المجالس ، أو يختار أبياتاً من قصائده الأخرى ليصنع فيها لحن يطربون به ، فجعله ذلك يعنى باختيار ألفاظه ، وينتقى أنصعها وأحلاها مخرجاً ، ليكون مناسباً للمقام صالحاً للغناء ، ويسهل تلحينه ، ويتحقق به طرب المستمعين .

وهكذا تضافرت ظروف حياته مع جودة طبعه وقوة شاعريته ، لتخرج لنا شعراً يتميز بألفاظه الرصية ، وكلماته الناصعة ، ونسجه المتين ، وموسيقاه الحلوة ، ولتكون هذه الميزة الفنية من أهم الخصائص التى تميز بها شعره .

٥ — العناية بالأوزان القصيرة :

كان لشيوع الغناء وارتقائه فى العصر العباسى أثر كبير فى موسيقى الشعر وقد بدأ هذا التأثير منذ وجد الغناء فى الحجاز فى العصر الأموى ، ثم انتقاله إلى الشام فى أواخر العصر ، حتى استقر أخيراً فى العراق حيث استقرت الخلافة ، فقد لقى المغنون فى بداية الأمر كثيراً من العناء فى إحكام أصواتهم ونغماتهم حتى يشاكلوا بينها وبين الأشعار التى يغنونها ، وحتى لا يخرجوا بهذه الأشعار التى يلحنونها عن إيقاعاتها الموسيقية الخاصة . وقد أقبل الشعراء يحاولون التخفيف عنهم باقتراح أوزان لم تكن شائعة فى الشعر القديم ، أو كانت شائعة ولكنهم رأوا أن يعدلوا فيها حتى تتلاءم وهذا الغناء الذى كانت تدخل فيه نغمات أجنبية كثيرة [1] ، كما ذكر أبو الفرج عن ابن مسجح [2] وابن محرز [3]

---

(١) انظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٥٢ ط ثالثة .

(٢) يذكر أنه رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم ، وانقلب إلى فارس فأخذ منها غناء كثيرا وتعلم الضرب ، ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التى هى موجودة فى نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنى على هذا المذهب ، (انظر أغانى الدار جـ ٣ ص ٢٧٦) .

(٣) يذكر أنه شخص إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ، ثم صار إلى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم فأسقط من ذلك مالا يستحسن من نغم الفريقين وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغانى التى صنعها فى أشعار العرب . (انظر أغانى الدار جـ ١ ص ٣٧٨).

وهما من مغنى الحجاز . واستمر هذا التطوير مع انتقال الغناء الى الشام ودخول مع الرقص والطرب قصور الخلفاء فى عهد يزيد بن عبد الملك[١] ، وما كان من صنيع ابنه الوليد الشاعر الذى أكثر من النظم على الأوزان القصيرة[٢] التى أشاعها الغناء فى هذه العصور. وبلغ هذا التطوير غايته فى عهد العباسيين، إذ شارك الفرس فى الحياة العامة وفى الحكم مشاركة فعلية ، وهم قوم مشغوفون بالملاهى والطرب[٣] وبالغ الخلفاء فى الاهتمام بالغناء والمغنين ؛ فعهد الرشيد إلى ثلاثة منهم باختيار الأصوات المائه التى أدار عليها أبو الفرج كتابه « الأغانى » . وانتشر الغناء انتشاراً واسعاً ، ليس فى قصور الخلفاء والأمراء فحسب ، ولكن بين جميع طبقات الشعب ، واشتهر من المغنين والمغنيات عدد كثير ، وأحسنوا فى صناعتهم إحسانا بالغا ، كإبراهيم الموصلى وابنه اسحق ، واسماعيل بن جامع ومخارق وعلّويه وعمرو بن بانه ، ومن المغنيات عريب ودنانير وفريدة وبذل ، وغير هؤلاء وهؤلاء كثيرون . وشارك الرقص والغناء فى نموه وارتقائه ، وكان لكل ذلك أثره البالغ فى موسيقى الشعر الغنائى[٤] ، إذ أن المغنين أخذوا يحرفون فى الغناء القديم ، ويدخلون فيه ألحانا فارسية ورومية[٥] ، كما فعل أسلافهم ، واضطر الشعراء أن يجاروهم بالتجديد فى أوزانهم ، لأن الصلة بين الغناء وبين عروض الشعر العربى وثيقة منذ القدم ، حتى أن العروضيين سموا بعض بحور الشعر بأسماء الألحان فى الغناء كالرمل والهزج وخفيف الرمل[٦] :

وكان أول مظاهر هذا التأثير أن الشعراء تجنبوا الأوزان الطويلة فى كثير من الأحيان واستخدموا الأوزان القصيرة أو الخفيفة ، كالرمل والهزج والخفيف

---

(١) انظر أغانى الدار جـ ١ ص ٦٩ .

(٢) انظر أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧ .

(٣) مروج الذهب جـ ٢ ص ١٥٧ .

(٤) درس أستاذنا الدكتور شوقى ضيف هذا الموضوع دراسة قيمة فى كتابه « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » انظر فصل الموسيقى والصنعة من ص ٤٠ إلى ص ٨٣ ط ثالثة .

(٥) أغانى الدار جـ ٥ ص ٢٧٩ .

(٦) الفصول والغايات ص ٨٨ .

والمتقارب ، كما لجئوا الى مجزوءات البحور كمجزوء الكامل ومجزوء الوافر ومجزوء الخفيف وما الى ذلك ، بل إنهم استحدثوا أوزانا جديدة كالمقتضب والمضارع ، وقد سجلها الخليل وليس لها أصل فى الشعر القديم على قول أبى العلاء[1] :

هذه الحركة الضخمة فى موسيقى الشعر وعروضه ، عاصرها الحسين بن الضحاك وعاش فيها ، بل إنه يعتبر من أشد الشعراء تأثرا بها ، لأنه قضى جل حياته فى منادمة الخلفاء والأمراء والكبراء ومشاركتهم فى مجالس اللهو والغناء والطرب مشاركة إيجابية ، بمعنى أنه كان شاعر هذه المجالس الذى ينظم المقطوعات ليغنى فيها المغنون كما عرفنا ، وقد ذكره ابن رشيق فى مقدمة المشهورين بجودة القطع من المولدين [2] . ولا شك أن كثرة اختلاطه بالمغنين ، وإسهامه معهم بشعره فى صنع ألحانهم جعله أكثر استجابة لهم ، وطواعية لوسيقاهم ، فلم يجد مشقة فى الملاءمة بينها وبين الأوزان التى ينظم عليها ، أو فى تطويع هذه الأوزان لنغماتها ، ولهذا كثرت الأوزارن القصيرة والبحور المجزوءة فى شعره كثرة ظاهرة ، فمن ذلك قوله فى الغزل والمجون على وزن لمتقارب[3] :

تألفت ظبى غـــزال الحـــرم ، فواصلنى بعد ما قـــد صرم

وعليه أيضا قوله[4] :

ألست ترى الصبح قد أسفـــرا ومبتكر الغيث قـــد أمطـــرا

ومن ذلك قوله على وزن المنسرح ، وهى قصيدة طويلة فى الغزل والمجون[5] :

تيسرى للمـــــــام من أمـــــم ولا تراعى حمـــــامة الحـــرم

---

(١) الفصول والغايات ص ١٣٢ .

(٢) العمدة ص ١٨٨ .

(٣) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٢ .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ١٩٧ .

(٥) نفسه جـ ٧ ص ٢١٨ .

وعليه أيضا قوله[١] :

وشاطرى اللسان مختلق التـــــكريه شاب المجـــون بالنســـك

ومن ذلك قوله على وزن الخفيف[٢] :

إن من لا أرى وليس يرانى نصب عينى ممثـــل بالأمانى

وعليه أيضا قوله[٣] :

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى لمـــا أراه أراكا

ومن ذلك قوله على وزن الرمل[٤] :

وبديع الدل قصرى الغنـــج مره العين كحيـــل بالدعج

وعليه أيضا قوله[٥] :

ليت عين الدهر عنا غفلت ورقيب الليـــل عنـــا رقدا

ومن ذلك قوله على وزن الهزج[٦] :

أيا من طرفـــه سحـــر ومن ريقتـــه خمـــر

وعليه أيضا قوله[٧] :

تجـــاسرت على الغـــدر كعاداتك فى الهجـــر

ومن ذلك قوله على وزن السريع[٨] :

زائرة زارت على غفلـــة يا حبذا الـــزورة والزائره

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٥ وطبقات الشعراء ص ٢٧٠ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٧ .

(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٦٩ .

(٤) نفسه جـ ٧ ص ١٨١ .

(٥) نفسه جـ ٧ ص ١٦٢ .

(٦) نفسه جـ ٧ ص ١٨٩ .

(٧) نفسه جـ ٧ ص ٢١٧ .

(٨) نفسه جـ ٧ ص ٢٢١ .

وعليه أيضا قوله[١] :

وا بأبى أبيض فى صفـــــرة   كأنه تـــــبر على فضـــة

ومن ذلك قوله على وزن الوافر

محب نال مكتتمـــا منـــاه   وأسعده الحبيب على هـــواه

وعليه أيضا قوله[٣] :

أما ناجاك بالنظـر الصحيح   وأن اليك من قلب قـــريح

ومن ذلك قوله على وزن المقتضب[٤] .

عـــــالم بحبيــــه   مطــــرق من التيـــه

وقد عرفنا أن هذا البحر من الأوزان الجديدة المستحدثة التى سجلها الخليل وليس لها أصل فى الشعر القديم .

هذه أمثلة من الأوزان القصيرة التى استخدمها الحسين بكثرة فى شعره ونلاحظ أنه لم يستخدمها فى موضوعات الغزل والمجون فحسب ، وهى التى تعد موضوعات الغناء المفضلة ، بل إنه استخدمها كذلك فى الموضوعات الأخرى كالمديح والرثاء والاعتذار والاستماح وما إلى ذلك . فهذه قصيدته التى مدح بها الواثق ، والتى هى أطول ما وصل إلينا من قصائده فى المديح ، نجده ينظمها على وزن المتقارب[٥] :

أكاتم وجدى فـــا ينكتم   بمن لو شكوت اليـــه رحم

وكذلك قصيدته فى مدح الحسن بن سهل ، نجدها على وزن الوافر[٦] :

أرى الآمال غـــير معرجات   على أحد سوى الحسن بن سهل

---

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٠ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٧١ .
(٣) الديارات ص ٣٨ .
(٤) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٨٥ .
(٥) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٩٥ .
(٦) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٧٧ .

وقصيدته فى رثاء الأمين التى يقول فى مطلعها[1] :

إذا ذكر الأمين نعى لأمينـــا   وأن رقد الخلى حمى الجفـونا

نجدها على وزن الوافر أيضا . وقصيدته الأخرى فى رثائه ، والتى مطلعها[2] :

يا خير أسرته وأن زعمـــوا   أنى عليك لمثبت أســـــف

فإننا نجدها على وزن الكامل المصلوم الذى حذف من تفعيلته الثالثة متحركان وساكن فتصير « متفا » أو « فعلن » بعد أن كانت « متفاعلن » :

وقصيدته فى الاعتذار إلى المتوكل التى مطلعها[3] .

أما فى ثمـــــانين وفيهـــا   عذير وأن أنا لم أعتــــذر

نجدها على وزن المتقارب .

ومقطوعته فى الاستمناح التى يطلب فيها من المعتصم أن يقطعه دارا بمدينته الجديدة « سر من رأى » ومطلعها[4] .

يا أمين الله لا خطـــــة لى   ولقد أفردت صحبى بخطــط

نجدها على وزن الرمل .

وقصيدته فى نصرة الأمين وتهنئته بظفر جيشه ، ومطلعها[5] :

أمـــين اللــــه ثق باللـــه تعـــط العـــز والنصرة

نجدها على وزن الهزج .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٩٤٢ .

(٢) نفسه ج ٣ ص ٩٤١ .   (٣) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢١٠ .

(٥) أغانى الدار ج ٧ ص ٢٠٧ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٨٨٢ .

أما مجزورات البحور فقد استخدمها أيضا بكثرة ، وهى بطبيعة الحال أكثر قصرا وأخف موسيقى وأقرب شبها بتوقيعات الرقص ومنها قوله على وزن مجزور الرمل[1] :

أى ديبـــاجة حســـن هيجت لوعـــة حـــزنى

وقوله على نفس الوزن [2] :

ظـــن من لا كان ظنــا بحبيبى فحمـــــاه

ومنها قوله على وزن مجزوء الخفيف[3] :

لا تلمـــنى على فـــتن إنهـــا كاسمها فـــتن

وقوله على نفس الوزن[4] :

اسقيـــانى وصـــرفا بنت حـــولين قرقفـــا

ومنها قوله على وزن مجزوء الكامل[5] :

إنى أتيتـــك شافعـــا بولى عهـــد المسلمينـــا

وقوله أيضا على نفس الوزن[6] :

خـــل اللعـــين وما اكتسب لا زال منقطـــع السبـــب

ومنها قوله على مجزوء المديد[7] :

أيهـــا النفـــاث فى العقـــد أنا مطـــوى على الكمـــد

وقوله على مجزوء المتقارب : [8]

إذا كنت فى عصبـــة من المعشـــر الأخيـــب

(١) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٢ .
(٢) نفسه جـ ٧ ص ٢٢٠ .
(٣) نفسه جـ ٧ ص ١٧٦ .
(٤) نفسه جـ ٧ ص ١٨٠ .
(٥) نفسه جـ ٧ ص ٢٢٣ .
(٦) نفسه جـ ٧ ص ١٦٨ .
(٧) نفسه جـ ٧ ص ١٩٢ .
(٨) نفسه جـ ٧ ص ٢١٢ .

وقوله على مجزوء المنسرح[1] :

أتبعت سكرا بسكر   وابتعت خمرا بعمر مجتث

وقوله على مجزوء الوافر : [2]

إذا ما الماء أمكنني   وصفو سلافة العنب

هذه الشواهد العديدة تدل دلالة واضحة على كثرة الأوزان القصيرة فى شعره ، فوراء كل شاهد منها قصيدة أو مقطوعة ، بل نجد على هذه الأوزان قصائد أخرى ومقطوعات لم نشر اليها اكتفاء بما ذكرناه كدليل لإثبات هذه الميزة الفنية وشيوعها فى شعره . وليس معنى ذلك أنه لم ينظم شعرا على الأوزان الأخرى الطويلة كالطويل والبسيط والمديد والكامل وما إليها ، فله شعر على بحورها ، ولكنه قليل بالنسبة لشعره القصير الأوزان حتى أنه يمكننا أن نعد هذه الظاهرة من أهم الخصائص الفنية التى تميز بها شعره .

---

(١) ديوان المعانى جـ ١ ص ٢٠٢ ومحاضرات الأدباء جـ ١ ص ٤٢٠ .

(٢) أغانى الدار جـ ٧ ص ١٥٤ .

الخاتمة

تناولت فى هذا البحث شعر الحسين بن الضحاك وحياته بالدراسة والتحليل، فبدأت بسيرة حياته مستعرضا مصادرها التى ترجمت له بحسب ترتيبها التاريخى . ويعد الأغانى أهمها ، إذ قدم له ترجمة واسعة من حوالى ثمانين صفحة ، وتأتى بعده مصادر أخرى لها أهميتها وإن قلت عنه كطبقات الشعراء ومعجم الأدباء والديارات وتاريخ ابن عساكر وتاريخ الطبرى ومسالك الأبصار .

وانتقلت إلى بحث نسبه ونشأته وثقافته ، فتحققت من أنه كان فارسى الأصل ومولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلى الصحابى ، وأنه ولد بالبصرة ونشأ بها . وتبين لى أن تاريخ مولده الذى ذكرته المصادر وهو سنة ١٦٢ ه غير صحيح ، لأنه لا يتفق مع كثير من الشواهد فى حياته وشعره . وانتهيت من ذلك إلى تحديد تاريخ تقريبى لمولده بين سنتى ١٥٢ أو ١٥٣ ه . وكان فى نشأته بالبصرة تربا لأبى نواس يحضران معـا مجالس العلم والأدب ؛ وفى هذه المجالس تلقى ثقافته العربية على يد علمائها البارزين كالأصمعى وخلف الأحمر وأبى عبيدة ، كما تتلمذ فى المجون على والبة بن الحباب الذى كان أستاذا لأبى نواس ، وتثقف بشعر الخمر والغزل والمجون لشعراء معاصرين وسابقين كمطيع بن إياس وأبى الهندى والوليد بن يزيد وغيرهم ، وأخذ بنصيب من الثقافة الأجنبية فى عصره .

وبتحليل شخصيته تبين لى أن سماتها الأساسية تتركز فى ظرفه وخلاعته حتى إنه لقب بالخليع والأشقر ، وقد جعلته هذه الصفات أهلا لمنادمة علية القوم من الخلفاء وكبار رجال الدولة ، وبلغ ذلك درجة لم يبلغها سواه ؛ وإلى جانب ذلك كانت فى شخصيته صفات طيبة من الرجولة والوفاء ، ظهرت فى موقفه مع الأمين وبعد مقتله ،

وإذا تتبعنا علاقته مع الخلفاء وجدناها تبدأ باتصاله بالأمين فى خلافة أبيه سنة ١٨٨ ﻫ ، وقد ظل فى صحبته مدة خلافته حتى مقتله ، إذ كان نديمه المقرب الذى يملأ مجالس لهوه ظرفا وأنسا . ولم يتخل عنه فى أيام محنته ، بل وقف بجانبه ينادمه ، ولما قتل رثاه رثاء بالغ الأسى ، واشتط فى ذلك حتى عرض بالمأمون وهجاه :

ولما قدم المأمون إلى بغداد لم يعاقبه إلا بالامتناع عن استخدامه وقطع أرزاقه . فضاقت به الدنيا ، وحاول استرضاء المأمون مرات مستشفعا ببعض المقربين إليه حتى نجح أخيرا فى نيل عفوه بعد أن أنشده قصيدته مدحه والاعتذار إليه ، فرد عليه أرزاقه ، ولكنه ظل على رأيه فى عدم استخدامه .

وتولى المعتصم الخلافة فاستقدمه من البصرة حيث كان مقيما فى عهد المأمون ، ودخل الحسين عليه فأنشده قصيدة فى مدحه نالت إعجابه ، فأمر له بجائزة سنية . وبقى الحسين فى صحبته ينادمه ويرافقه فى حملاته إلى الشام وعمورية ، ويشيد بانتصاراته وبطولته :

واتصلت علاقته بابنه الواثق من بعده ، فكان نديمه المقرب وظريفه المؤنس وشاعره المفضل ، فى أوقات لهوه وفى مجالس شرابه :

ولما تولى المتوكل الخلافة ، طلبه لمنادمته ، ولكنه كان قد كبر وضعف فاعتذر إليه ولم ينادمه إلا مرة واحدة خبرها مشهور . ومع ذلك فإن المتوكل كان معجبا بشعره ، ويراه أظرف شعراء عصره :

وبعد مقتل المتوكل وتولية ابنه المنتصر ، دخل عليه وأنشده مدحه ، فأظهر إكرامه ، وطلب منه ألا يتعب نفسه بالمجىء إليه ، وأن يكاتبه بحاجته وكان هذا آخر عهده بالخلفاء .

أما علاقته بمعاصريه من الأمراء وعلية القوم والشعراء والغلمان والجوارى وعامة الناس ، فقد كانت أكثر حرية وانطلاقا منها مع الخلفاء : وفى مقدمة

الأمراء الذين نادمهم صالح بن الرشيد ، الذى كان أول من اتصل به من من بنى العباس ، ولازم صحبته زمنا طويلا ، وكان عنده محبوبا مقربا مطلعا على أسرار مجونه . واتصل كذلك بأبى عيسى وأبى أحمد ابنى الرشيد ، كما نادم إبراهيم بن المهدى وابن شغوف الهاشمى . ونادم من رجال الدولة الحسن بن سهل والفتح بن خاقان والحسن بن رجاء وغيرهم ، وقد رأينا كيف كانوا يتنافسون فى جذبه إلى مجالسهم .

وتعد علاقاته بالغلمان والجوارى على جانب كبير من الأهمية فى دراسة حياته وشعره . وقد اشتهر عشقه ليسر غلام أبى عيسى بن الرشيد ، الذى عرفنا الكثير من أخباره معه وشعره فيه . ومن الغلمان الذين عشقهم كذلك رزق غلام علوية المغنى وغلام الحسن بن سهل الذى وهبه إليه ، وغيرهم .

وتأتى علاقته بالجوارى فى الدرجة الثانية ، ومنهن جارية مغنية كان يألفها تسمى « فتن » وجارية أم جعفر التى وسط فى أمرها عاصما الغسانى ، وغيرهما جوار أخريات لم يصرح بأسمائهن فى شعره الماجن .

وكثيرا ما جمعت الحسين بشعراء عصره مجالس اللهو والشراب ومجالس الشعر والأدب كما رأينا ، وكانوا يخرجون مصطحبين إلى المتنزهات والديارات حيث يعقدون مجالس لهوهم . ويعد أبو نواس أقرب هؤلاء الشعراء إلى الحسين ، إذ بدأت الصلة بينهما منذ أيام نشأتهما بالبصرة ، واستمرت بعد انتقالهما إلى بغداد ، وقد روت المصادر كثيرا من أخبارهما وأهمها تنافسهما فى شعر الخمر ، وإغارة أبى نواس على معانيه فيها ، ومع ذلك فقد ظلت العلاقة بينهما طيبة لم يشبها تباغض أو عداء . واتسمت علاقته بأبى العتاهية بالود وحسن الصحبة ، فهو الذى نصحه بالكف عن هجاء المأمون فأنقذه من شر نقمته ، وقد رأينا كيف فضل أبا العتاهية على أبى نواس حين احتكم إليه فى ذلك . وكذلك ربطت الصحبة بينه وبين مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وابن مناذر وغيرهم .

وفى صلته بعامة الناس رأينا بعض القصص والنوادر التى تعطينا صورة واضحة لظرفه وخفة روحه ، من ذلك نادرته التى أوقع فيها بين أحد جنا الشام وحبيبته « بصبص » أو هجائه لجاره الطبيب المخنث ، وما إلى ذلك من أخبار طريفه .

واختتمت سيرة حياته بوفاته التى تتفق أغلب الروايات على أنها كانت سنة ٢٥٠ هـ بمدينة بغداد بعد أن بلغ سنا عالية وقارب المائة عام .

بعد ذلك تناولت بحث شعره وأغراضه ، فبدأت بعرض مصادره التى جمعته منها ، إذ لم يصل إلينا ديوانه ، وهى مصادر كثيرة أهمها الأغانى الذى روى فيه ما يزيد على خمسمائة بيت ، وتأتى بعده مصادر أخرى لها أهميتها من حيث إضافتها جديدا من شعره ، كتاريخ الطبرى والزهرة وديوان أبى نواس وتاريخ ابن عساكر والموشى ومعجم الأدباء والديارات ومعجم البلدان وغيرها .

وانتقلت من ذلك إلى بحث مشكلة هامة تعرض لها شعره ، وهى اختلاطه بأشعار معاصريه ، إذ كان فقد ديوانه من أهم أسبابها ، وقد حدث الاختلاط كثيرا بينه وبين أبى نواس الذى نسب إليه كثير من شعره ، كما حدث أيضا بينه وبين شعراء آخرين كالعباس بن الأحنف والفضل الرقاشى واسحاق الموصلى وغيرهم . وقد حاولت جاهدا أن أتثبت من صحة نسبة الشعراء إليه أو إلى غيره .

ومضيت بعد ذلك أدرس أغراض شعره من تقليدية وتجديدية . فتبين لى أنه فى مديحه لا يلتزم دائما بالنهج التقليدى للقصيدة العربية وإنما تحرر منها كأبى نواس ، وإن كان تحررا غير كامل ، فإذا كان قد ترك بكاء الديار والآثار فى مقدمات قصائده ، فإنه لم يغفل الغزل والنسيب ، وإن كان قد ترك وصف الصحراء والإبل والخيل فى رحلته إلى الممدوح ، فإنه استبدل بها وصف السفينة مبتنيا على تقليد وصف الرحلة . ونراه فى بعض قصائده يتحرر تماما من هذا النهج التقليدى كما فى قصيدته التى مدح بها الواثق ووصف صيده ومجلس لهوه ، ومديحه جيد يضعه فى مرتبة شعرائه البارزين .

ونراه فى رثائه يصدر عن شعور صادق ، فمعظم رثائه فى الأمين الذى حزن لمقتله أشد الحزن . وأغلب معانيه فيه مستوحاة من واقع الأحداث التى لابست مقتله ، أو ذكريات أيامه الطيبة التى قضاها معه ، وبهذا جاء رثاؤه جيدا قوى التأثير .

وهجاؤه جيد وإن كان ما وصل إلينا منه قليلا ، وأغلبه قاله بدافع التفكهة أو الممازحة ، ومع ذلك نحس فى بعضه إقذاعا شديدا .

وشعره فى الاعتذار تتمثل فيه اتجاهات ثلاثة : أولها اعتذاره عن أخطاء سياسية كما حدث مع المأمون ، وثانيها : اعتذاره عن أخطائه فى مجالس الشراب ، كما حدث مع الأمين أو مع صالح بن الرشيد . وثالثها اعتذاره عن عدم قدرته على المنادمة لكبر سنه ، كما حدث مع المتوكل . وهو فى كل ذلك يبلغ ما يريد من استرضائهم وإقناعهم ، بما أوتيه من لباقة وفطنة وظرف .

وإذا كان شعره فى الاستمناح قريبا من المديح ، فإنه يتميز عنه بفارق واضح وهو أن الطلب فيه يبدو بصورة مباشرة واضحة كما بينا ، وعلى أى حال فشعره فيه قليل لا يقاس بالأغراض الأخرى .

أما الأغراض التجديدية فتتمثل فى خمرياته وغزله ومجونه وشعره فى الديارات وأماكن اللهو ، وقد عرضنا كثيرا من الشواهد التى تدل على تجديده فى شعر الخمر وخاصة قصيدته الطويلة التى بلغت أربعين بيتا تناول فيها حياة الخمر منذ بدئها بغرس شجرة الكرم ، وتتبع مراحل تصنيعها وتعتيقها ثم تقديمها للشاربين ووصفها بأوصاف عديدة وفصل المعانى فى ذلك تفصيلا بديعا . وقد شهد له النقاد بتفوقه فى شعر الخمر فوضعوه بين شعرائها المجيدين .

وشعر المجون والغزل بالمذكر من الأغراض الجديدة التى نشأت فى ذلك العصر ، والتى يعد الحسين من أبرز شعرائه ، فله فيه شعر كثير جيد ، يسجل عبثه ومجونه وعشقه للغلمان وتغزله بهم ، كما يسجل غزله بالجوارى ووصف لياليه الماجنة معهن . وهو مع ذلك لم يكن يصرح فى شعره بالفحش تصريحا فاضحا أو يستخدم الألفاظ المنكرة فى تعبيره ، كما شهد له النقاد .

ولم يقتصر غزله على هذا اللون الماجن ، فله غزل بعيد عن المجون أجاد فيه وأبدع ، وشهد له بتفوقه فيه شعراء وعلماء كأبى نواس وابن الرومى والرياشى .

أما شعره فى الديارات وأماكن اللهو ، فكان يدور كذلك حول المجون والخمر ، ووصف مجالس الشراب واللهو ، وإلى جانب ذلك نرى فيه وصف الطبيعة وأحوال الرهبان فى أديرتهم ، وما إلى ذلك من معان جديدة فى الشعر العربى .

وببحث الناحية الفنية فى شعره وجدت أنه يتميز بخصائص هامة ، أولها أن فيه تجربة حية ، إذ أنه كثيرا ما يترجم عن أحداث جرت له أو شارك فيها وعاناها ، أو كان لها فى نفسه رد فعل قوى ، كما رأينا فى علاقاته بالغلمان والجوارى ووصفه لما كان يجرى بينه وبينهم ، وفى وصفه لمجالس اللهو والشراب التى كان ينادم فيها القوم ، أو فى رثائه الذى عبر فيه عن حزنه وفجيعته لمقتل الأمين ، أو فى مدحه الذى يعبر فيه عن شكره وامتنانه لما كان يلقاه من التكريم ، أو فى اعتذاره الذى يحاول فيه تبرير خطئه وتخفيفه . كل هذه تجارب حية تمثلت فى شعره ، فكان ترجمة شعرية لحياته وصورة حية لتجاربه .

والخاصة الثانية هى وحدة القصيدة ، التى تمثلت بمفهومها الحديث فى معظم شعره ، إذ تترابط معانى القصيدة وتتناسق كأعضاء الجسم فى تكاملها ، وتكون وحدة الموضوع والتجربة عاملا هاما فى إيجادها . أما مفهومها القديم الذى يبيح تعدد الموضوعات فى القصيدة على أساس أن يحسن الشاعر الربط بينها . هذا المفهوم نجده متمثلا فى شعر المديح عنده فحسب .

والخاصة الثالثة هى تعمقه فى المعانى والأخيلة تعمقا لا يصل إلى درجة الغموض ، وإنما يجمع فيه بين الدقة والوضوح ، كما فى تشبيهه صورة شارب الخمر المنعكس على صفحة الكأس وسط الحبب بصورة القمر الذى يكرع فى بعض نجوم السماء ، أو فى غزله الذى يتخيل فيه مناجاة العاشقين على البعد وتوافق فعالهما نتيجة لتوافق ميولهما ، هذه المعانى وغيرها مما عرضناه دليل على تمثل هذه الخاصة الفنية فى شعره .

والخاصة الرابعة نراها فى رصانة لفظه ونصاعته ، إذ لم يكن يميل إلى الإغراب والتكلف وإنما كان يتخير ألفاظه ، ويحرص على أن تكون سلسلة ناصعة صافية الرونق ، ولهذا وضعته مع أصحاب مذهب الصنعة والصانعين الذين لايتكلفون البديع وإنما يأتى فى شعرهم بصورة طبيعية بسيطة ، وإذا كانت ألفاظه أكثر رقة وسلاسة فى غزله ومجونه وخمرياته ، فإنها فى مديحه ، ورثائه أكثر قوة وجزالة ، ومع ذلك فالرصانة ومتانة النسج والنصاعة والوضوح هى الخاصة الفنية التى تتمثل ، فى أسلوب شعره عامة .

وفى ختام خصائصه الفنية نجد عنايته بالأوزان القصيرة ، وذلك لانتشار الغناء وتأثيره فى أوزارن الشعر عامة ، ولأنه كان شاعرا نديما يغنى بشعره فى مجالس منادمته ، فكان اهتمامه بالنظم على البحور القصيرة كالرمل والهزج والخفيف ، أو بالنظم على مجزوءات البحور كمجزوء الكامل ومجزوء الخفيف ومجزوء الرمل ، وما إلى ذلك من أوزان قصيرة تتميز بخفة موسيقاها وسرعة توقيعاتها ، كما رأينا فى الشواهد الكثيرة التى عرضناها ، مما يؤكد تمثل هذه الخاصة الفنية فى أغلب شعره .

وأرجو أن أكون بذلك قد وفيت هذا الموضوع حقه من البحث ، وأن يكون جهدى المتواضع قد آتى ثماره المرجوة ،،،

والله ولى التوفيق ؟

المصادر والمراجع

١ — الإبانة عن سرقات المتنبي — لأبي سعيد العميدى — ط دار المعارف سنة ١٩٦١ ؛

٢ — ابن الرومى — حياته من شعره — للعقاد — ط سنة ١٩٣٨

٣ — أحسن ما سمعت — للثعالبي — ط سنة ١٣٢٤ ؛

٤ — أخبار أبي تمام — للصولى — تحقيق عساكر وآخرين ط سنة ١٩٢٧ ؛

٥ — أخبار أبي نواس — لابن منظور — ط سنة ١٩٢٤ .

٦ — أخبار أبي نواس — لأبي هفان — تحقيق عبد الستار فراج — ط سنة ١٩٥٣ .

٧ — الأدب والإنشاء — لأبي حيان التوحيدى — ط الجوائب سنة١٣٠١ ؛

٨ — أدب الكتاب — للصولى — ط السلفية سنة ١٩٤١

٩ — أدب النديم — لكشاجم — ط بولاق سنة ١٢٩٨ ؛

١٠ — الأشربة — لابن قتيبة (مخطوط رقم ١٦٦ م مجاميع) ؛

١١ — أشعار أولاد الخلفاء — للصولى — ط هيورث سنة ١٩٣٦ ؛

١٢ — أشعار الخليع — جمع وتحقيق عبد الستارفراج — ط دارالثقافة ببيروت ؛

١٣ — إعجام الأعلام — لمحمود مصطفى — ط سنة ١٩٣٥ ؛

١٤ — الأعلام — للزركلى .

١٥ — الأغانى — لأبي الفرج الأصفهانى — ط دار الكتب وبولاق ودار الثقافة .

١٦ — الأمالى — لأبي على القالى — ط دار الكتب سنة ١٩٢٦

١٧ — آمالى المرتضى — للشريف المرتضى — ط أولى سنة ١٩٠٧ .

١٨ — الأنيس والجليس — للمعافى بن زكريا النهروانى (مخطوط رقم ٥٧٤د أدب) .

١٩ — بدائع البدائه — لعلى بن ظافر الأزدى — ط سنة ١٢٢٨ .

٢٠ — تاريخ آداب اللغة العربية — لجورجى زيدان — ط سنة ١٩٣٦ .

٢١ — تاريخ الأدب العربى — لبروكلمان — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ط دار المعارف سنة ١٩٦١ .

٢٢ — تاريخ الإسلام — للذهبى — (مخطوط رقم ٤٢) .

٢٣ — تاريخ ابن الأثير ط أولى سنة ١٣٠١ ، ط ليدن .

٢٤ — تاريخ ابن عساكر ط دمشق سنة ١٣٣٢ .

٢٥ — تاريخ بغداد — للخطيب البغدادى — ط سنة ١٩٣١

٢٦ — تاريخ الخلفاء — للسيوطى — ط سنة ١٣٠٥ .

٢٧ — تاريخ الطبرى — ط ليدن ، ط الحسينية .

٢٨ — تاريخ الشعر العربى — للدكتور نجيب البهبيتى — ط سنة ١٩٥٠ .

٢٩ — تاريخ الكافى — ط بولاق سنة ١٣١٥ .

٣٠ — التبيان فى شرح الديوان — للعكبرى — ط سنة١٩٣٦ .

٣١ — التحف والأنوار — لأحد أفاضل الأدباء — ط سنة ١٣١٧ .

٣٦ — التذكرة (مخطوط) .

٣٣ — تزيين الأسواق — لداود الأنطاكى — انتهى من تأليفه سنة١٨٧٢ .

٣٤ — تطور الخمريات فى الشعر العربى — للدكتور جميل سعيد — ط سنة١٩٤٥ .

٣٥ — التنبيه والإشراف — للمسعودى ط سنة١٩٣٨ .

٣٦ — حديث الأربعاء — للدكتور طه حسين — ط دار المعارف سنة١٩٦٠ .

٣٦ — حلبة الكميت — للنواجى — ط سنة ١٢٩٩ .

٣٨ — حماسة الخالدين — لأحد أفاضل القرن الرابع — (مخطوط رقم٥٣٧) .

٣٩ — الحياة الأدبية فى البصرة — رسالة الدكتوراه للدكتور أحمد كمال زكى .
٤٠ — حياة الشعر فى الكوفة — رسالة الدكتوراه للدكتور يوسف خليف .
٤١ — الحيوان للجاحظ — تحقيق هارون — ط الحلبى .
٤٢ — خزانة الأدب — لابن حجة الحموى — ط بولاق .
٤٣ — دائرة المعارف الإسلامية — الترجمة العربية .
٤٤ — الديارات — للشابشتى — ط بغداد سنة ١٩٥١ .
٤٥ — ديوان أبى نواس — ط آصاف — ط فاغنر — تحقيق الغزالى .
٤٦ — ديوان أبى نواس — رواية الصولى — (مخطوط) .
٤٧ — ديوان أبى الوليد مسلم بن الوليد — ط ليدن سنة ١٨٧٥ .
٤٨ — ديوان العباس بن الأحنف — ط القسطنطينية سنة ١٢٩٨ .
٤٩ — الديوان فى النقد والأدب — للعقاد والمازنى — ط سنة ١٩٢١ .
٥٠ — ديوان المعانى — لابن هلال العسكرى — ط القدس سنة ١٣٥٢ .
٥١ — رسائل منتخبة — للثعالبى — ط القسطنطينية سنة ١٣٠١ .
٥٢ — رفع الإصر (مخطوط) .
٥٣ — زهر الآداب — للحصرى القيروانى — ط التجارية سنة ١٩٢٥ .
٥٤ — الزهرة — لأبى بكر محمد بن سليمان الأصفهانى — ط بيروت سنة ١٩٣٢ .
٥٥ — سمط اللآلئ — لأبى عبيد البكرى — تحقيق الميمنى — ط لجنة التأليف سنة ١٩٣٦ .
٥٦ — شذرات الذهب — لابن العماد الحنبلى — ط القدس سنة ١٣٥٠ .
٥٧ — شرح ديوان أبى الطيب — للواحدى — ط برلين سنة ١٨٨١ .
٥٨ — شرح المضمون — لعبيد الله بن عبد الكافى — ط السعادة سنة ١٩١٥ .
٥٩ — شرح المقامات — للشريشى — ط سنة ١٢٨٤ .
٦٠ — شرح نهج البلاغة — لابن أبى الحديد المدائنى — ط الحلبى سنة ١٣٢٩ هـ .

٦١ — شعراء عباسيون — جمع وتحقيق المستشرق غرنباوم وترجمة الدكتور محمد يوسف نجم .
٦٢ — الشعر والشعراء — لابن قتيبة — تحقيق أحمد شاكر — ط الحلبي سنة ١٩٥٢ .
٦٣ — الصناعتين — لأبي هلال العسكرى — تحقيق البجاوى وأبو الفضل — ط سنة ١٩٥٢ .
٦٤ — ضحى الإسلام — لأحمد أمين — ط لجنة التأليف سنة ١٩٣٨ .
٦٥ — طبقات الشعراء — لابن المعتز — تحقيق عبد الستار فراج — ط دار المعارف سنة ١٩٥٦ .
٦٦ — طراز المجالس — لشهاب الدين الخفاجى — ط الوهبية سنة ١٢٨٤ .
٦٧ — عقد الجمان — للعينى — (مخطوط) .
٦٨ — العقد الفريد — لابن عبد ربه — تحقيق العريان ط سنة ١٩٥٣ .
٦٩ — العمدة — لابن رشيق — تحقيق محيى الدين عبد الحميد — ط سنة ١٩٦٣ .
٧٠ — عنوان المرقصات — لنور الدين على بن موسى بن الوزير — ط سنة ١٢٨٦ .
٧١ — عيون التواريخ — لابن شاكر الكتبى — (مخطوط) .
٧٢ — الغرر والعرر — لجمال الدين محمد بن إبراهيم الأنصارى — ط بولاق سنة ١٢٨٤ .
٧٣ — الفاضل — للمبرد — تحقيق الميمنى — ط دار الكتب سنة ١٩٥٦ .
٧٤ — الفرج بعد الشدة — للتنوخى — ط سنة ١٩٠٣ .
٧٥ — فصول التماثيل — لابن المعتز — ط العربية سنة ١٩٢٥ .
٧٦ — الفن ومذاهبه فى الشعر العربى — للدكتور شوقى ضيف — ط ثالثة سنة ١٩٥٦ .
٧٧ — الفهرست — لابن النديم .
٧٨ — فى النقد الأدبى — للدكتور شوقى ضيف — ط دار المعارف

٧٩ — الكامل — للمبرد — ط ليبزج سنة ١٨٦٤ .

٨٠ — كتاب بغداد — لابن أبي طاهر طيفور — ط ليبزج سنة١٩٠٨ .

٨١ — مجالس ابن حنزابة (مخطوط رقم ٧٧ أدب ش) .

٨٢ — مجالس ثعلب — لأبي العباس ثعلب — تحقيق هارون — ط دار المعارف.

٨٣ — مجاني الأدب — للأب لويس شيخو — ط سنة ١٩٠١ .

٨٤ — مجموع لطيف (مخطوط رقم ١٢٧٨) .

٨٥ — المحاسن والأضداد — للجاحظ — ط ليدن سنة ١٨٨٩ .

٨٦ — المحاسن والمساوئ — للبيهقي — ط السعادة سنة ١٩٠٦ .

٨٧ — محاضرات الأدباء — للراغب الأصفهاني — ط سنة ١٩٢٦ و ط أخرى .

٨٨ — مختارات البارودى ط سنة ١٣٢٩ .

٨٩ — مختصر تاريخ البصرة — للأعظمي — ط بغداد سنة١٩٢٧ .

٩٠ — المدخل إلى النقد الأدبي — للدكتور غنيمي هلال — ط ثانية .

٩١ — مرآة الجنان — لليافعي — ط حيدر أباد سنة ١٣٣٨ .

٩٢ — مرآة الزمان — لسبط بن الجوزى التركي — (مخطوط رقم ١ لسنة ٥٥١)

٩٣ — مروج الذهب — للمسعودى — ط سنة ١٢٨٣ .

٩٤ — مسالك الأبصار — لابن فضل الله العمرى — جـ ١ ط دار الكتب سنة ١٩٢٤ .

٩٥ — مسالك الأبصار — لابن فضل الله العمرى (مخطوط) .

٩٦ — المستطرف — اللابشيهى — ط بولاق سنة ١٢٦٨ .

٩٧ — مصارع العشاق — للسراج — ط الجوائب سنة ١٣٠١ .

٩٨ — معاهد التنصيص — لعبد الرحيم العباسى ط مصر سنة ١٣١٦ .

٩٩ — معجم الأدباء — لياقوت الحموى — ط وزارة المعارف .

١٠٠ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة — للمستشرق زامباور — ترجمة زكي حسن وحسن محمود ط سنة ١٩٥١ .

١٠١ — معجم البلدان — لياقوت الحموى — ط بيروت وليبزج .

١٠٢ — معجم مااستعجم — لأبي عبيد البكرى — تحقيق السقا — ط سنة ١٩٤٧ .

١٠٣ — المنتحل — للثعالبي — ط التجارية سنة ١٩٠١ .

١٠٤ — من غاب عنه المطرب — للثعالبي — ط بيروت سنة ١٣٠٩ .

١٠٥ — الموازنة — للآمدى — ط سنة ١٩٤٤ .

١٠٦ — المؤتلف والمختلف — للآمدى — ط القدس سنة ١٩٥٤ .

١٠٧ — الموشى — لابن اسحق الوشاء — ط بريل سنة ١٣٠٢ هـ .

١٠٨ — نثار الأزهار — لابن منظور — ط الجوائب سنة ١٢٩٨ .

١٠٩ — النجوم الزاهرة — لابن تغرى بردى — ط دار الكتب سنة ١٩٣٠ .

١١٠ — نديم الخلفاء — لعبد الستار فراج — ط دار المعارف (سلسلة اقرأ فبراير سنة ١٩٥٢) .

١١١ — نهاية الأرب — للنويرى — ط دار الكتب سنة ١٩٣٠

١١٢ — الوساطة — للجرجاني — ط ثانية سنة ١٩٥١ .

١١٣ — وفيات الأعيان — لابن خلكان — ط بولاق والوطن سنة ١٢٩٩ .

معاجم اللغة

١١٤ — تاج العروس في شرح القاموس — للزبيدى .

١١٥ — الصحاح — للجوهرى .

١١٦ — القاموس المحيط — للفيروزبادى .

١١٧ — لسان العرب — لابن منظور .

المحتـــوى

جمهورية مصر العربية

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب العلوم الاجتماعية

ـ ١٤٨ ـ

القاهرة

١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ٧١/٦٣٢٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٠٠٠-١٩٧١/٦٣٤٦ س




Bibliotheca Alexandrina
0360415